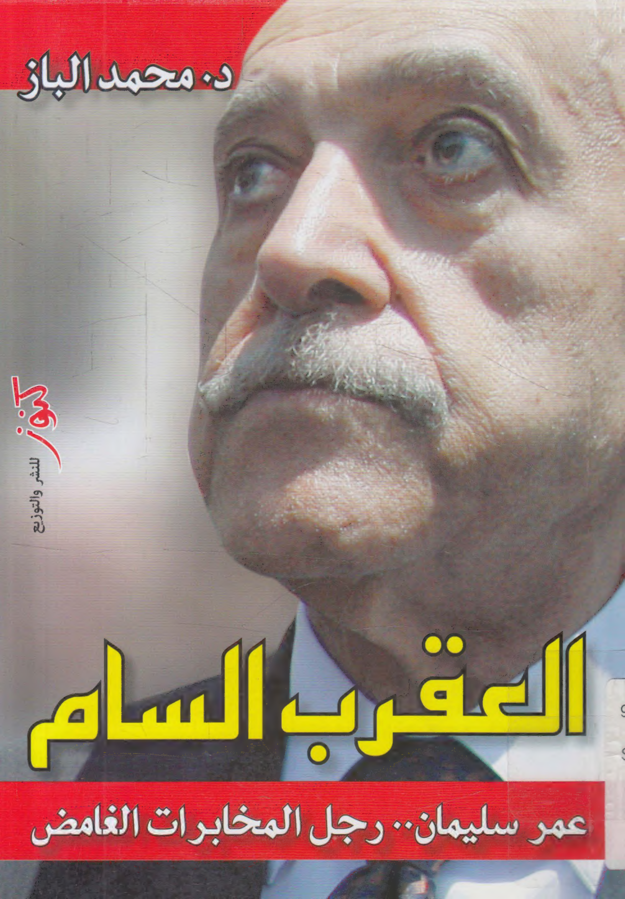

د. محمد الباز

العقرب السام

عمر سليمان.. رجل المخابرات الغامض

كنوز للنشر والتوزيع

العقرب السام

عمر سليمان ... جنرال المخابرات الغامض

اســم الكتــاب: العقرب السام: عمر سليمان ...
جنرال المخابرات الغامض

المــؤلـــف: د. محمد الباز

تصميم الغلاف: عيد رحيل

الإشراف العـام: ياسر رمضان

الناشـــر

كنوز

للنشر والتوزيع
14 شارع جواد حسني متفرع من شارع قصر النيل - القاهرة
تليفاكس: 0223961698 محمول: 01227717795
email:kenouz55@yahoo.com

رقـم الإيـداع: 2013 / 21331
الترقيـم الدولي: 978-977-709-146-6

الطبعة الأولى 2013

د. محمد الباز

العقرب السام

عمر سليمان ... جنرال المخابرات الغامض



2013



«الموت بيد الله ... أما الحياة فبيد الإنسان»



«إذا اختلفت الآراء فى رجل واحد ... .ضاعت حقيقته»



«لا يحدث للإنسان ما يستحقه فقط ... بل ما يشبهه أيضا»

أندريه مالرو



«عندما يموت مدير مخابرات قوى مثل عمر سليمان، لا يفكر أحد أبدا أن موته أمر طبيعى ... فمؤكد أن هناك من أراد قتله والتخلص منه، ومن هنا تبدأ الأسئلة المشروعة»


٥
تساؤلات مشروعة

هل كان منطقيا أن يموت عمر سليمان أولا؟

كان الرجل الأقل حملا ... والأخف وزنا ... والأوفر حظا من رفاق طريقه داخل نظام مبارك ... فرغم أنه كان الرجل الثانى قولا وفعلا فى دولة دانت لأصحابها بكل ألوان القهر ... إلا أنه خرج منها كفافا لا له ولا عليه، ولو أنه لم يقترب من إنتخابات الرئاسة طارحا اسمه فيها بقوة، ما ناله أحد بسوء ولو بكلمة.

كثيرون كانوا أولى منه بهذه النهاية السريعة الغامضة.

مبارك الذى يعانى أمراضا حقيقية كان أولى بالموت ... فرعون دولته تهاوت أمام عينيه فى أقل من ثمانية عشر يوما ... رأى أولاده أمام عينيه فى السجن ... ضاع تاريخه كله دون أن يستطيع دفع كل الإتهامات التى تدخله إلى أسوء صفحات كتاب التاريخ ... لو أن لديه إحساسا أو شعورا بالذنب لسقط، لكنه يعافر ... وكأنه قرر أن يعيش إلى الأبد.

عدد من رجال مبارك الطاعنين فى السن زكريا عزمى وصفوت الشريف وفتحى سرور وحبيب العادلى خرجوا من سجنهم فى مزرعة طره ليجروا عمليات جراحية بعضها خطير ... لكنهم يعودون بعدها ربما أكثر صحة مما كانوا ... وكأنهم يعاندون الموت ... أو أن الموت هو الذى يعاندهم ... وهو الأقرب والأدق والأصوب.

لم يتعرض عمر سليمان للضغوط التى تعرض لها مبارك ... لم يجلس أمام محقق يسأله ويستجوبه ويتهمه بالفساد وقتل المتظاهرين ... ذهب إلى النيابة معززا مكرما ليلقى بشهادته

عن الإتهامات الموجهة لمبارك ... لم يتهمه أحد جنائيا بتدبير موقعة الجمل، الأمر اقتصر على الإتهام السياسى ... وفى النهاية لم يجد نفسه سجينا بلا حول ولا قوة.

على العكس تماما وجد الرجل نفسه فى بؤرة الأحداث ... كان يمكن أن يخوض معركة الرئاسة - لو كان قدر له ذلك كانت أمور كثيرة اختلفت - أتيحت له الفرصة ليتحدث ويفضح ويكشف ويواجه ... وعندما أراد أن يسافر خارج مصر لم يعترض أحد طريقه ... بل إنه انتقل ما بين أبو ظبى وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية التى عاد منها مجرد جثة هامدة.

ابتعد عمر سليمان عن كل ما يمكن أن يهزه نفسيا أو يهزمه روحيا ... عندما قرر أن يعتزل الناس فعلها دون أن يطارده أحد ... وعندما أراد أن يطل بوجهه مرة أخرى على الناس وجد من يسانده، بل ذهب آلاف المصريين إليه ليرشح نفسه فى الإنتخابات الرئاسية ... فهو الأمل الأخير للخائفين على مصر من اختطاف الإخوان لفرحتها وبهجتها.

لكن ورغم ذلك قيل أن الرجل مات لأنه لم يتحمل نفسيا ما جرى لمصر ... وما سيجرى لها من تجريف على يد الإخوان المسلمين.

مدير مكتبه حسين كمال نفى أن تكون وفاة عمر سليمان لأسباب نفسية، قال نصا: «ما كان يعانيه سليمان لم يصل إلى مرحلة الإكتئاب التى تحتاج إلى الطب النفسى للعلاج، لكن حالته النفسية كانت سئية شأنه شأن معظم المصريين القلقين من المجهول وما ينتظر مصر من مصير لا يعلمه إلا الله وحده، ويمكن تلخيصها فى أنها مجرد متاعب نفسية».

حسين كمال تحدث كثيرا، ولأنه فعل ذلك فقد وقع فى متناقضات كثيرة، بعضها يبدو مما قاله لمجلة المصور فى حوار طويل، قال: «معلوماتى المؤكدة أن اللواء عمر سليمان لم يكن مصابا بأية أمراض قبل الثورة، ولكن تصورى أن الظروف الصعبة التى مرت بها البلاد انعكست على حالته النفسية، وأدت إلى إصابته ببعض الأمراض العضوية خلال الستة أشهر الأخيرة، لدرجة أنه كان لا يأكل وأصيب بحالة من الهزال والضعف الشديد، انقصت وزنه نحو عشر كيلو جرامات لعدم قدرته على البلع، ثم ظهرت بعض المشكلات فى الرئة سافر على إثرها إلى ألمانيا وأزال كمية من المياه على الرئة، ولكن عندما تكرر الأمر اضطر للسفر إلى

مستشفى كيفيلاند بالولايات المتحدة الأمريكية باعتباره أكثر مستشفى متخصص فى علاج هذا النوع من المرض».

هنا إشارة واضحة من رجل كان قريبا من عمر سليمان بما يكفى إلى أن البداية كانت نفسية ... وأن الرجل الذى قضى حياته كلها فى حروب ومعارك ... آخرها كانت معركة فاشلة فى خوض إنتخابات الرئاسة المصرية فى 2012 وقبلها معركة أكثر فشلا فى إنقاذ نظام مبارك من الزوال ... يمكن أن تقضى عليه بعض الأمراض النفسية لأنه كان يخاف على مصير مصر وما سيجرى فيها.

المرض النفسى لا يتوقف آثره عند حدود تشخيصه بالطبع، فلو أهمل المريض نفسه فإنه يمكن أن يتسبب له فى أمراض عضوية، لا يكون بعيدا أبدا أن تقضى عليه تماما، وتقريبا هذا ما أراده الرجل المقرب من سليمان، فالرجل تعب نفسيا، فتعب عضويا ... فتكاثرت عليه الأمراض ... فمات.

لكن تفاصيل ما جرى فى حياة الرجل وفى أيامه الأخيرة يقول أن مثل عمر سليمان لا يمكن أن يموت لمجرد أنه تعب نفسيا.

صحيح أن أقدارنا هى التى تحدد متى نرحل ... لكن هناك آخرون يمكن أن تكون لديهم رغبة فى أن نرحل ... أن نختفى من على المسرح تماما، وهؤلاء إذا تمكنوا لا يتأخرون أبدا عن تنفيذ مرادهم، وحتى يستريح الجميع نقول أن يد الأقدار التى تنفذ.

لقد كان هناك إصرار من جهات كثيرة على أن وفاة عمر سليمان طبيعية، و إذا ركنا قليلا إلى ما قاله مدير مكتبه حسين كمال سنجد شئيا جديدا من التناقض.

فالرجل الذى قال لمجلة المصور: «ليس لدى معلومات عن محاولة إغتياله فى المستشفى الأمريكى الذى كان يعالج به، ولكن على من عنده أى معلومات أو حتى شكوك فى هذا الأمر أن يتقدم ببلاغ إلى النائب العام فورا لكشف الحقيقة، لأن سليمان رمز مصرى يجب معرفة ملابسات وفاته».

نجده نفسه يقول فى حوار لمجلة الإذاعة والتليفزيون عندما سألته: «هل تستبعد أن يكون سبب الوفاة غير طبيعى»؟

قال: «لا أستبعد ... وهناك شكوك لكن لابد أن يكون لها أساس ودلائل، إن لم تكن هناك دلائل فالشكوك لا تكون فى محلها».

أغلب الظن أن الرجل المقرب من عمر سليمان لا يعرف الكثير، وهو حال من اجتهدوا أيضا فى معرفة ملابسات نهاية الرجل التى جاءت مفاجئة للجميع ... وهو ما يجعلنى أعيد السؤال مرة أخرى: **هل مات عمر سليمان مقتولا ...؟**

هل اغتالوا الرجل لأن دوره انتهى؟

وإذا كان حدث هذا فمتى وأين ...؟

وهل من المنطقى أن يقع الرجل المخابراتى العتيد بسهولة هكذا؟

ومن المستفيد من تغييب عمر سليمان عن الساحة السياسية سواء كانت المصرية أو العالمية؟

كل هذه أسئلة أراها مشروعة جدا ... وليس علينا إلا البحث عن إجابات لها عبر مصادر كثيرة ومتعددة ... بعضها تحدث مباشرة للصحف ووسائل الإعلام المختلفة، وبعضها فضل أن يتحدث بما عنده دون أن يفصح عن هويته؟ قد تكون الإجابات ناقصة مبتورة ... لكنها فى النهاية ستحاول تقديم الجانب الأكبر من الصورة التى يريد الجميع طمسها لأسباب كلها معروفة.

نهاية عمر سليمان ليست غايتنا فقط ... فالرجل الذى عاش ربما أكثر من عمره بقرون طويلة من فرط ما رآه يستحق أن نبحث قليلا وراء حياته ... فمن يدرى؟ ربما يكون هذا الرجل خاتمة كتاب الأساطير فى مصر ... بعد أن عبرت إلى عهد قرر المصريون فيه أن يكون رئيسهم مجرد موظفا لديهم ... وحتى لو أراد أن يتفرعن لن يستطيع ... فقد مضت عصور الفرعنة إلى غير رجعة - أو هكذا أتمنى-؟

الباز ... أغسطس 2012

الفصل الأول

1



عن الجنرال القتيل

لا يملك أحد كلمة فصل واحدة فى نهاية عمر سليمان.

الذين يعتقدون بمقتله غدرا فى مستشفى كيفيلاند بأمريكا يعتمدون على تقارير صحفية تناثرت فى الصحف المصرية، ربما دون أن ينتبه لها أحد ... والذين يعتقدون أن مؤامرة إغتياله حيكت قبل موته بشهور يعتمدون على بلاغات قدمت بالفعل إلى النائب العام، دون أن يدرى أحد ما الذى جرى فيها ولها بالضبط ... أما الذين يؤكدون أن الرجل مات موتته التى كتبها الله، فيعتمدون على تقارير طبية صادرة عن المستشفى الأمريكى تقول أنه لا مؤامرة ولا إغتيال ... والأمر كله قضاء الله وقدره، وحتى لو كان غريبا ومريبا ... فالأقدار لا تفعل بنا إلا الغريب والمريب.

يمكن أن نستسلم إلى كلام بسيط - وربما يكون معبرا - قاله الخبير الإستراتيجى سامح سيف اليزل والمعروف بقربه من دوائر مخابراتيه وكان قريبا من عمر سليمان.

قال سيف: «سليمان فى الفترة الأخيرة كان مقيما بدولة الإمارات، وهناك شهدت حالته الصحية تدهورا سريعا، فرافقه أحد الأطباء الذين كانوا معه - وهو يعمل بمستشفى وادى النيل التابع لجهاز المخابرات - إلى ألمانيا، وهناك تم سحب كميات كبيرة من المياه المترسبة على الرئتين لمساعدته على عمليات التنفس التى كان يعانى من صعوبتها، بعدها ذهب إلى الولايات المتحدة التى وصلها فجر الإثنين الموافق 16 يوليو 2012، وتم عمل فحوصات كاملة، وصدرت تقارير بطبيعة الحالة وتم إكتشاف داء النشوانى الذى أثر على وظائف العديد من أعضاء الجسد خاصة الكلى

والقلب والرئتين، وتقرر على إثرها عمل عملية بذل جديدة يوم الأربعاء 18 يوليو، ولم يتحمل سليمان فتوفى فى فجر الخميس 19 يوليو فى تمام الساعة الرابعة والنصف صباحا بتوقيت القاهرة».

بالقرب من شهادة سامح سيف اليزل يمكن أن تكون شهادة كاتب بحجم الكاتب العربى جهاد الخازن، الذى التقى بعمر سليمان قبل وفاته لساعات ثلاثة متصلة لها قيمتها التى لا يمكن أن ينكرها أحد.

يقول الخازن: «كنت أعرف أن اللواء يعانى من مرض القلب والرئتين، إلا أننى جلست معه ثلاث ساعات فى مايو 2012، ولم أر منه سوى صحة وعزيمة، ورغبة معلنة فى العودة إلى المعترك السياسى فى بلاده، وعندما قرأت فى شريط أخبار التليفزيون خبرا مستعجلا عن موته فى كليفلاند بالولايات المتحدة، فكرت أنه قتل لكتم أسراره، ثم استبعدت ذلك لشهرة المستشفى الذى كان يعالج فيه».

يضيف الخازن: «بعد دقائق تلقيت اتصالا من طالبة دكتوراه فى لندن، أصرت على وجود مؤامرة وأن الأمريكان اغتالوا اللواء عمر سليمان، ونسبت رأيها إلى حماسة الشباب، إلا أننى فوجئت بعد ذلك أن كل من أعرف من خبراء وزملاء وأصدقاء أصر على أن اللواء أغتيل أو رجح ذلك، وكان الغالب على تفكير من أعرف أنها مؤامرة أمريكية - صهيونية.

لا يجزم جهاد الخازن كما يقول هو - بشئ، ولكنه حاول أن يصحح صورة اللواء عند ناس لا يعرفونه، ولا يطلب سوى رحمة ربنا له ولنا جميعا.

ما قاله سامح سيف اليزل وجهاد الخازن يمكن أن يكون ملخصا وكافيا، لكن قد يكون مهما أن نقرأ تقارير أخرى تناثرت بين صفحات الصحف دون أن ينتبه لها الكثيرون أو أنهم تعمدوا ألا ينتبهوا لها.

التقرير الأول نشرته جريدة روزا اليوسف وجعلت من مضمونه عناوين صفحتها الأولى فى 3 أغسطس 2012.

يقول التقرير: فى تطور غريب وخطير اختفت العينات الحيوية الخاصة بملف المريض المتوفى المصرى الجنسية «عمر محمود حسين سليمان» من داخل ثلاجات حفظ العينات فى

مستشفى كليفيلاند الجامعى فى ولاية أوهايو الأمريكية، والتى أخذت فى وقت سابق وآخر لاحق للوفاة طبقا لإجراءات طبية مقننة.

يكشف التقرير أن الجنرال رحمه الله عند دخوله إلى المستشفى تم أخذ 16 عينة طبية مختلفة من جسده، منها مسحة حيوية من الرئة والطحال والكبد والأمعاء مع عينتين للدم، بالإضافة إلى عينة متكررة من البول والبراز وخصلة من شعر الرأس ومسحة بيولوجية دقيقة من الجلد أخذت تحت المجهر مع عينة أخرى من المرئ والبلعوم، عينة مركزة من النخاع الشوكى والدم، أخذت عقب الوفاة مباشرة، وكان المفروض حفظ كل العينات مع تقارير وصف الحالة الطبية والإشاعات وتفاصيل رسم القلب والمخ التى أخذت من الجنرال قبيل وفاته وبعدها بشكل مباشر.

المفروض أن تلك العينات وطبقا للقانون الفيدرالى يجب حفظها فى ثلاجات مخصصة لذلك الأمر لمدة لا تقل عن 10 أعوام كاملة تعرف بالأرشيف الحيوى، تحت أقصى درجات السرية بمعايير طبية وعلمية وقانونية خاصة محددة ومشددة فى القانون الطبى الأمريكى.

ويرجع ذلك لإتاحة البيانات الحيوية لكل مريض عند الحاجة لإجراء أى نوع من التحقيقات التى يمكن لأسرة المتوفى أو للجهات والسلطات النيابية والقضائية الأمريكية طلبها عند الضرورة.

وكما يشير تقرير روزاليوسف فإن الكيانات الطبية الأمريكية المختلفة لا يمكنها طبقا للقانون إخفاء عينات المرضى أو تدمير الأرشيف الحيوى لكل حالة وفاة وإلا تعرض مرتكب الجريمة لعقوبة جنائية تصل للسجن عشرة أعوام دون إمكانية للعفو، ويتعرض الكيان الطبى نفسه للغرامة والعقوبة الإدارية التى تصل لحد غلق المكان نهائيا وسحب رخص مزاولة المهنة، مع دفع تعويضات تصل إلى ملايين الدولارات طبقا لأحكام المحاكم الأمريكية فى قضايا مشابهة.

كانت هذه فرشة لازمة ليصل التقرير إلى حالة عمر سليمان تحديدا، يقول عنها: إن ملفات البيانات والتقارير الطبية الورقية الخاصة بحالة المتوفى عمر محمود حسين سليمان قد اختفت تماما من سجلات مستشفى كيفيلاند الجامعى فى ولاية أوهايو الأمريكية بعد أن تم

نسخها ثلاث نسخ، ذهبت بالتوالى ... الأولى للمباحث الفيدرالية، والثانية لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، والثالثة سلمت لهئية الأمن القومى الأمريكى، فى سابقة أشارت إليها مصادر أمريكية بأنها ترجع لمكانة عمر سليمان الدولية.

بهذا تصبح بيانات ملف الراحل عمر سليمان الطبية منذ تاريخ الوفاة سرا من أسرار الأمن القومى الأمريكى، لا يكشف عنه إلا عقب مرور 50 عاما كاملة، وقد ختمت السلطات الأمريكية المعنية على ملف الراحل الشخصى بخاتم قانون أسرار الأمن القومى وتاريخ 19 يوليو 2062 لإتاحة ملف سليمان كاملا للعامة.

يخلص تقرير روزاليوسف إلى أنه وطبقا لمصادر أمريكية داخل مستشفى كيفيلاند الجامعى لم تجر أى إختبارات خاصة بالسموم المتطورة على المريض عمر سليمان، رغم وفاته الغامضة والسريعة، كما لم تجر للراحل اختبارات الحالات الخاصة للشخصيات الهامة والعاملة فى أجهزة المخابرات العالمية، وهى إختبارات عدم تعرض المريض لأنواع سموم « البولنيوم المشع » التى تستخدمها أجهزة المخابرات الشرسة فى العالم ومنها الموساد الإسرائيلى ضد أهدافها، كما حدث فى حالة الرئيس الراحل ياسر عرفات.

لم تمض الأمور دون تفسير فهذه الرواية التى حملها التقرير كان لابد لها من قفلة منطقية، وعليه فقد فسر المستشفى الأمريكى عدم إجراء تلك التحاليل المهمة والضرورية فى حالة الوفاة الغامضة للجنرال المصرى، لعدم طلب أى جهة أمريكية إجرائها كما لم تصر داليا ورانيا (نجلتا سليمان) المسجلتين كمرافقتين له يوم الوفاة على ضرورة عمل الإختبارات المتقدمة وهو ما يخلى مسئولية المستشفى الجنائية.

لا تزال هناك قفلة أكثر سخونة، يختتم التقرير بقوله: «فى هذه الأجواء أكد أطباء داخل مستشفى كليفيلاند - اشترطوا عدم ذكر بياناتهم - أن وفاة الجنرال عمر سليمان فيها شواهد علمية من الغموض، جلعتهم يشكون فى تعرضه لحالة غامضة من حالات السرطان المتقدم دون تفسير علمى أو تاريخ طبى للمرض».

التقرير بهذه الطريقة لا يشفى غليل أحد، ولا يجيب على أى من الأسئلة الشائكة والحائرة، بل يزيد الحيران حيرة، قد تتوقف قليلا أمام كاتبه وهو الصحفى والمترجم توحيد مجدى،

المعروف فى أوساط ضيقة فى الصحافة المصرية بأن له مصادر قوية تحديدا فى جهاز المخابرات العامة، وأنه لا ينشر من فراغ، بدليل أن كثيرا مما نشره لم يكذبه أحد، أو يراجعه فيه أحد.

إن هذا التقرير يغلق الطريق أمامنا من حيث أراد أن يفتحه، فلا يمكن لأحد أن يعرف ماذا جرى لعمر سليمان فى أمريكا إلا بعد خمسين عاما، وهى الفترة الى يحددها القانون الأمريكى لإتاحة الوثائق الخاصة بالأمن القومى الأمريكى ... وكأنه يريد - أو من سربوا المعلومات - يريدون أن يتوقف البحث عن عمر سليمان، لتدخل وفاته ضمن قائمة طويلة للغاية من الموت الغامض الذى حدث لمشاهير المصريين خلال القرن الماضى.

* * *

الشكوك والريبة التى يرسل بها التقرير شبه المخابراتى عن وفاة عمر سليمان، يقابلها يقين ورد فى بلاغ تقدم به السياسى المصرى محمد فريد زكريا (عضو مجلس شورى سابق) إلى النائب العام يتهم فيه المخابرات الأمريكية وبشكل واضح بإغتيال عمر سليمان ،وقدأرسل لى نسخة كاملة منه.

جاء فى بلاغ فريد زكريا ما يلى:

يقول: «لعب القدر دورا فى توطيد علاقة ثقة بينى وبين اللواء الشهيد عمر سليمان، ثم انقطعت هذه العلاقة لمدة خمس سنوات، ومنذ أكثر من شهر تقريبا رن الموبايل برقم غير مرئى، فسمعت متحدث يقول: إزيك يا فريد عامل ايه، فقلت: الحمد لله مين سيادتك، فقال: أنا عمر سليمان».

طبقا لما ذكره فريد زكريا، سأله عمر سليمان:هل وقتك يسمح بأن أشوفك؟ فقال له: تحت أمر سيادتك، فقال له سليمان: أنا فى مستشفى وادى النيل، أحضر الساعة 11 مساء وستجد من ينتظرك على الباب.

انتهت المكالمة، وذهب فريد زكريا إلى مستشفى وادى النيل، فقابله شخص من طرف سليمان، وفى سرية تامة أدخله سويت خالى من المرضى فى الطابق الثالث تقريبا، وبعد عشر دقائق حضر اللواء عمر سليمان، وهو فاقد أكثر من 15 كيلو من وزنه المعتاد.

يستكمل فريد زكريا روايته يقول: « قال لى اللواء سليمان لقد اخترت الإتصال بك لأنهم لن يتوقعوا أن أتصل بك، ثم قال: لقد تعرضت يا فريد لعملية إغتيال ناجحة من الأمريكان وكانت متوقعة، ثم كشف لى بعض أخطر الأسرار، أهمها والمسموح به الآن أنه تصدى لمخطط أمريكى إسرائيلى بتوطين 750 ألف فلسطينى فى سيناء على دفعات، وهو الحل المتاح الآن لحل القضية الفلسطينية وفلسطينى الشتات».

سليمان قال لفريد – طبقا لروايته -: هناك بعض المسئولين وافقوا على هذا الحل، لأنه كان شرط الأمريكان للتدخل لصالح مرشح الرائسة الذى يوافق على هذا الحل.

يكمل زكريا: « أبلغنى سليمان أنه زهد العمل السياسى، وأنه كان سيعيش لأولاده وأحفاده ولعمل الخير ولكنه رشح نفسه، لكى يستبعد من لجنة الإنتخابات مع خيرت الشاطر وحازم أبو إسماعيل لخطورة إستبعادهم وحدهم».

يصل فريد زكريا إلى ما جرى فى جريمة إغتيال عمر سليمان كما يرى هو، يقول: «فتح قلبه وكوانى بالكثير من الأسرار المؤلمة، وقال: لقد عرضونى لشئ ليس عن طريق الفم، وأنا لن أعيش طويلا، فقد أصبت بمرض خطير جدا غير معلوم، أنهك قواى وأفقدنى وزنى ويسبب آلام خطيرة، وسوف أسافر إلى ألمانيا ولا أتوقع أنهم سوف يجدون حلا، وقال ... وقال ... المهم أنه سافر إلى ألمانيا، ثم اتصل بى وقال: مرضى لا علاج له وسوف أسافر إلى الإمارات ثم أتوجه سرا إلى أمريكا بترتيب من قائد عربى، فتمنيت له الشفاء، وسافر ثم عاد هذا البطل الشهيد جثة هامدة.

لا يكتفى فريد زكريا بما قاله له عمر سليمان، بل يحشد دليلا آخر على أن الرجل قتل، يقول: «أراد الله بمصادفة غريبة، بل بآية من عنده، أن يتصل بى صديق مصرى أمريكى (هاجر إلى أمريكا منذ سنوات طويلة) وكان حزينا جدا على ما جرى للواء عمر سليمان، قال لى أنه يعمل باحث فى الواشنطن بوست، وأنه سوف يبلغنى خبرا سئيا جدا، ولكنه للتاريخ، فأقسم بالله أنه حصل من مصدر مهم جدا فى cia أن اللواء عمر سليمان عندما تكلم فى مصر للصحفيين بعد أن رشح نفسه للرئاسة وقال أنه سيفتح صندوقه الأسود، حدث ذعر فى المخابرات الأمريكية، فقرروا التخلص منه استنادا للقانون الأمريكى الذى يتيح لوكالة

المخابرات التخلص ممن يهدد المصالح الأمريكة ويعلم أسرار خطيرة يمكن إفشاؤها، وتضر بحلفاء الولايات المتحدة الأمريكية.

الصديق الأمريكى أخبر فريد زكريا أن المخابرات الأمريكية رفعت الأمر للرئيس باراك أوباما فوافق على خطة الإغتيال، لتتوجه بعد ذلك مجموعة نسقت مع السفارة الأمريكية بالقاهرة وتربصوا به أثناء خروجه من صلاة الجمعة ووقوفه مع الجماهير، سلطوا عليه من بعد موجات من أشعة متقدمة تتفاعل مع بروتينات الجسم، ثم استكملوا المهمة فى أمريكا.

هنا إتهام واضح وصريح من مواطن مصرى للرئيس باراك أوباما بأنه من اغتال عمر سليمان، وقد أضاف فريد زكريا إلى قائمة الإتهام السفيرة الأمريكية آن باترسون فى البلاغ الذى تقدم به إلى النائب العام يحدد المخابرات الأمريكية كجهة منفذة لإغتيال سليمان بأوامر من أوباما وتنسيق مع السفارة الأمريكية فى القاهرة.

وقد يكون نص البلاغ نفسه مفيدا بديباجته القانونية.

يقول البلاغ: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، يسعدنى أن نؤكد بالأصالة عن نفسى وبالإنابة عن حزب الأحرار أقدم الأحزاب بعد ثورة يوليو والأمانة العامة لتجمع ائتلاف الثوار الأحرار، أن نؤكد تقديرنا واحترامنا وامتناننا للسلطة القضائية فخار شعب مصر العظيم، وأنكم رمز للعدالة وعدالة الله على الأرض، وأنكم مسئولون أمام الله عن ظلم وقمع وانتهاك حقوق وحياة المواطن المصرى الذى يتوجه لسيادتكم.

لهذا يتشرف النائب السابق محمد فريد زكريا رئيس حزب أحرار الثورة، والأمين السابق لتجمع إئتلاف الثوار الأحرار وعضو مجلس الشورى الأسبق، ضد كل من :

أولا: الرئيس باراك أوباما رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بصفته وشخصه، ومحله البيت الأبيض الأمريكى أو السفارة الأمريكية بجاردن سيتى (المشكو فى حقه الأول).

ثانيا: معالى رئيس المخابرات المركزية الأمريكية بصفته وشخصه ومحله مقر المخابرات المركزية الأمريكية أو السفارة الأمريكية بالقاهرة (المشكو فى حقه الثانى).

ثالثا: معالى السفيرة آن باترسون سفيرة الولايات المتحدة الأمريكية بصفتها وشخصها ومحلها مقر السفارة الأمريكية بجاردن سيتى (المشكو فى حقه الثالث).

وأتشرف بعرض الآتى:

أولا: أن فخامة الشهيد عمر سليمان الذى تلى بيان تخلى مبارك المخلوع عن السلطة إلى المجلس الأعلى للقوات المسلحة استمر فى منصب نائب رئيس الجمهورية لأن الرئيس المخلوع لم يقله، ولم يقله المجلس الأعلى للقوات المسلحة، كما أنه لم يقدم استقالته، لذا فقد استمر يشغل منصب نائب رئيس الجمهورية حتى استشهاده، وكان يعامل خارجيا بصفته نائبا لرئيس الجمهورية.

ثانيا: كانت تربطنى علاقة قوية طويلة ومحل ثقة بفخامة الشهيد عمر سليمان الذى استشهد بعد أن كشف لى أثناء مرضه مخاوفه من التصفية الجسدية وبعض الأسرار.

ثالثا: أن فخامة نائب رئيس الجمهورية الشهيد عمر سليمان أصيب فجأة وهو مقيم بالقاهرة بمرض خطير غير معلوم، يدمر بروتينات الجسم، ليس له علاج استنزف طاقته وشهيته ووزنه.

يعدد فريد زكريا دوافع المتهمين لإغتيال عمر سليمان فى الآتى:

أولا: اعتادت الإدارة الأمريكية من أجل مصالحها والمخططات الأمريكية الصهيونية بتصفية الأنظمة التابعة لها عقب إستهلاكها وعدم نفعها، كما فعلت مع النظام المصرى السابق، وتهيئة المناخ للنظام الجديد وتصفية أخطر المعارضين له والتخلص من الرموز الوطنية للعهد السابق.

ثانيا: فخامة اللواء عمر سليمان كان صندوق الأسرار الخطيرة والرهيبة التى تهدد الكثير من القادة العرب العملاء والمخطط الأمريكى الصهيونى فى المنطقة ،لذا لابد من حتمية قتله والتخلص منه، وحتى لا تظهر مذكراته الخطيرة التى سوف تهدد مصالحهم (كما أكد سليمان لزكريا خلال لقاءه به فى مستشفى وادى النيل) وهو ما أكده تليفونيا عقب عودته من العلاج من ألمانيا، عندما عجز الأطباء الألمان عن علاجه وأبلغوه أن علاجه ربما يكون فى الولايات

المتحدة الأمريكية، وأكد أنه قلق من السفر إلى هناك نظرا الماضى أجهزة مخابراتها، ومن شكل ترحابهم به للعلاج وخاصة أنهم طلبوا أن يكون السفر من الإمارات وبشكل غير معلن.

ثالثا: القانون الأمريكى يعطى للمخابرات المركزية شرعية الإغتيال فى حالة وجود شخصيات تمثل خطرا على المصالح الأمريكية وتعلم أسرارا خطيرة جدا يمكن إفشاؤها، وكل هذه المواصفات تنطبق على فخامة الشهيد عمر سليمان الذى تم إغتياله على الأراضى المصرية.

وينتقل فريد زكريا بعد ذلك إلى كيفية تنفيذ عملية الإغتيال، يقول:

أولا: لاحظ الشعب المصرى العظيم تمتع فخامة نائب رئيس الجمهورية اللواء عمر سليمان بصحة جيدة، أثناء إلقاءه بيان الرئيس مبارك المخلوع بالتخلى عن السلطة، كذلك أثناء تقديمه لأوراق الترشح لإنتخابات رئاسة الجمهورية، عندما ضغطت عليه الجماهير.

ثانيا: أكد الشهيد عمر سليمان أثناء مرضه بمستشفى وادى النيل أنه يعانى من مرض غير عادى ونادر وأنه يعتقد أن هناك من عرضه لأشعة ما وخاصة أن المرض ظهر فجأة وبدون مقدمات وليس له علاج.

ثالثا: اللواء عمر سليمان وعقب إعلانه بأنه الصندوق الأسود وأنه سوف يكشف الكثير من الأسرار - وكما أخبرنى صديق مصرى أمريكى - أثار فزعا بجهاز المخابرات المركزية الأمريكية، لما يعلم من أسرار تهدد المصالح الأمريكية، وصدر قرار بالتخلص منه وعرض على الرئيس الأمريكى فوافق وحصلوا على موافقته، فكلفوا مجموعة بالتنفيذ فأقامت بالسفارة الأمريكية بعد إعلام السفيرة آن باترسون بالقرار الأمريكى، ثم قاموا بتعريض اللواء عمر سليمان من بعد وبواسطة جهاز أشعة صغير لموجات متتالية من الأشعة المتقدمة التى تتفاعل مع بورتينات الجسم، وذلك عقب خروجه من صلاة الجمعة وأثناء وقوفه مع المواطنين (وهكذا تم الإغتيال على الأراضى المصرية).

نصل إلى ختام البلاغ يقول زكريا: « لقد توافرت أركان جريمة القتل وهو شخص ذو صفة سياسية رفيعة تقلد منصب رئيس جهاز المخابرات العامة لمدة تصل إلى عشرين عاما، ثم

تولى منصب نائب رئيس الجمهورية (الرجل الثانى فى البلاد) فقتلوه بأبشع جرائم القتل التى ارتبكها المشكو فى حقهم من الأول إلى الثالث، وقد عرضت على سيادتكم نماذج من الأدلة القاطعة الدامغة (مع ملاحظة إحتراف جهازى المخابرات المركزية الأمريكية والصهيونية لعمليات الإغتيال بأجهزة أشعة متقدمة لا تترك أثرا إلا فى حالة الصدفة كما حدث مع الشهيد المناضل الرئيس ياسر عرفات).

لهذا تتوافر فى حق المشكو فى حقهم الظروف المشددة التى تستوجب عقابهم بأقصى العقوبات المقررة فى قانون العقوبات المعدل فى هذا الشأن، وما يستوجب سرعة إتخاذ الإجراءات ضدهم بمعرفة سيادتكم تبعا لصحيح القانون، تمهيدا لإحالتهم إلى محكمة الجنايات، لأن الجريمة وقعت على الأراضى المصرية، وأشهد والله على ما أقوله شهيد أن روح الشهيد عمر سليمان فى رقبتنا جميعا، وسوف أسألكم أمام الله عن هذا البلاغ، وعما اتخذتموه من عقوبات مناسبة مع مرتكبى هذه الجريمة البشعة لتنفيذ عدالة الله فى أرضه مهما كانت قوتهم وسلطتهم وبطشهم ... اللهم فاشهد».

سيكون على فريد زكريا أن يقدم أدلة على ما قاله، فالنيابة يمكن ألا تلتفت إلى بلاغ الخيال فيه واضح جدا، سيكون على الرجل أن يقدم شهودا على أنه زار عمر سليمان فى مستشفى وادى النيل، وحتى لو فعلها، فما الذى يجعل النائب العام يستريح إلى أن سليمان أسر له بما لديه، فلم يكن معهما شهود.

وسيكون على فريد زكريا أن يستعين بصديقه الذى حدثه من الولايات المتحدة، ونقل له ما دار من ذعر فى المخابرات الأمريكية التى قررت أن تغتال سليمان بمجرد إعلانه عن فتح صندوقه الأسود، سيطالبونه بأن يحصل على قرار موافقة الرئيس الأمريكى بإغتيال عمر سليمان، ولأن الرجل لا يملك إلا روايات فقط فسوف يدخل البلاغ أدراجا سحيقة لن يخرج منها أبدا.

❋ ❋ ❋

لقد نشرت تفاصيل إغتيال الصحفى المصرى رضا هلال، وهو الذى اختفى فى ظروف غامضة فى العام 2003، توافرت لدى مصادر أكدت أن حبيب العادلى وزير داخلية مبارك هو

من قتله، وأن رجال مباحث أمن الدولة عندما كانوا يضربونه للتأديب، ولأنه كان ضعيف البنية مات فى أيديهم، فوضعوه فى الجير الحى، ثم دفنوا ما تبقى من جسده فى إحدى مقابر البساتين.

تقدمت أسرة رضا هلال ببلاغ إلى النائب طالبت فيه بشهادتى، وأمام وكيل النائب العام قلت له ما لدى من معلومات حصلت عليه من مصادر ذات ثقة وثقل، لكن وكيل النائب العام وبمنطق قانونى بحت، قال: كل هذه المعلومات لا قيمة لها إلا فى حالة واحدة، وهى أن تدلنا على القبر الذى تقول أن رجال مباحث أمن الدولة دفنوا فيه بقايا جثمان رضا هلال، ولأننى لم أكن أعرف للقبر طريقا،أغلق البلاغ كما فتح تماما.

شئ من هذا لاقاه بلاغ فريد زكريا، خاصة أن كثيرا من تفاصيله يحتاج إلى تأمل.

لقد أشار فريد زكريا فى حوار أجرته معه مجلة المصور على خلفية هذا البلاغ إلى قوة علاقته بعمر سليمان، يقول عنها: « بدأت علاقتى باللواء عمر سليمان منذ 5 سبتمبر 1991 عندما كان وقتها مديرا للمخابرات الحربية، وكنت قد خرجت من الإعتقال على يد مباحث أمن الدولة لقيامى بنشر خبر فى جريدة شباب الأحرار التى كنت أترأس مجلس إدارتها بعنوان « فضيحة للحكومة المصرية ... نائب رئيس مجلس الوزراء متزوج من شقيقة شيمون بيريز، وكان د. بطرس غالى هو نائب رئيس مجلس الوزراء، وقد قدت وقتها حملة ضده، فأمر مبارك بإعتقالى وتم تعذيبى لدرجة أننى فقدت جزءا من قدرتى على الإبصار، ثم أفرجوا عنى وخرجت منهارا، لكنى كنت مصمما على كشف الحقائق، وتوسط لى د. محمد على محجوب وزير الأوقاف الأسبق، الذى كانت تجمعنى به صداقة للقاء اللواء عمر سليمان لأوضح له الحقائق لأن محجوب أخبرنى أن سليمان رجل وطنى وعلى علاقة جيدة بمبارك، لذا توجهت للقاءه لمنع تجسس بطرس غالى على مصر، وعندما قابلت اللواء سليمان وشرحت له الأمر فشعر بالمسئولية وقال: سأقوم بتوصيل الصورة واضحة لمبارك، وعرض على علاجى فى أى مستشفى وأعاد لى حقى، من يومها وتربطنى علاقة صداقة فريد زكريا باللواء عمر سليمان استمرت حتى عام 2007، كنت ألتقيه مرة تقريبا كل شهر، إلى أن طلب منه جمال مبارك وصفوت الشريف عدم مقابلتى».

ورغم قوة هذه العلاقة إلا أن الأمر يظل غريبا، فلماذا اختار عمر سليمان محمد فريد زكريا تحديدا، لماذا لم يفض بسره لأحد من رجاله فى جهاز المخابرات، أو أزواج بناته، أو

بناته تحديدا، لكن صمت الجميع عما قاله فريد زكريا، ولو أن ما تقدم به الرجل إلى النائب العام كان له ظلالا من الواقع أو أن عمر سليمان أفضى به لآخرين، لخرجوا لتأييده أو تأكيد كلامه على الأقل، لكن شئيا من هذا لم يحدث على الإطلاق.

* * *

على هامش الحديث عن نهاية عمر سليمان لابد أن نشير إلى الشائعة الكبرى التى صاحبت وفاته، فالرجل الذى أعلنت مستشفى كليفيلاند أنه مات فيها، خرج خصومه ليقولوا أن رجال الجيش السورى الحر هم من قتلوه.

بداية الشائعة كانت لدى فيصل القاسم المذيع السورى المثير للجدل والريبة فى قناة الجزيرة.

فيصل وعبر حسابه على تويتر فجر خبر إغتيال اللواء عمر سليمان إلى جانب «زعير شومير» رئيس المخابرات الصهيونية وعدد من كبار رجال قيادات النظام السورى الديكتاتورى فى عملية للجيش السورى الحر.

اجتهد كارهو عمر سليمان فنشروا صورا على شبكة الإنترنت معالجة ببرامج الفوتو شوب لرأس سليمان مهشمة تماما، كدليل على أن الرجل قتل فى سوريا التى ذهب إليها ليساعد بشار الأسد فى قمع المتظاهرين واخماد الثورة السورية تماما.

كان نص الخبر الذى تداولته بعض المواقع الإليكترونية مجهولة الهوية: « كشفت مصادر رسمية بالجيش السورى الحر أن اللواء عمر سليمان نائب الرئيس المخلوع ورئيس الإستخبارات المصرية السابق، قد قتل فى تفجيرات دمشق، حيث كان سليمان حاضرا فى اجتماع خلية الأزمة السورية قبل أيام، وأكدت المصادر أن سليمان قد تم نقله مصابا بإصابات بالغة إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى محاولة لإنقاذ حياته، قبل أن يلقى حتفه».

هذه الشائعة سرعان ما تبخرت، فقد كشف العقل المدبر لعملية التفجير التى استهدفت مقر الأمن الوطنى السورى فى قلب العاصمة دمشق، وأودت بحياة وزيرى الدفاع والداخلية ونائب رئيس الأركان آصف شوكت، إضافة إلى رئيس خلية إدارة الأزمة اللواء حسن تركمانى، عن بعض تفاصيل التجهيز للضربة التى أفقدت نظام بشار الأسد عقله وكبار معاونيه.

العقل المدبر للعملية أخفت جريدة «اليوم» السعودية هويته، لكنها نقلت عنه نفيه التام ما نشر على مواقع عربية وجود اللواء عمر سليمان نائب الرئيس المصرى السابق ضمن الإجتماع الذى ضم أعمدة نظام بشار، وهو ما ترتب عليه قتله قبل أن ينقل إلى الولايات المتحدة حيث أعلن خبر وفاته.

كلام العقل المدبر لتفجير دمشق لم يختلف كثيرا عن كلام رياض الأسعد قائد الجيش الحر السورى الذى تحدث هذه المرة لجريدة الخبر الجزائرية، فقد نفى لها أن يكون الرجل مات فى سوريا، قائلا نصا: « بخصوص الحديث الذى أذاعته وسائل الإعلام حول مقتل نائب الرئيس المصرى السابق عمر سليمان فى تفجير مقر الأمن القومى بدمشق، فهذا كلام غير صحيح ونحن لم نتبن هذا الكلام بأن سليمان مات فى تفجير مبنى الأمن القومى».

وكالة الأناضول التركية دخلت على الخط، حيث حصلت على تصريح من مصدر مسئول فى الجيش السورى الحر، نفى به وفيه ما تردد عن وجود نائب الرئيس المصرى السابق عمر سليمان ضمن أعوان الأسد، الذين قتلوا فى تفجير مبنى الأمن القومى بدمشق.

الوكالة وعبر الهاتف حصلت أيضا من بسام الدادة المستشار السياسى للجيش الحر، على تصريحات أكد خلالها أن رواية مقتل سليمان فى مبنى الأمن القومى السورى من صناعة المخابرات السورية، بهدف التشويش على العملية، وشغل الرأى العام المحلى والعالمى عن الحدث الأكبر الخاص بمقتل رموز نظام بشار الأسد.

المفاجأة أنه وبعد شهور من هذه التصريحات النافية لمقتل عمر سليمان فى سوريا، خرج هيثم المالح رئيس مجلس الأمناء للإئتلاف الوطنى السورى المعارض فى حوار مع جريدة الوطن المصرية فى 3 ديسمبر 2012، ليؤكد أن عمر سليمان كان موجودا بالفعل فى التفجير الذى استهدف اجتماع الخلية الأمنية الذى انعقد فى مقر مجلس الأمن القومى السورى فى حى الروضة بدمشق أوائل يوليو 2012 ... وأنه أصيب إصابات بالغة فى حادث التفجير، ونقل على أثره إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى محاولة لإنقاذ حياته، لكنها باءت بالفشل.

المالح أشار إلى أن عمر سليمان كان موجودا بتكليف مباشر من حاكم دبى محمد بن راشد آل مكتوم لإيجاد حل لملف امتلاك سوريا لأسلحة كيميائية، لأن هناك معامل لإنتاج هذه

الأسلحة، وقد اعتبر هذا الملف شماعة للغرب للتدخل فى سوريا مثلما حدث مع صدام حسين لدخول العراق واحتلاله، فجاء عمر سليمان للوصول إلى حل يرضى جميع الأطراف فى هذا الملف فوقع الإنفجار.

ويشير المالح إلى أن الإجتماع لم يضم عمر سليمان والسوريين فقط، بل كان هناك أيضا رجل المخابرات الأول فى كل من السعودية وتركيا وأمريكا إضافة إلى إسرائيل، وقد جرى التفجير الذى استهدفهم من خلال إدخال نوع معين ومتطور من القنابل التى لا تنفجر إلا فى الأجسام البشرية، وهو ما يفسر مقتل كل هؤلاء الأشخاص دون أن يهدم المقر أو ينهار، وليس غريبا أن يدخل البعض إلى عقر دار النظام السورى، فهو - كما يقول المالح - مخترق من الداخل بالكامل، وهو نظام تسوس من الداخل ومتهالك، ومن الطبيعى جدا أن نجد هيكلا لكن لا نجد أساسا قويا، لهذا لم يستغرب السوريون هذ الإختراق بعد أن وقع الإنفجار.

بعد أن حدث الإنفجار - الرواية لا تزال رواية المالح - طوقت المنطقة أمنيا تماما، وهبطت طائرات هليوكوبتر تتبع الجيش النظامى ونقلت كل أعضاء الخلية، ما بين جثث ومصابين، إلى مستشفى الشامى، وهو المستشفى المخصص لكبار رجال الدولة السورية، وهناك لم يستطيعوا إنقاذ عمر سليمان وتم نقله إلى أمريكا، ولكن توفى هناك.

لم ينس المالح أن يؤكد أن الصورة التى تناقلتها بعض مواقع التواصل الإجتماعى لجثة عمر سليمان وهى شبه متفحمة صحيحة مائة بالمائة، ويضيف أيضا إلى روايته التى لم يقدم عليها أدلة إلا أنه يقولها فقط، أن الإنفجار الذى قتل فيه عمر سليمان كان محاولة الإختراق الثانى لهذا المقر، وقد نجحت.

أما المحاولة الأولى فكانت من خلال دس السم فى وجبة الغداء للمجموعة اللأمنية المجتمعة آنذاك، وتحديدا فى طبق الشوربة، ولقد تم تهريب العامل الذى دس السم إلى الخارج.

لم يكتف المالح الذى يعرفه البعض بأنه من جماعة إخوان سوريا بما قاله لجريدة الوطن، بل صرح بنفس المعلومات لبرنامج «90 دقيقة» الذى يذاع على قناة المحور المصرية، وعندما نشر موقع اليوم السابع المعلومات منسوبة إلى المالح، بادر من أطلق على نفسه الدكتور سامح

بالتعليق - ضمن تعليقات الموقع على الخبر - على المعلومة بوصفه طبيبا يعمل فى مستشفى كيفلاند الأمريكية التى أعلنت وفاة عمر سليمان بداء النشوانى.

يقول الدكتور سامح نصا فى تعليقه: «أنا طبيب قلب مساعد بمستشفى كليفلاند بالولايات المتحدة الأمريكية حيث تم إيداع السيد سليمان قبل وفاته، رأيته بعينى فى المستشفى ولم يكن أبدا مصابا بقنابل أو أى شئ من هذا القبيل، تحدثت معه شخصيا قبل وفاته ب 48 ساعة، ولم يكن لديه أية أعراض غير أعراض مرضه الأخير، والذى يحمى القانون الأمريكى تفاصيلها لصالح أسرة المريض».

هذه الرواية ولأنها كانت مزعجة جدا، فقد تحركت أسرة عمر سليمان، وإن كانت أرادت أن تظل حركتها غير معلنة، وعبر عادل حمودة الكاتب الصحفى أعلنت العائلة بعضا من وثائق عمر سليمان التى تنفى حادثة سوريا من الأساس، وتنسف إدعاءات المالح التى لم يقدم بين يديها أى دليل منطقى أو حتى غير منطقى.

يشير عادل حمودة وقبل أن يثبت وثائق عمر سليمان الأخيرة، إلى أن معاناة الرجل الصحية بدأت فور خروجه من الرئاسة يوم 11 فبراير 2011، وظهرت الأعراض الأولية فى بحة متكررة، وصعوبة فى التنفس، وفقدان فى الوزن وصل إلى أكثر من عشرة كيلو جرامات.

وحسب توصية الأطباء فى مستشفى وادى النيل، وافق عمر سليمان على السفر إلى ألمانيا يوم الأحد 27 مايو 2012 بصحبة طبيب من المخابرات، وهناك صدر التشخيص بأنها حالة ضعف بسيط فى عضلة القلب، تسببت فى تكوين مياه على الرئة، صعبت عليه التنفس، وسببت البحة فى صوته، وبعد عملية بذل، عاد إلى القاهرة فى 3 يونيو.

تلقى عمر سليمان نصيحة من المشير حسين طنطاوى ألا يظل فى مصر طوال فترة الإنتخابات الرئاسية بعد استبعاده منها، فقرر سليمان أن يسافر إلى أبو ظبى، ووصل إليها بالفعل فى 9 يونيو 2012، وهناك عاودته أعراض التعب، فدخل مستشفى زايد العسكرى يوم الآثنين 25 مايو، لتتكرر عملية البزل وتزال المياه المتراكمة على الرئة، ووضع جهاز صغير يجمع المياه أولا بأول.

وفى الوقت نفسه طلب طبيب أمريكى فى المستشفى إجراء تحليل لمرض «أميلودويس» وهو مرض يوصف بالغموض، يشخص على أنه نوع من الأورام، يمكن أن يعيش به المصاب لسنوات طويلة، بشرط تقوية المناعة والحفاظ على حالته المعنوية المرتفعة.

اقترح الطبيب الأمريكى على سليمان السفر إلى مستشفى كيفيلاند فى ولاية أوهايو للتأكد من صحة التشخيص الجديد، لكنه سافر إلى ألمانيا مرة أخرى يوم الثلاثاء 3 يوليو 2012، وبقى هناك ثلاثة أيام فقط، طار بعدها إلى لندن يوم الجمعة 6 يوليو، وهناك التقى بعائلته ... زوجته السيدة ليلى يوسف، وبناته الثلاث، عبير زوجة الدبلوماسى أيمن القفاص، ورانيا زوجة عبد الحميد حمدى ابن الشهيد أحمد حمدى، وداليا زوجة رجل الأعمال فرج أباظة ... بقيت عبير مع أمها فى لندن، وسافرت داليا ورانيا مع والدهما إلى أوهايو يوم الأحد 15 يوليو.

حتى الآن هذه رواية يمكن أن تكون منسوبة إلى أسرة عمر سليمان أو حتى لآخرين، فلا دليل عليها، وهنا يأتى الدليل، فتواريخ سفر وعودة عمر سليمان كلها مأخوذة من أوراقه الرسمية، وتحديدا من على جواز سفره الخاص رقم 21011 الصادر فى 4 يونيو 2009، وتنتهى صلاحيته فى 3 يونيو 2014.

طبقا لقواعد الجوازات الأمريكية فإن هناك جزءا فى بطاقة دخول البلاد يضم اسم الزائر وجنسيته وتاريخ ميلاده، يجرى نزعه ليسلم عند المغادرة، ويختم بخاتم الجوازات ويحدد تاريخ الدخول.

بطاقة عمر سليمان تحمل رقم (8373245) (12) وتاريخ دخوله إلى أمريكا هو 15 يوليو 2012، وهى البطاقة التى لم يتسلمها عمر سليمان لأنه عاد جثة فى صندوق بارد.

فى أمريكا دخل عمر سليمان المستشفى يوم 16 يوليو 2012، ولحق به ضابط مخابرات موجود على قوة السفارة المصرية فى واشنطن ليكون مرافقا له، وليكون فى الوقت نفسه شاهدا على كل ما يراه، وطبقا لوثيقة أخرى، هى بطاقة دخول عمر سليمان المستشفى فإن المعلومات المتاحة عليها هى:

الاسم: عمر سليمان.

وقت وتاريخ الوصول: الساعة العاشرة والربع من يوم 16 يوليو 2012.

رقم المريض: (70834723)

النوع: ذكر

تاريخ الميلاد: 2 يوليو 1935

الطبيب المسئول: دكتور راندال سى ستارينج.

معنى هذه الوثائق أن عمر سليمان كان فى أمريكا عندما مات، ولم يمر على سوريا من الأساس.

هذا عن الكلام الذى قيل ... أما ما لم ينشر ولست أدرى هل هو صحيح أم لا ... فقد قامت إحدى ابنتى عمر سليمان اللتين رافقتاه خلال رحلة علاجه وبعد أن عرفت ما يقال عن إغتيال والدها فى سوريا على يد الجيش الحر، أن رفعت عنه كفنه قبل أن يهبط من مطار القاهرة، لتلتقط لوجهه صورة تحتفظ بها، فمن يدرى فربما احتاجتها لتؤكد أن والدها مات على فراشه ... ولم يمت خائنا إلى جوار قادة كانوا يتآمرون على شعبهم.

* * *

الآن ماذا تقول التقارير الطبية؟

التقرير الطبى الوحيد الذى صدر عن وفاة عمر سليمان كان عن مستشفى كليفيلاند الجامعى بولاية أوهاويو الأمريكية ... كان مختصرا ومكثفا للغاية، قال أن سليمان الذى توفى عن عمر يناهز 76 عاما وصل المستشفى يوم الآثنين حيث تم إكتشاف إصابته بمرض « أميلويدوزيس» - هذا المرض معروف فى الأوساط الطبية العربية بداء النشوانى» – بعد خضوعه لفحوص طبية متعددة فى المستشفى ... وقد مات سليمان متأثرا بمضاعفات المرض النادر الذى يصيب أجهزة متعددة بما فيها القلب والكلى.

صمت المستشفى الأمريكى بعد ذلك ... لم يضف كثيرا ولا قليلا ... وعلى مسئوليته فعمر

سليمان أصيب بمرض نادر ضرب جهازه المناعى، فانهار القلب وانهارت الكلى ... لتنزل كلمة النهاية على مشوار حياته.

الأطباء المصريون اجتهدوا فى تقصى حقيقة المرض الذى أعلنت عنه المستشفى الأمريكى ... وطبقا لتوصيف طبى تلخيصى، فهو مرض يعتبر أن الأعضاء الحيوية فى الجسم مثل القلب والكبد والكلى أعداء يجب التعامل معها ومحاربتها والهجوم عليها لأنها استفزته من خلال بعض الإلتهابات المزمنة ... وكأنى بالرجل الذى قضى حياته كلها فى حروب سرية عجز فى نهاية حياته أن يتصدى لحرب تدور داخل جسده.

وطبقا لتقارير صحفية وكما يقول الدكتور نبيل الدبركى أستاذ الحساسية ورئيس المركز القومى الأسبق للحساسية، فإن داء النشوانى مرض يعطل أجهزة الجسم، حيث يعمل الجهاز المناعى ضد نفسه نتيجة بعض الإلتهابات المزمنة التى أصيب الجسم بها عبر سنواته المختلفة، مما يثير الجهاز المناعى، فيعتبر أن أجهزة الجسم الحيوية أعداء له، ويبدأ فى مهاجمتها من خلال ترسيب البروتينات فى تلك الأعضاء مما يؤدى إلى تلفها وتدميرها تماما بإعتبارها أجساما غريبة على الجسد.

إلى كلام الدكتور نبيل الدبركى يضيف الدكتور عادل منير أستاذ الصحة العامة بكلية الطب جامعة قناة السويس أن النشوانى مرض وراثى مرتبط بالتشوهات الخلقية وجينات التمثيل الغذائى ويمكن أن يرجع إلى مرض فيروسى، من شأنه أن يحدث خللا فى إنزيمات الجسم، وهو ليس من الأمراض المنتشرة فى مصر على أية حال، وإن كان السبب فى ظهوره يرجع إلى بعض التأثيرات البيئية وتلوث الأغذية التى قد تزيد من ظهوره، ويؤدى إلى تدمير الأنسجة الضامة التى تعد بمثابة الهيكل الخرسانى لجسم الإنسان وأجهزته الوظيفية.

على أية حال وطبقا للأعراف الطبية عالميا، فإن الأمراض المناعية تعد من الأمراض التى ليس لها سبب معروف لكن هناك نظريات تؤكد أنها ترتبط بعلاقة وثيقة بالأمراض المزمنة، فأمراض التمثيل الغذائى مثل السكر مثلا قد تسهم فى ظهورها.

هناك رؤية طبية أخرى قد تكون أكثر تفصيلا لمرض النشوانى الذى قالت المستشفى الأمريكى أن سليمان مات به، فهو أحد الأمراض المناعية النادرة التى يحدث فيها اختلال بدورة

تمثيل البورتينات فى الخلايا مما يؤدى إلى إنتاج نوعيات من البروتين « amyloid" يصعب على الجسم إذابتها عن طريق ما يمتلكه من إنزيمات، وهو ما ينتج عنه ترسب هذه البروتينات بداخل الأنسجة المختلفة والتأثير سلبا على وظائفها.

وعندما تترسب تلك البروتينات فى النسيج العضلى لأحد الأعضاء مثل القلب على سبيل المثال، فإنها تسلب هذا النسيج قدرته العضلية المرنة وتحوله إلى ما يشبه المواد اللدنة أو البلاستيكية أو كأنه تم وضعه فى النشا «starch» ومن هناء جاء الاسم العربى له «النشوانى».

الإصابة بالنشوانى تقلص كذلك من قدرة الأنسجة الأخرى مثل الكلى على القيام بوظيفتها فى ترشيح الدم من المواد التى يريد الجسم التخلص منها، أو تقلل من قدرة الرئة على تبادل الغازات بشكل سليم، وقدرة الأمعاء على إمتصاص الأكل المهضوم، إضافة إلى أنها تعوق النسيج نفسه من التغذية بشكل صحيح وتؤدى إلى خلل وقصور حاد بوظائفه.

ولمرض النشوانى نوعان الأول هو النوع المنتشر بالجسم والآخر هو النوع المحدود، ورغم أن الأول قد يبدو أكثر خطورة، إلا أن الثانى يبقى أكثر شراسة وخاصة فى حالة الإصابة به فى إحدى الغدد الصماء.

من أشهر أعراض النشوانى تأثيراته المختلفة على القلب، مثل الأزمات القلبية الحادة أو ضربات القلب غير المنتظمة (الإرتجاف)، كما أنه قد يتسبب فى الفشل الكلوى أو الفشل الرئوى، وكذلك له تأثيراته على الجهاز الهضمى التى تصل إلى النزيف المعوى، إلى جانب تأثيراته على الجهاز العضلى - العصبى والتى قد تشمل التأثير على الحركة أو آلاما عصبية حادة إلى جانب أنه قد يظهر فى صورة بقع لامعة على جلد المريض شبيهة بالشمع.

ويتم تشخيص هذا المرض عبر عدة طرق معقدة منها أخذ عينة صغيرة من عضلات جدار البطن وتحليلها نسيجيا لإكتشاف وجود ترسبات من تلك البروتينات غير المذابة داخل الأنسجة ... ومن بين ما تتعارف عليه الأوساط الطبية العاليمة أن النشوانى وكغالبية الأمراض المناعية لم يتم التوصل إلى علاج شاف له، وكل ما يحاوله الأطباء فقط هو إيقاف تقدم المرض ووقف تأثيراته على مختلف الأنسجة بقدر المستطاع.

كان من المهم البحث عن حقيقة المرض الذى قالت المستشفى الأمريكى أن سليمان مات به،لأن تقريرها النهائى زاد الأمر غموضا، فقد قال أن وفاة سليمان جاءت نتيجة مضاعفات النشوانى دون أن يشير إلى أي نوع من المضاعفات أو متى تم إكتشاف المرض أصلا، وهل كان هذا منذ فترة طويلة وأنه كان يعالج من تأثيرات المرض، أم أن الوفاة نفسها كانت مفاجئة، وأن أطباء كليفيلاند اكتشفوا المرض بعدها؟

كلمة المستشفى الأمريكى فى المرض الذى قد يكون عمر سليمان مات به ليست الفصل بالطبع، خاصة فى وجود مصادر أخرى تؤكد أن الرجل كان يعانى من أمراض أخرى، فقبل عدة شهور من وفاته توجه سليمان إلى مركز « كايرو سكان» للأشعة بالمهندسين لإجراء أشعة على الصدر، وكان التشخيص وقتها مفاجأة، فقد اتضح أنه مصاب بمرض «الميزوثيليوما» وهو عبارة عن ورم خبيث يصيب الغشاء البللورى المحيط بالرئة.

كان من المقرر أن يجرى عمر سليمان هذه الأشعة فى مستشفى وادى النيل، ولكن لأسباب فنية لم يتمكن من إجراءها هناك، فتوجه إلى «كايرو سكان» ... ورافقه وقتها رئيس قسم الأشعة بمستشفى وادى النيل.

مصادر مقربة من عمر سليمان نقلت لجريدة التحرير أن هذه الإجراءات واكبت إجراءات ترشح عمر سليمان للرئاسة وخروجه منها.

أعراض سرطان عمر سليمان تتشابه كثيرا مع أعراض أمراض الصدر بشكل يصعب معه الإشتباه بالإصابة به دون كشف أشعة، وهو ما يشير إلى أن إكتشاف إصابة سليمان بالسرطان كان تاليا لترشحه للرئاسة، وقد يكون هذا الإكتشاف تحديدا السبب وراء خروجه من السباق الرئاسى لكن دون الإشارة إلى المرض، خاصة أن الأطباء الذين شخصوا لسليمان مرضه أخبروه أن المصاب بهذا المرض لا يكمل بأى حال من الأحوال أربعة شهور ... .وتقريبا هى الفترة التى قضاها سليمان بعد إكتشاف مرضه فى منتصف إبريل وموته فى منتصف يوليو.

❋ ❋ ❋

قد يكون كلام الطب حاسما ... لكن من قال أنه يمكن أن يكون نهائيا، فكما تحدث أطباء عن وفاة عمر سليمان بمرض مناعى نادر، خرج أطباء آخرون ليشككوا فى التقارير الطبية التى زفت الرجل إلى قبره، من بين ذلك ما ذكره المحامى فوزى الكيلانى فى بلاغه رقم 2074 الذى تقدم به إلى النائب العام لفتح التحقيق فى ملابسات وفاة سليمان.

بلاغ الكيلانى استند كما قال إلى معلومات مؤكدة استقاها من أطباء تشير إلى احتمالية دس بعض العقاقير المستخدمة لدى أجهزة المخابرات فى عمليات التصفية الجسدية، ومنها عقار «الأكتونتيه» الذى تستخدمه المخابرات الأمريكية فى عمليات التصفية، وهو عقار له رائحة الجوافة يمكن وضعه بسهولة فى عصير الجوافة دون أن يثير الإهتمام، كما يمكن رشه على الجلد و يسبب الوفاة خلال 24 ساعة فقط.

السبب الذى استدعى التحقيق فى وفاة عمر سليمان من وجهة نظر الكيلانى أيضا أن مستشفى كليفيلاند الأمريكية تدور حولها شبهات كثيرة منذ أن كان يعالج فيها الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات، والذى قيل أنه تعرض خلال علاجه للحقن بمادة مشعة أدت إلى وفاته.

بعيدا عن البلاغ يرى الدكتور محمد حسن خليل منسق حركة الدفاع عن الحق فى الصحة، أنه لا يوجد مرض يصيب القلب أو المخ يأتى فى هذا السن المتأخر - يشير إلى تقدم عمر الجنرال الراحل - فهذا النوع من الأمراض لا يصيب كبار السن، بل يصاحب المريض منذ سن مبكر، ولا يمكن أن يأتى لأول مرة، فهو إما أن يكون مرضا وراثيا أو أن يكون نتيجة لمجموعة من الأمراض أصابت الإنسان من قبل، كما أنه لا يمكن أن يؤدى إلى الوفاة خلال يوم واحد.

الدكتور خليل يستبعد تماما أن يكون عمر سليمان مات بداء النشوانى، إلا إذا كان الرجل أصيب بهذا المرض منذ سنوات طويلة، وهو ما يستبعده تماما لأنه ليس من المنطقى أن يكون رئيس المخابرات المصرية مصاب بمرض خطير فى القلب أو المخ ومعرض للموت فى أى لحظة بسبب هذا المرض ولم يتنح عن منصبه.

الدكتور عبد الباسط محمد أحد أساتذة المركز القومى للبحوث لم يستبعد مطلقا أن تكون هناك شبهة جنائية فى وفاة عمر سليمان، حتى لو كان السبب المباشر فى وفاته هو داء النشوانى، فكما يقول فإن هذا المرض يمكن أن ينشأ نتيجة تعرض سليمان أو حقنه بمادة

«أكتوتين» وهى مادة مستخرجة من نبات يعرف بـ «خانق الذئب» ويصيب عضلة القلب بالتوقف خلال 24 ساعة، ويقال أن نفس العقار هو الذى قتل به عبد الحكيم عامر، وهو عقار تستخدمه معظم أجهزة المخابرات فى دول العالم وذلك لإستحالة إكتشافه حتى من خلال أحدث الأجهزة الطبية.

* * *

يقولون أن فى إختلاف الأئمة رحمة ... لكن الواقع فعلا أن فى إختلاف الأطباء حيرة ... فنحن أمام النقطة صفر، هناك إصرار من كثيرين بعضهم كان يعرف عمر سليمان جيدا بأن الرجل لم يقتل.

سامح سيف اليزل الذى قدم ما يشبه التقرير المخابراتى عن وفاة سليمان قال: «قتل عمر سليمان قصة من خيال البعض لاسيما أعداؤه، وقد تقدم أحد المصريين الذين يعيشون فى أمريكا ببلاغ للنائب العام الأمريكى حول طبيعة الوفاة، وقتل هذا الموضوع بحثا من جميع وسائل الإعلام بما فيها المصرية».

حسين كمال مدير مكتب سليمان يطل برأسه مرة أخرى، ففى حديثه مع جريدة الحياة اللندنية لخص هو الآخر ما جرى قال: «الوضع الصحى لسليمان بدأ فى التدهور قبل ثلاثة أشهر نتيجة حزنه الشديد على الجراح الموجودة فى الوطن العزيز، وقد مر بحالة من الإكتئاب أعرض خلالها عن تناول الطعام مما سبب إنهيارا فى قواه الجسمانية، ثم نقل إلى مستشفى وادى النيل التابع للمخابرات المصرية، الذى شخص أطباؤه الحالة على أنها ضعف فى عضلة القلب أدى إلى قصور فى عمل الكلى، مما تسبب فى وجود مياه فى الرئة».

يكمل حسين شهادته: « نصح سليمان وقتها بالذهاب إلى ألمانيا لتلقى العلاج وبالفعل أزيلت المياه، واستقرت حالته وسافر بعدها إلى أبو ظبى غير أن المشكلة تكررت مرة أخرى هناك، وتلقى العلاج على أعلى مستوى، ثم نصح بعد ذلك بالسفر إلى كليفيلاند للقضاء على المشكلة تماما، وبالفعل سافر إلى هناك وتم تشخيص الحالة أيضا على أنها ضعف فى عضلة القلب، غير أن الأطباء قالوا أن حالته يمكن علاجها بالتدخل الجراحى أو بالأدوية واستقروا على الدوية».

هناك إصرار إذن من المقربين من عمر سليمان أن الرجل مات موتا طبيعيا لا شبهة فيه على الإطلاق ... ضاربين عرض الحائط بكل الإتهامات والتشكيكات والتخمينات التى أحاطت وفاته ... ربما لأنهم يريدون أن يغلقوا صفحة عمر سليمان تماما، فالرجل رحل بما عنده، أما هم فباقون فى وطن تتقاذفه الأنواء.

لكن هذا لا ينفى أن من يتحدثون أو على الأقل يشكون فى أن وراء وفاة الرجل عمل سياسى مخابراتى رفيع المستوى لديهم منطق فيما يذهبون إليه ... وهو ما يجعلنا نفتح مساحة أخرى من النقاش ... ليس عن سبب الوفاة ولكن عن أسباب من رأوا أن الرجل لابد أن يختفى من على المسرح تماما، لأن دوره انتهى.

الفصل الثانى

2



عن الذين قتلوه

يتبنى اللواء حسام خير الله أحد مرشحي الإنتخابات الرئاسية 2012 ونائب مدير المخابرات السابق نظرية خاصة لموت اللواء عمر سليمان، فالرجل الذى اقترب منه أثناء خدمته فى المخابرات العامة لسنوات طويلة، وشهد على الطفرة التى أحدثها سليمان فى عمل الجهاز خارجيا وداخليا، يرى أن: «الله أراح عمر سليمان بموته من مستقبل لم يكن فى صالحه على الإطلاق، ويكفى أنه توفى ولم يكن عليه أى إدعاء أو بلاغ وصفحته نظيفة، فحتما القادم سيكون أسوأ، فهناك دعوات لعمل محاكمات ومحاسبة المسئولين، والبلاغات المقدمة حتى لو لم تكن على حق فإنها تؤثر فى نفسية أى شخص، والجميع يرى بعد وفاته تلك الأصوات التى تعالت لمقاطعة جنازته وعدم الصلاة عليه».

هذه النظرية مريحة وتغلق الملف كله، فالرجل رحل فى الوقت المناسب، زالت عنه قوته وتبدد سلطانه وأصبح خارج اللعبة تماما، وهو ما يجعله فى متناول الأيدى، ولم يكن يمنع أحد أن يذهب به إلى مكتب النائب العام ... بل إن أحد معارضى عمر سليمان الكبار - المحامى عصام سلطان - صرح أكثر من مرة أن لديه ما يدين عمر سليمان فى تخطيط وتنفيذ موقعة الجمل ... ثم أن سليمان كان يعرف أن سلطة المجلس العسكرى زائلة لا محالة، وعليه فلن يكون هناك من يحميه أو على الأقل يمنع عنه الأذى.

يتعامل المصريون مع من يموت على أنه أصبح خارج اللعبة تماما، يختصرون الحديث عنه مهما كان مثيرا للجدل، فى أنه «لا تجوز عليه إلا الرحمة» ... فالرجل لم يعد طرفا فى أى صراع، قد يحقد عليه البعض، وقد يرغب البعض فى تشويه صورته وتحقيره ... لكن العقل الجمعى

ينحاز إلى «اذكروا محاسن موتاكم» ... فإن لم يكن لهم محاسن فلا أقل من أن تسكتوا عنهم تماما.

نظرية حسام خير الله لا تعفيه من أن نستعين بجملة قالها، قد يعتبرها البعض عابرة، لكننا نراها مناسبة جدا لفتح ملف نهاية عمر سليمان الغامضة - والتى لا تزال غامضة حتى الآن على الأقل - فى أحد البرامج التليفزيونية التى علق خير الله عبرها على وفاة عمر سليمان، قال: «إذا كان هناك مستفيد من وفاة عمر سليمان فهم من لوح ضدهم بفتح الصناديق السوداء».

حسام خير الله هنا مصدر له ثقله وأعتقد أن الثقة به كبيرة، فقد تعرف على عمر سليمان خلال أول لقاء جمعهما معا فى العام 1990 أثناء مشروع تدريب مشترك مع المخابرات العامة - وقتها كان سليمان مديرا للمخابرات الحربية - فى هذه الدورة التدريبية عرض حسام على سليمان عملا خاصا بتحرير الكويت، وبعد ذلك كان يقابله أثناء العمل بشكل طبيعى جدا ومعتاد، حتى تولى خير الله منصب نائب مدير المخابرات العامة.

منطقى أن تجعل هذه المعرفة الوثيقة جملة حسام خير الله غير عابرة بالمرة، هناك من استفاد من غياب عمر سليمان، وما دام هناك من استفاد فليس بعيدا أن يكون هذا المستفيد ساهم فى التخلص من الرجل، أو على الأقل عملية موته ... من باب التخلص من صداع معلوماتى مزمن خاصة أن عمر سليمان كان قد لوح أثناء ترشحه للرئاسة بأنه سيتحدث.

هنا تجدر الإشارة إلى «الصندوق الأسود» وهى كلمة استخدمها عمر سليمان نفسه، ولوح بأنه سيفتحه وسيتحدث ... لكن قبل المبالغة والتضخيم فى حكاية الصندوق الأسود هذه أعتقد أن لبسا جرى لدى الكثيرين.

قبل أن يحسم عمر سليمان موقفه من الترشح فى إنتخابات رئاسة 2012، أو ربما كان الرجل على شفا حسم أمره خرج عمرو أديب من خلال برنامجه «القاهرة اليوم» كاشفا عن مكالمة خاصة تلقاها من عمر سليمان.

بطريقته المتفردة فى تقديم ما عنده لمشاهديه قال عمرو أن عمر سليمان سأله فى المكالمة عن مسرحية فؤاد المهندس التى يقول فيها «أن القانون مفيهوش زينب» - يقصد مسرحية

السكرتير الفنى التى لعب بطولتها فؤاد المهندس وشويكار -، ثم قال له أن قانون العزل الذى يجهز له مجلس الشعب لاستبعاده من الإنتخابات الرئاسية - كان عصام سلطان قد تقدم بمشروع القانون لعزل رموز نظام مبارك من العمل السياسى - يشبه ما يحدث فى المسرحية، فهو قانون يتم تفصيله لمواطن واحد اسمه عمر سليمان، رغم أنه من المفروض أن «القانون مفيهوش سليمان».

سأله عمرو أديب: انت مش هتتكلم؟

قال له أن الناس لا تعرفه جيدا، يعرفونه فقط مديرا للمخابرات العامة ثم نائبا للرئيس ولا أكثر من ذلك، فرد سليمان بأنه سيتحدث وأن الصندوق الأسود الكبير سيفتح ... لكن هناك صندوق أسود آخر لن يفتح.

من هنا أتى اللبس أو سوء الفهم ... أغلب الظن أن عمر سليمان قصد بالصندوق الأسود الكبير نفسه شخصيا، فهو سيخرج للناس كى يتحدث عن حياته وعن أفكاره وعن مشروعاته وعن برنامجه ... ومن الطبيعى أن يتحدث عبر هذا الصندوق عما جرى أيام الثورة التى كان فيها نائبا للرئيس وليس مديرا للمخابرات العامة، كما أنه سيتحدث عما جرى فى مصر ولها عبر الشهور التى أعقبت الثورة، ولم يكن لدى الرجل أى منصب رسمى، وحتى لو تحدث عن شئ مما جرى أثناء رئاسته لجهاز المخابرات، فإن ذلك سيكون من بين المسموح به، وأعتقد أنه قليل جدا.

هنا قامت قيامة جماعة الإخوان المسلمين تحديدا ... خاصة أن عمر سليمان بدأ يتحدث بالفعل، وقد أجرى فى هذا الإطار حوارين مطولين مع جريدتى الفجر الأسبوعية واليوم السابع اليومية وكشف فيهما جانبا مما يعرفه عن جماعة الإخوان.

لقد تصورت الجماعة أن عمر سليمان سيقدم للرأى العام ما سيذبحها به، ثم أنه وهذا هو المهم إذا تمكن الرجل من الوصول إلى كرسى الرئيس، فإنه حتما سيدخل فى صدام عنيف مع جماعة الإخوان، لن ينتهى إلا بعودة الإخوان إلى السجون مرة أخرى، أو تتحول مصر كلها إلى فوضى.

لم يكن هذا تصورا بعيدا عن الواقع على أية حال، ويمكن أن أستدل عليه بكلام ليس من عند عمر سليمان ولكن من عند الفريق أحمد شفيق.

قبل أيام من جولة الإعادة فى الإنتخابات الرئاسية التى انحصرت بينه وبين الرئيس محمد مرسى، كنت أجرى معه حوارا فى فيلته بالتجمع الخامس، سألته مباشرة: لماذا يخاف الإخوان المسلمون من وصولك إلى منصب الرئيس؟ ... لماذا يلجأون إلى كل الوسائل والحيل كى يمنعوك من التقدم؟

كانت إجابة شفيق جادة وساخرة فى الوقت نفسه، قال: هم لم يفعلوا ذلك معى وحدى، فقد فعلوه أيضا مع اللواء عمر سليمان ... فهم يخافون أن يصل أحد من رموز عهد مبارك وخاصة العسكريين منهم إلى منصب الرئيس، وهم أذكياء فى ذلك لأنهم يعرفون ما الذى يمكن أن يحدث لهم ... الإخوان يعرفون أنى - الكلام ينطبق هنا أيضا على سليمان - لو دخلت القصر، سيدخلون هم السجن.

كان لابد من التخلص من عمر سليمان بأية طريقة خاصة أنه أعلن قبل أن يتقدم بترشيح نفسه إلى لجنة الإنتخابات بأوراقه، أنه ما نزل إلا لمواجهة الإخوان المسلمين، كان الرجل صريحا فى ذلك إلى أبعد حد.

قال راويا وكاشفا عن دافعه للترشح: «شعر المواطن المصرى أن الإخوان غيروا من مبدأ المشاركة إلى مبدأ المغالبة، هذا التغيير بث فى نفوس المجتمع المصرى الذعر، وسوف تصبغ مصر إذا ما نجح مرشح الإخوان فى الإنتخابات الرئاسية بصبغة الدولة الدينية، إن كل مؤسسات الدولة سيسطر عليها الإخوان، وبالتالى سوف تكون مصر فى موقف مشابه لمواقف الدول التى تحكمها تيارات متأسلمة».

ويضيف سليمان مؤكدا نيته الوقوف ضد الجماعة ومن وراءها: « لم نر دولة متأسلمة يحكمها تيار دينى قد نجحت، كبيرهم وصغيرهم، ورغم يقينى الذى ذكرته بعدم العودة إلى الساحة السياسية، لكننى كمواطن شعرت بالخوف والفزع على مستقبل أولادى وأحفادى، ووجدت أولادى الذين كانوا يرفضون رفضا تاما فكرة الترشح يطالبوننى بضرورة الترشح حتى يحدث التوازن فى السلطات، ويكون هناك شخص ما يمكن التحدث معه بعيدا عن التيارات

المتأسلمة، وهو ما تستفيد منه مصر، أما إذا بقيت مصر تحت حكم هذه التيارات، فإنها سوف تعانى العزلة وشعبها سوف يعانى من عدم قدرته على التواصل مع الآخرين».

إعلان عمر سليمان بهذه الصورة يعنى أنه لم يرشح نفسه منافسا لآخرين، ولكن من أجل إزاحتهم عن المسرح، وهو ما استنفر جماعة الإخوان المسلمين بكل طاقتها، وبدأت حملات التشويه ضده، للدرجة التى استفزت الرجل، وجعلته يخرج عن صمته.

سليمان الذى رأى إزعاج التيارات الإسلامية وفى قلبها الإخوان المسلمون من فكرة ترشحه فى إنتخابات الرئاسة، قال: «أكثر من إنزعاج هذه القطاعات أنها بدأت تتصرف تصرفات أعتبرها هيستيرية مع ألفاظ تجريح لشخصى، كنت لا أتوقع أن تصدر من شخصيات مثقفة ومسلمة ومتنافسة».

حقيقة الأمر كانت هناك جملة أكثر دلالة وربما أكثر خطرا قالها عمر سليمان فى ثنايا تعليقه على التجريح الذى تعرض له، قال: «هذا الهجوم الشرس فى كل مكان دفعنى للتفكير والتساؤل: هل يخشوننى..هل يريدون اغتيالا للشخصية؟».

هل يمكن أن يكون عمر سليمان يقودنا إلى حيث نريد دون أن يدرى؟

هل يتهم الرجل الإخوان المسلمين ومن ورائها التيارات الإسلامية جميعها أنها من اغتالته؟

بعيدا عن المبالغة فإن سليمان عندما قال ذلك كان يقصد الإغتيال المعنوى، فالذين هاجموه وحرضوا ميليشياتهم على الهجوم عليه لم يراعوا فى الرجل قيمة ولا قامة، ولكن جاءوا عليه بكل ما لا يتخيل، وهو الذى كان محفوظا مصانا بعيدا عن الإعلام طوال حياته.

يمكن قبول إتهام الإخوان المسلمين بأنهم قتلوا عمر سليمان معنويا، فالرجل لم يتحمل الهجوم عليه، لم يتحمل وصفه بالسفاح وقاتل المصريين، لم يتحمل إعتباره شريكا لمبارك فى كل أشكال وألوان الفساد التى ظهرت فى عصره، لم يتحمل أن تتم مطاردته بالبلاغات أمام النائب العام لمجرد أنه اتهم الجماعة بأنها كانت وراء حرق أقسام الشرطة وفتح السجون بالتعاون مع حماس، لم يتحمل أن يرى البرلمان المصرى يطارده بشكل شخصى ويريد أن يمنعه من العمل السياسى، ورغم أنه تحمل كثيرا من الصدمات خلال عمله المخابراتى إلا أنه سقط

تحت وقع كل هذه الضربات ... وكان أن رفض أن يعيش داخل مصر أو خارجها.

المفاجأة أن هناك من اتهم الإخوان المسلمين صراحة بأنهم من قتلوا عمر سليمان، بعد جنازة الرجل التى قاطعتها جماعة الإخوان وحزبها الحرية والعدالة ورئيسها محمد مرسى، أعلن الشيخ علاء الدين أبو العزايم وهو أحد أقطاب الصوفية فى مصر أن جماعة الإخوان قاطعت جنازة عمر سليمان لأنه ليس من المعقول أن تقتل القتيل وتمشى فى جنازته.

أبو العزايم أشار إلى أن الجماعة تورطت فى إغتيال عمر سليمان بالفعل، وذلك من خلال تعاون مع المخابرات الأمريكية لتصفية الرجل، الذى هدد بفتح الصندوق الأسود لهم، وهو الصندوق الذى لن يكون بأى حال من الأحوال فى صف الإخوان، ولذلك عدوا على الرجل أنفاسه وهو فى مصر، وعندما سافر إلى أمريكا لتلقى العلاج استغلوا الفرصة لينهوا حياة الرجل بالتعاون مع حليفهم الإستراتيجى الجديد.

لا يحمل أبو العزايم أى دليل على ما قاله، قد يكون لديه إحساس، بنى ما وصل إليه على تحليل منطقى، فالمقدمات دائما تشير إلى نتائج متسقة مع بعضها البعض، فلم يستطع الإخوان أن يخفوا فرحتهم وشماتتهم فى موت الرجل، ولذلك من الطبيعى أن يكونوا شاركوا فى قتله أو على الأقل باركوه.

❋ ❋ ❋

الكلام عن تورط الأمريكان حليف الإخوان الجديد فى قتل عمر سليمان كان مطروحا هو الآخر، وقد يكون ما ورد فى بعض التقارير الإخبارية معينا على فهم دوافع الأمريكان للتخلص من رجل المخابرات القوى، ليس فى مصر وحدها ولكن فى العالم كله.

لقد انحازت مصادر سياسية و إعلامية عديدة إلى أن يكون عمر سليمان قتل فى أمريكا، وأنه لم يمت بطريقة عادية، خاصة أن الطريقة التى روجت لها واشنطن لموته كانت هزيلة وساذجة للغاية، بل إن خبراء أمنيين انحازوا إلى ما هو أكثر، فقد رأوا أنه لو جرى تشريح محايد لجثة سليمان فورا وقبل مرور 24 ساعة على إعلان وفاته، فسوف يثبت أن الرجل قتل بالفعل، لكن شئيا من هذا لم يحدث بالطبع، ليرحل الرجل وسره معه.

الذين تبنوا سيناريو الإغتيال الأمريكى لسليمان اعتمدوا على كلام مساعده حسين كمال - نعود إليه من جديد - فقد كان أول رد فعل له على خبر وفاة عمر سليمان، ذلك الذى صرح به لوكالة رويترز دالا وموحيا.

قال حسين: «إن سليمان الذى كان ضمن الدائرة المقربة للرئيس المصرى السابق حسنى مبارك توفى فى الولايات المتحدة حيث كان يخضع لفحوص طبية، وأنه كان بخير ... حدث هذا فجأة ... كان يخضع لفحوص طبية فى كليفيلاند».

لم يعط حسين كمال سببا محددا لوفاة سليمان، وهو ما جعل الشكوك تتزايد، وهنا يمكن أن نثبت شكوك من يعتقدون أن الرجل قتل، فحسين كمال يقول: ذهب لإجراء فحوص طبية فقط ... عمر سليمان كان بخير ... حدثت الوفاة فجأة، وعليه فالأمر حالة اغتيال مخابراتية كلاسيكية شبه علنية وبلا رتوش، والهدف هو التخلص من عمر سليمان.

لكن السؤال هو: لماذا قتلته أمريكا ... إذا كانت هى من فعلت ذلك بالفعل؟

والإجابة يمكن أن تكون محددة عبر مجموعة من النقاط، القابلة للنقد والمراجعة بالطبع، لكنها على أية حال تعبر عن رؤية من يعتقدون بإغتيال الرجل مع سبق الإصرار والترصد على يد المخابرات الأمريكية، هذه النقاط هى:

أولا: عمر سليمان أكبر مخزن معلومات عن أسرار التعاون المخابراتى المصرى الأمريكى، وحتى حسنى مبارك نفسه كان لا يعلم بالكثير الذى مات كله مع عمر سليمان واستقر إلى جواره فى قبره، وهو أمر خطير جدا على الأمريكان.

ثانيا: مصدر الخطر أن عمر سليمان كان يوحى بأن أمريكا هى مهندس كل ما جرى فى مصر منذ 25 يناير 2011، وأن وعد الإدارة الأمريكية له بأن يخلف مبارك كان مجرد تكتيك استخدمته للتمهيد ليصل رئيس لمصر من الإخوان المسلمين، وقد صرح سليمان بهذه الشكوك أكثر من مرة.

ثالثا: قالت المخابرات الأمريكية لعمر سليمان أن ترشيحنا لأحمد شفيق ليس سوى خطوة لترشيحك لاحقا، فاسحب ترشيحك الآن ودع شفيق يخوض المعركة، فإن فاز فهو لن ينجح فى

الرئاسة، وعندها سوف ندفع بك مرشحا، و إن فاز مرشح الإخوان فسوف يصل هو الآخر إلى الفشل وتكون أنت البديل، وقد أكل عمر سليمان الطعم الأمريكى كله، وانسحب وصمت وغادر إلى الإمارات العربية بانتظار استدعاءه من قبل أمريكا لتكليفه بالمهمة الأكبر.

رابعا: وصل محمد مرسى إلى الرئاسة بإنتخابات مشكوك فى نزاهتها ودقتها، وأشرفت المخابرات الأمريكية على سيرها، وهذا ما اعترف به الإخوان المسلمون بعد إنتهاء الإنتخابات، وتأخر صدور النتائج، واكتشف عمر سليمان بأن أمريكا خدعته، وأنها تريد محمد مرسى رئيسا لمصر، وترغب فى تنصيب الإخوان المسلمين حكاما عليها، وتيقن أن هناك صفقة بين المجلس العسكرى والإخوان، وأن دعم المجلس العسكرى لترشيح شفيق كان غطاءا لتمرير فوز مرسى وسط أجواء تشكيك بسلامة الإنتخابات.

بدأ عمر يصرح للمقربين إليه بشكوكه حول خداع الأمريكان له، وهو لا يستبعد أن بعضهم عيون أمريكية عليه، كان لا يزال يظن أنه ما زال كنزا لأمريكا تحتفظ به ليوم أسود سيأتى بعد أن يفشل مرسى، بل إنه أسر لبعض من حذره من كثرة حديثه، بأنه يفعل ذلك كى تصل إحتجاجاته إلى أمريكا فتعيد النظر فيما تفعله ... .ورغم أن منطق عمر سليمان كان ساذجا للغاية فى ذلك إلا أنه فعلها.

خامسا: أرسلت أمريكا تطلبه، ففرح ظنا منه أنها تريد وضعه فى جو الحقائق الداخلية، وكان الغطاء هو إجراء فحوصات طبية، لأنه لم يكن مريضا ولم يشكو من مرض بل كانت صحته ممتازة، صدق ما كانت المخابرات الأمريكية تسربه من معلومات كاذبة حول الفخ الذى نصبته لمرسى، وأنها لا تريد رئيسا من الإخوان المسلمين، وطار ... وما إن وصل وقبل التشاور المنتظر سمم بمادة وضعت فى شراب قدم له يزول مفعولها بعد 24 ساعة، ومات بسرعة وقبل أن يسمع الأخبار التى توقعها.

سادسا: بموت عمر سليمان دفنت أمريكا أسرارا كانت تخشى أن تكشف قبل موعد تزول فيه مفعولها، ومنها أسرار جلب الكثير ممن اعتقل من قبل المخابرات الأمريكية إلى مصر للتحقيق معهم، واستخدام التعذيب للحصول على معلومات منهم، لأن أمريكا محكومة بقوانين تمنع التعذيب وتعرض الرئيس للمساءلة إذا خرقها لذلك كانت الطريقة الأسلم هى

تسليم المعتقلين لعمر سليمان، ولأجهزة مخابرات أخرى لتقوم بالتحقيق بمعرفتها، وتنتزع منهم الإعترافات بالقوة، وتسلم المعلومات للمخابرات الأمريكية.

هذه المعلومة كانت أكثر ما تخشاه حكومة أوباما، وكانت هى السبب المباشر فى التخلص من عمر سليمان، أما السبب البعيد فهو التخلص من أقوى شخصية لها نفوذ فى القوات المسلحة والمخابرات، ومدعومة من رجال النظام السابق، وتستطيع القيام بإنقلاب عسكرى ضد الترتيبات الأمريكية فى مصر بعد أن أبعدت وهشمت، ولذلك فالتخلص منه سيترك رجال مبارك بلا قائد قوى، وسيبقيهم مجرد أدوات ضغط يسهل السيطرة عليها والتحكم بتوجهاتها بلا منغصات.

ويخلص من يرون أن إغتيال عمر سليمان هو ما جرى فعلا، أن التخلص من الرجل كان خطوة أساسية فى تسليم الحكم إلى الإخوان المسلمين فى مصر، ومنع أى تهديد لحكمهم وتوفير ظروف إزاحة كل منافسيهم الأقوياء.

لقد كان عمر سليمان رجلا من رجال أمريكا فى المنطقة، لا يستطيع أحد أن يشكك فى ذلك، بل تسنده شهادات عديدة من سياسيين ومسئولين أمريكان، تحدثوا صراحة بعد موته.

خبراء أمريكان كانوا يعتبرون أن عمر سليمان إحدى ثمرات التدريبات والشراكة المصرية - الأمريكية، حيث خضع لتدريبات فى ثمانينات القرن العشرين بمعهد ومركز جون كيندى المتخصص فى دراسة شئون الحروب فى «فورت براج» بـ «نورث كارولينا».

وعنه تقول «مارجوريبيه كوهين» أستاذة القانون بجامعة «توماس جيفرسون» والرئيس السابق لنقابة المحامين الأمريكان: «لم يكن دور عمر سليمان لدى الإدارة الإمريكية فى البداية يتعدى كونه رجل ربط العلاقات بين مصر وأمريكا بعد أن انتدبه الرئيس مبارك ليكون وسيطا بين الإدارتين للتنسيق فيما هو مشترك فى الدوائر الأمنية السرية، ولكنه استطاع فيما بعد بمثابرته و إخلاصه وأمانته ومن خلال إظهاره الاستعداد الكبير للتعاون غير المحدود مع الدوائر الأمنية الأمريكية أن يترك انطباعا إيجابيا لديها، ولكنه كان موضع انتقاد وخلاف لدى الأوساط الشعبية الأمريكية».

كوهين نقلت وجهة نظر المخابرات الأمريكية فى عمر سليمان الذى كان معروفا بأنه الطرف الأساسى فى التعامل مع وكالة المخابرات المركزية، فقد كانت الوكالة تنظر إليه على أنه شريك موثوق به، وذلك لجهوده فى مواجهة خطر الجماعات الجهادية، كما أنه بالنسبة لها كان قناة التواصل الرئيسية بين مبارك والإدارة الأمريكية فى مختلف القضايا سواء كانت متعلقة بعمليات الإستخبارات والأمن أو متعلقة بغيرها من الأمور.

جريدة «الجارديان» البريطانية ذهبت إلى ما هو أكثر من سرد تفاصيل علاقة عمر سليمان بالمخابرات الأمريكية، فقد وصفت علاقته بها بأنها كانت متينة وآثمة فى الوقت نفسه، فقد وضع سليمان - كما ترى الجارديان - سلطته المخابراتية فى أيدى الأمريكان، وكان له الدور الأكثر ظلمة فى الحرب على الإرهاب».

صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية كانت واضحة وحادة فى توصيفها لعمر سليمان، فقد اعتبرته أقوى رئيس جهاز مخابرات فى الشرق الأوسط، لكنها منحته توصيفا ليس فى صالحه على الإطلاق، فسليمان بالنسبة لها كان رجل المهام القبيحة لواشنطن فى الخارج.

الصحيفة الأمريكية ذهبت إلى أن وفاة سليمان فى أمريكا من وجهة نظر معارضيه دليل على العلاقة الوثيقة التى جمعته بالمخابرات الأمريكية، فقد سبق وساعدها فى برنامج التسليم الإستثنائى، وهو البرنامج الذى تم بمقتضاه إرسال المشتبه بهم بتهم الإرهاب إلى دول أجنبية لاستجوابهم وتعذيبهم، وكانت مصر على رأس هذه الدول بمباركة مباشرة من عمر سليمان نفسه.

وحتى تؤكد الجريدة الأمريكية إخلاص عمر سليمان للمخابرات الأمريكية، الذى كان من وجهة نظرها بلا حدود، أنه وعندما أرادت «السى آى ايه» عينة من الحمض النووى لشقيق أيمن الظواهرى الرجل القوى فى تنظيم القاعدة قبل وفاة بن لادن، لأنها كانت تملك جثة أحد الجهاديين وتشك أنها للظواهرى.

عمر سليمان وبأريحية شديدة أخبر المخابرات الأمريكية أنه يمكن أن يرسل لهم بذراع كاملة من شقيق الظواهرى وليس عينة من دمه فقط، ورغم أن الصحيفة استندت فى هذه الرواية إلى ما قاله «رون سوسكيند» أحد الكتاب الأمريكان، وله كتابات كثيرة عن جهود المخابرات الأمريكية فى محاربة الإرهاب، إلا أنه فى النهاية يمكن أن تأتى على محمل المبالغة

الزائدة ... والتى نفخ فيها بعد ذلك خصوم عمر سليمان من التيارات الإسلامية الذين يبحثون عن أى دليل لإدانة الرجل بتعذيبهم والقسوة عليهم.

تعود الصحيفة الأمريكية مرة أخرى إلى ما كتبه «رون سوسكيند» فى كتابه «عقيدة الواحد بالمائة»، وهو الكتاب الذى صدر فى العام 2006 ليسجل فيه جهود مكافحة الإرهاب التى قامت بها المخابرات الأمريكية.

يقول «رون»: «عمر سليمان هو رجل المهام القبيحة لأمريكا فى الخارج، مثل التعذيب وعمليات الترحيل السرية، والتى كانت واشنطن تريد القيام بها دون أن تكون لها فيها أى بصمات».

تستند الجريدة الأمريكية أيضا إلى ما قاله «عمر عاشور» الذى قدمته بأنه باحث فى مركز «بروكنجز الأمريكى»، حيث ذهب إلى أن عمر سليمان تورط فى برنامج التسليم الإستثنائى، ودام ذلك عقدا من الزمان، وجهت له خلاله إتهامات التعذيب الوحشية، ... ويحدد عاشور أول قضية شارك فيها سليمان فى هذا الإطار، بأنها كانت فى العام 1995 وهى القضية المعروفة بقضية طلعت فؤاد قاسم.

وكالة الأنباء الأمريكية «الأسوشيتدبرس» انحازت فى تقرير مطول لها عن وفاة عمر سليمان إلى أن الرجل أدار أكثر القضايا حساسية مثل العلاقات مع الولايات المتحدة وإسرائيل والمعركة الشرسة ضد الإسلاميين، وكانت المخابرات المصرية فى عهده مسئولة عن قمع وتعذيب المعارضة فى الداخل، كما أنه كان رجل مصر فى التعاون مع الولايات المتحدة ضد الإرهاب، وشارك فى برنامج التسليم الإستثنائى للمشتبه بهم، وتورط بالفعل فى عمليات تعذيب فى بعض الأحيان.

«وول ستريت جورنال» الصحيفة الأمريكية العريقة كشفت جانبا آخر، فصحيح لديها أن عمر سليمان كان أحد أهم الشخصيات فى نظام مبارك، وأنه كان شخصا غامضا فى كثير من الأحيان، لكن صح لديها أيضا أن اتفاقيات الرجل الكثيرة مع إسرائيل والحكومات الغربية وعلى رأسها الإدارة الأمريكية كان لها دورا كبيرا فى بقاء نظام مبارك على مدار عقود قبل إندلاع ثورة 25 يناير.

كل هذه الشهادات تقول أن عمر سليمان كان رجل المخابرات الأمريكية الأول فى مصر، إن لم يكن بحكم الإخلاص لها والعمل من أجلها، فمن باب إخلاصه وولاءه لنظام الرئيس مبارك، الذى عمل من أجل بقاءه أطول فترة ممكنة.

وهنا يأتى السؤال: لماذا تخلت عنه المخابرات الأمريكية إذن؟

الإجابة هى: أن المخابرات الأمريكية كانت تعرف أن وصول الإخوان إلى الحكم فى مصر يعنى أن الأمور لن تستقر أبدا، وأن مزيدا من الفوضى والفتن الطائفية سيحدث، بما يجعل مصر مشغولة بنفسها بعيدا عن إسرائيل أو أهداف أمريكا فى المنطقة، وبذلك تكون أمريكا بدأت فى الإعتماد على رجل جديد، بعد أن حصلت على كل أغراضها من رجلها القديم مبارك ومساعده عمر سليمان.

❋ ❋ ❋

تظل هذه الرؤية فى مساحة الآراء والتحليلات ... ولا تنفع وحدها دليلا وشاهدا على أن الأمريكان قتلوا عمر سليمان ... لكنها تفتح لنا بابا آخر ... ففى شهادة النائب السابق فريد زكريا الذى أكد أن سليمان أسر له وحده بمرضه ومؤامرة إغتياله جملة، أعتقد أنها لافتة وملفتة للإنتباه.

قال له عمر سليمان، أنه سوف يسافر إلى أمريكا، وأن أميرا عربيا هو الذى دبر له الأمر، وهو ما يجعلنا نلتفت إلى رغبة فئة أخرى، يمكن أن يكون وجود عمر سليمان على قيد الحياة تهديدا لهم ... أقصد تحديدا الحكام والملوك والأمراء العرب.

لم يكن عمر سليمان مديرا عاديا للمخابرات المصرية، فقد امتد بنفوذه وقوته وبراعته إلى دول المنطقة جميعها.

طبقا لتقارير صحفية فإن عمر سليمان كان مسئولا عن ملف العلاقات المصرية الليبية، ومن بين ما يسند إليه أنه كان أحد المتورطين فى تصفية المعارض الليبى الدكتور منصور الكيخيا، فقد أشرف على تسليمه إلى القذافى، الذى قتله بيده بعد ذلك، وهو الإتهام الذى لا يزال يلاحق سليمان حتى وهو فى قبره.

لقد نشر هذا الإتهام فى حياة عمر سليمان أكثر من مرة عبر كتاب عرب ومصريين - كنت واحدا منهم - لكنه لم يهتم ولم يرد، ربما اعتقادا منه أن هذا كان أمرا متعلقا بالأمن القومى، رغم أنه وفى مساحة معينة، لا يخرج عن كونه إنحرافا بمهمة جهاز المخابرات، أو لنكن أكثر دقة إنحراف من عمر سليمان نفسه بمهمته.

كان القذافى مجنونا، ويبدو أن عمر سليمان كان يعرف ذلك جيدا، فقد كان يلبى له كل ما يطلبه حتى لا يغضب، حتى لو كان ما يطلبه هذا تسليم لاجئ سياسى كان يعيش آمنا على أرض مصر، وإذا كانت حكاية منصور الكيخيا الذى اختفى من مصر بشكل غامض فى العام 1993، قد ظهرت لأن هناك من تحدث عنها، فحتما هناك وقائع أخرى كان سليمان طرفا فيها مع القذافى، لكنها لم تعلن ربما حتى الآن على الأقل.

بعد سقوط القذافى اقتحم الثوار مبنى المخابرات الليبية، ومن بين ما حصلوا عليه بعض التسجيلات التى توثق لاتصالات العقيد القتيل بعدد من رؤساء وملوك العالم.

من بين هذه التسجيلات كان هناك تسجيل بين القذافى وعمر سليمان، بدا فيه مدير المخابرات المصرية صبورا جدا ومتفهما جدا للقذافى، لا يعارضه فى شئ، يجيب على كل ما يريده ... وهو ما يجعلنى أنحاز إلى أن سليمان كان قريبا من القذافى ربما بنفس درجة قربه من مبارك.

وكما وضع عمر سليمان يده فى يد القذافى، فقد اقترب من السعودية، بل كان مسئولا عن الملف الثلاثى الذى يجمع مصر بالسعودية وأمريكا ... ومن بين آراءه التى أعلنها أن ثورات الربيع العربى ليست إلا مؤامرة أمريكية إخوانية، يهدف البيت الأبيض من وراءها إلى البحث عن حليف جديد، بعد أن فقد الرؤساء العرب قدرتهم على العمل الذى يضمن للأمريكان تنفيذ أهدافهم فى المنطقة.

وقد يكون ما جرى بين عمر سليمان والسعودية بعد خروجه من جميع مناصبه الرسمية - مدير المخابرات المصرية ونائب الرئيس - دليلا على أن الرجل كان يحظى بعلاقة مميزة مع الأسرة المالكة السعودية.

فى أول نوفمبر 2010 غادر سليمان القاهرة إلى المملكة العربية السعودية بطريقة مريبة نوعا ما، عندما دخل صالة كبار الزوار بمطار القاهرة كان فى انتظاره عدد من المسئولين السعوديين، الذين اصطحبوه إلى طائرة خاصة لم يكن عليها أى إعلام، بما أخفى هويتها.

بعد ساعات قليلة تبين أن سليمان هبط فى المدينة المنورة، وأعلن أنه سافر إلى السعودية لأداء فريضة الحج.

بعد ستة أيام وفى 7 نوفمبر ظهر عمر سليمان جالسا ضمن كبار الشخصيات التى استقبلها الأمير نايف ولى العهد السعودى، وهو تقليد متبع أن يستقبل ولى العهد رؤساء وفود الحج وكبار الشخصيات التى تصادف وجودها لتأدية الفريضة المقدسة، لم يتحدث عمر سليمان خلال الإجتماع، بدا عليه الوجوم بعض الشئ فى اللقطات السريعة التى بثها التليفزيون السعودى الرسمى للقاء.

على هامش الزيارة التقط أحد الحجاج فيديو قصير لا يتجاوز الثلاثين ثانية لعمر سليمان وهو جالس على كرسى متحرك أثناء تأدية شعائر الحج، ويحيط به عدد من حراس الأمن السعوديين، الذين اجتهدوا بدورهم فى منع تصوير الرجل من أى زاوية، لكن الفيديو تم تصويره بسرعة ورفع على الفور عبر اليوتويب.

ذهب عمر سليمان لتأدية فريضة الحج إذن، لكن هذا لم يمنع أن يخمن البعض أهدافا أخرى للزيارة، منها مثلا أن ولى العهد السعودى أراد أن يجتمع مع عمر سليمان لمناقشة بعض القضايا، ومنها أن الأمير نايف قرر أن يستعين بسليمان مستشارا أمنيا له، وأنه يميل إلى الإستعانة بعدد من قادة المخابرات العامة المصرية الذين خرجوا من الجهاز بعد ثورة 25 يناير.

شئ من هذا لم يحدث بالطبع ... لكن قناة العالم الإخبارية التابعة لإيران، أرادت أن توحى بأن الزيارة لم تكن خالصة، وأن هناك ما جرى فى الغرف المغلقة، ولم يكن غريبا أن تعتبر أن الحج كان هو الاسم الكودى لعملية عمر سليمان فى السعودية.

القناة الإيرانية تساءلت: كيف حظى عمر سليمان بالمكرمة الملكية فى السعودية؟

وعندما حاولت الإجابة وجدت نفسها تطرح سؤالا آخر، قالت: لماذا تواجد عمر سليمان

نائب الرئيس المصرى المخلوع ورئيس استخباراته العامة فى عداد المسئولين الرسميين خلال موسم الحج فى المملكة العربية السعودية هذا العام؟

رأت القناة أن زيارة سليمان - بعد سماح المجلس العسكرى له بالسفر خارج البلاد - أثارت جدلا حول الدور الذى يلعبه سليمان فى المرحلة الحالية، وما إذا كان سيتولى منصبا أمنيا بالمملكة كما تردد فيما سبق، أم أن ظهوره بهذا الشكل الرسمى له علاقة بضغوط سعودية لوقف محاكمة مبارك؟

نقلت القناة الإيرانية تصوراتها إلى مساحة جديدة، قالت: تأتى الإجابة ببيان - لم تذكر مصدره - كشف أن اللواء عمر سليمان قد أصبح مستشارا أمنيا لولى العهد السعودى الأمير نايف، وأن ارسال طائرة خاصة من السعودية إلى مطار القاهرة وبشكل مفاجئ لكى تقل عمر سليمان بذريعة السفر إلى الحج، ليصبح بشكل غير معلن المستشار الأمنى للشئون الخارجية لولى العهد السعودى المعروف بإدارته للثورات المضادة فى العالم العربى، وخصوصا فى مصر والبحرين.

كانت هناك رتوش أخرى وضعتها القناة الإيرانية، فقد أشارت إلى تقرير بثته القناة العاشرة للتليفزيون الإسرائيلى يؤكد إرتياح كل من الولايات المتحدة وإسرائيل بعد تعيين عمر سليمان كمستشار أمنى لولى العهد السعودى الجديد الأمير نايف.

التقرير العبرى أشار إلى أنه على الرغم من عدم تأكيد الخبر إلا أن بعض المصادر الغربية قد ألمحت إلى أن الأمير نايف يرغب من هذا التعيين أن يوضح للعالم أنه لن يتخلى عن التواجد الغربى فى المملكة فى حالة توليه خلافة الملك عبد الله.

وأضاف تقرير القناة العاشرة الإسرائيلية أن وجود عمر سليمان فى هذا المنصب سيحد كثيرا من العداء لإسرائيل نظرا لقربه من الولايات المتحدة واسرائيل منذ كان مديرا للمخابرات المصرية فى عهد مبارك.

لكن لماذا تستعين السعودية بعمر سليمان تحديدا؟

هنا يظهر باحث سعودى اسمه فؤاد إبراهيم يقول أن جهاز المخابرات السعودية ارتبط تشكيله بالمخابرات المصرية، كما أن السعودية استفادت من أحد مديرى جهاز المخابرات

المصرية فى السبعينات والذى كان خبيرا فى شئون الحركات الإسلامية، وقد تحول إلى مستشار دائم فى وزارة الداخلية السعودية، وعليه فليس مستغربا أن تستعين هذه الوزارة تحديدا من خبرات عمر سليمان فى مجال الأمن.

الباحث السعودى رأى كذلك أن عمر سليمان يمتلك خبرة طويلة فى التعامل مع الحركات الإسلامية، وبالتالى فهو أقدر على التعاطى مع ملف الربيع العربى،لإمتلاكه كما هائلا من المعلومات، وبهذا ربما يتحول إلى مرشد للحكومة السعودية فيما يرتبط بالتعاطى والتعامل مع حركات الإحتجاج سواء ى داخل السعودية أو فى دول الجوار كاليمن والبحرين أو أى مناطق أخرى.

فى السودان أيضا كانت لعمر سليمان جهود كثيرة، بذلها لمنع انفصال جنوبه عن شماله، وتقول التقارير المخابراتية أنه تولى محاولات الوفاق بين الرئيس السودانى عمر البشير وسيلفا كير، وعقد بالفعل عدة لقاءات بينهما، لكنه لم يستطع أن يقاوم يد أمريكا الطويلة فى السودان، وحدث الإنفصال بالفعل، وهو ما يعتبر نقيصة تنسب إلى عمر سليمان ضمن ما ينسب إليه من نقائص.

إلى جوار ملفات ليبيا والسعودية والسودان، كان عمر سليمان متورطا حتى أذنيه فى الملف الفلسطينى بداية من المفاوضات مع اسرائيل بعد اتفاق أوسلو ونهاية بكل الإتفاقيات بين البلدين، وقد تولى بعد وفاة ياسر عرفات ملف المصالحة بين فتح وحماس، الذى بدأه بالدعوة إلى مؤتمر الفصائل الفلسطينية فى القاهرة عام 2005، وهو العام الذى استمع فيه المصريون لصوت عمر سليمان للمرة الأولى، فقبل ذلك كانوا يعرفون اسمه ونادرا ما يرون صورته، لكن هذه المرة استمعوا إليه.

ومن بين ما ينسب إلى عمر سليمان أنه عمل جاهدا على تحجيم حماس فى السلطة، بل إنه بذل جهودا كبيرة للحد من وصولها إلى السلطة من الأساس، وهو ما تكشفه إحدى وثائق ويكليكيس الشهيرة، ففى إحداها أن عمر سليمان قال لمسئول إسرائيلى بأنه يود منع الإنتخابات التشريعية بالسطلة الفلسطينية عام 2006، حيث كان من المتوقع فوز الإسلاميين، لكن سليمان فشل وتمت الإنتخابات التى اكتسحتها حماس.

وفى وثيقة أخرى من وثائق ويكيليس تعهد عمر سليمان للأمريكان بحصار حماس سياسيا، وهو ما فعله أثناء إجتماعه مع وفد أمريكى.

من بين ما كشفته الوثيقة المشفرة «cairo 908» أيضا أن سليمان فى العام 2008 تعهد أمام وفد أمريكى ببذل مزيد من الجهد لعزل حركة حماس وحصارها سياسيا، كما اقترح تدريب قوات فلسطينية تابعة لحركة فتح بدعم وتدريب أمريكى لتكون قادرة على الدخول لغزة وقتال حماس.

سليمان قال للوفد الأمريكى - طبقا للوثيقة - أن بلاده كانت تنتظر ضوءا أمريكيا أخضر يسمح لها بتدريب قوات خاصة تابعة لحركة فتح، ولكن واشنطن فضلت أن تقوم عمان بهذا التدريب خلال المرحلة الأولى، ثم تلحقها مصر فى المرحلة الثانية.

تعهد سليمان أيضا - طبقا للوثيقة - باستمرار الضغط على حماس حتى ايقاف ضرب الصواريخ من غزة تجاه أهداف إسرائيلية.

حالة العداء التى تعامل بها عمر سليمان مع حركة حماس، كانت وراء إتهامات واضحة للحركة بأنها كانت وراء إغتياله، ومن بين ما أشارت إليه صفحة " دعم اللواء عمر سليمان " على الفيس بوك أن عملية قتل سليمان بالولايات المتحدة تكلفت 3 مليون دولار، وأن جماعة الإخوان المسلمين بالتعاون مع حركة حماس تورطت فى عملية القتل، حيث قامت حماس برصد تحركاته فى أمريكا ولم تتركه إلا بعد التخلص منه.

الداعمون لعمر سليمان استندوا إلى تبرير إتهامهم بأن القتيل نجح عبر مراحل مختلفة من عمله المخابراتى فى كشف كل مؤامرات حماس وشل حركاتها فى غزة وسيناء، كما نجح فى كشف تهريب الأسلحة من سوريا و إيران إلى قطاع غزة.

لكن الأغرب من الإتهام كان التقرير الذى تداولته مواقع إليكترونية عديدة، بعضها ليس داعما لسليمان، يقول التقرير أن القيادى بحركة حماس أيمن طه تورط فى قتل اللواء عمر سليمان فى مقر إقامته فى واشنطن، وأنه اشترك مع خمسة آخرين فى تنفيذ العملية.

قسم التقرير جنسيات شركاء أيمن طه الخمسة فى عملية الإغتيال، إلى ثلاثة يحملون الجنسية الفلسطينية، ورابع يحمل الجنسية البريطانية، وسيدة لبنانية.

طبقا للتقرير أقام الأفراد الستة فى أماكن محيطة بمقر إقامة عمر سليمان فى أمريكا، وأن الإغتيال تم بعد تخديره فى مستشفى كيليفلاند، وذلك بعد رشوة عاملين بالمستشفى بمبالغ تصل إلى 250 ألف دولار للفرد.

رواية أيمن طه بوليسية بحتة، ما فى ذلك شك، فهو متحدث رسمى باسم حماس، وقد دخل مصر بعد موت عمر سليمان بأيام قليلة، وشارك فى جلسات نقاش عديدة جمعت بين قيادات جماعة الإخوان المسلمين فى مصر وقيادات من حماس، وليس معقولا أن يتم توريط قيادى شهير مثله فى عملية إغتيال شخصية معروفة مثل عمر سليمان.

لقد حرصت قيادات حماس على المشاركة فى جنازة عمر سليمان وقدمت العزاء، لكن هذا لا يمنع أن موت الرجل لم يكن ذا بال مع الحركة التى كانت تعرف عداءه لها.

بل إن اسماعيل هنية القيادى بحماس روى لأصحابه فى إعتكاف ليلة القدر بعد أيام من وفاة عمر سليمان قصة يمكن أن تكون ذات دلالة.

قال: « كنا عندما نذهب فى زيارات إلى دولة مصر الشقيقة ممثلين عن الحكومة الفلسطينية، يقوم النظام السابق باستقبالنا بشكل غير رسمى، حيث كان يقوم باستقبالنا مدير المخابرات عمر سليمان وعدد من الشخصيات، ولم يتم استقبالنا فى القصر الرئاسى، وفى إحدى الزيارات احتج وفدنا على هذه المعاملة فى لقاء مع عمر سليمان، لكن سليمان رد علينا بأننا سنظل نعاملكم كممثلين عن فصيل مقاوم للإحتلال، وليس كممثلين عن حكومة، فرددنا عليه بأننا نمثل قضية فلسطينية أساسية فى المنطقة ولا نمثل فقط فصيل.

احتد النقاش بين وفدنا وعمر سليمان، فرد علينا بأنكم - يقصد حماس - لن تدخلوا القصر إلا على جثتنا، فسبحان الله كنا فى زيارة لمصر الشقيقة بعد فوز الرئيس محمد مرسى حيث تم استقبالنا فى القصر الرئاسى، وكنا نسير فى ممر من ممرات القصر وكان بجانبى الرئيس، وخلفنا يسير مدير المخابرات مراد موافى، فجاء اتصال لمدير المخابرات يخبره المتصل بأن عمر سليمان توفى فتذكرت قوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: 5].

رد فعل حماس ليس مبررا بالطبع إلى إتهامها بأنها من نفذت عملية إغتيال عمر سليمان، فالرجل كان يعمل كرجل مخابرات محترف فى الدول العربية وعلى دراية كاملة بأسرار ما يجرى فيها وعليها، وبحكم عمله الإحترافى هذا، فمن المؤكد أنه كان يعرف الكثير ... وهو كثير يضر بالطبع، وقد تكون بعض الدول العربية رأت أن وجود الرجل خارج منصبه المخابراتى وهو يملك كل هذه المعلومات خطر عليها، فلم يكن لديها مانع فى تصفيته أو المساعدة فى ذلك أو على الأقل - وهذا أضعف الإيمان - السكوت على هذه التصفية.

* * *

من بين الملفات الكثيرة التى كان عمر سليمان يباشرها أيضا، ملف العلاقات المصرية الإسرائيلية، وقد كشف بنيامن أليعازر وزير الدفاع الإسرائيلى الأسبق والنائب بالكنيست - وصديق مبارك المقرب أيضا - أسرار وكواليس وألغاز هذه العلاقة بعد وفاة عمر سليمان.

قال أليعاز: سليمان كان أفضل من خدموا إسرائيل ... وأضاف فى تصريحات خاصة لجريدة معاريف أن سليمان كان وطنيا مصريا، ومن أبرز الشخصيات التى قوضت حركة حماس خلال فترة النظام المصرى السابق.

تحدث أليعازر بعد ذلك عن علاقته الشخصية بسليمان، قال: «أنا أقدر نزاهته، كانت له القدرة على معرفة ما يفكر فيه الناس، وكانت لديه علاقات ممتازة مع كبار مسئولى وزارة الدفاع الإسرائيلية، وموته خسارة للشعب المصرى كله».

ويضيف أليعازر: « كانت علاقتى مع سليمان وثيقة جدا، وعملت على إدخاله فى كل موضوع وخاصة فى قضية الغاز، فكنت أتحدث معه يوميا، وكان له فضل كبير فى تصدير الغاز المصرى إلينا».

وكشف أليعازر عن أن سليمان ساهم فى نقل 150 ألف سعفة من النخيل إلى اسرائيل التى كانت بحاجة ماسة إليها من أجل الإحتفال فى عيد المظال اليهودى، وأن زياراته لإسرائيل كانت عديدة، ولم يتردد فى مقابلة وزير الخارجية أفيجادور ليبرمان بالرغم من توتر العلاقات

بين مصر وليبرمان،هذا فضلا عن تأييده لعملية السلام مع إسرائيل، ثم أن مواقفه كانت معتدلة، وكان مؤيدا للسياسات التى تعارض إيران.

إلى جوار ما قاله أليعازر يمكن أن نثبت ما قاله «موردخاى كيدار» الخبير المخضرم فى شئون الشرق الأوسط فى مركز بيجين - السادات للدراسات الإستراتيجية بجامعة بار ايلان الإسرائيلية لصحيفة «جيروزاليم بوست»، يقول: «لقد كنا حلفاء فى مواجهة المتشددين الإسلاميين، ولقد حاربناهم وكذلك فعل هو - فى إشارة إلى عمر سليمان -».

ويصف كيدار عمر سليمان بقوله: «سليمان كان يمثل طبقة علمانية صغيرة فى المجتمع المصرى، كانت ثرية وفاسدة، ولهذا كان مناهضا للإسلاميين».

وطبقا لموقع الجزيرة . نت فإن عمر سليمان كان هو الشخصية الأكثر قربا من إسرائيل، وذلك لمساهماته العديدة فى حراسة مصالحها الإستراتيجية المشتركة مع مصر، ودللت بذلك على ما قاله التليفزيون الإسرائيلى عن عمر سليمان بأنه كان صاحب بيت فى اسرائيل.

وينقل تقرير الجزيرة عن محرر الشئون الإستخباراتية فى صحيفة هاآرتس يوسى ميلمان قوله أن عمر سليمان لعب دورا مفصليا فى توثيق علاقات التعاون العلنى والسرى بين مصر وإسرائيل، وأنه كان أبر رمز لها منذ توليه حقيبة المخابرات فى العام 1993.

ومن بين جهود عمر سليمان التى يرى يوسى أنه خدم بها اسرائيل، أنه وقف خلف اتفاقية التهدئة التى منحت مستوطنات الجنوب المحيطة بقطاع غزة الهدوء لمدة ستة شهور بداية من 19 ديسمبر 2008.

ويشير ميلمان إلى أن سليمان عمل من أجل تسوية بين حركة المقاومة حماس وإسرائيل عقب عدوان الرصاص المصبوب فى نهاية 2008،والتى استهدفت مساعدة إسرائيل كى تبدو كمن تفاوض منظمة إرهابية لا حركة مقاومة.

ويروى ضابط مخابرات إسرائيلى لموقع الجزيرة أنه لن ينسى أبدا قيام عمر سليمان فى واحدة من لقاءاتهما بمستهل الإنتفاضة الثانية بالتهجم على ياسر عرفات وشتمه بفظاظة بعدما تبين له أنه لا يكترث بنصائحه.

اهتم تقرير الجزيرة كذلك بما قاله المحلل العسكرى الإسرائيلى " ران أدلست" من أن عمر سليمان هو صديق إسرائيل الأول فى مصر، والذى يقوم على حراسة المصالح الإستراتيجية للدولتين، فعلاوة على اعتبارات أيديولوجية تتعلق بتوجهات وأولويات النظام الحاكم فى مصر توثقت علاقات سليمان بإسرائيل على خلفية وجود عدو مشترك لهما يتمثل بالحركة الإسلامية.

وتدليلا على قوة العلاقة بين عمر سليمان و إسرائيل نشرت منظمة «ميدل ايست مونيتور البريطانية» على موقعها الإليكترونى قول مسئول فى مكتب بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلى، أن نتنياهو اتصل بعمر سليمان عندما كان نائبا لمبارك وأعرب عن قلقه إزاء الوضع فى مصر واقترح على ما يبدو قيام أفراد من المخابرات الإسرائيلية بعمليات متخصصة مختلفة لوضع حد للمظاهرات المتصاعدة ضد نظام مبارك.

إحدى وثائق و يكليكس التى نشرتها صحيفة «التليجراف» البريطانية، أشارت إلى أن عمر سليمان كان مرشح اسرائيل المفضل لخلافة حسنى مبارك، وأنه كان يتواصل يوميا مع إسرائيل عبر هاتف أحمر.

وتشير البرقية الدبلوماسية الأمريكية المؤرخة فى العام 2008 أن «ديفيد هاشام» أحد مستشارى وزارة الدفاع الإسرائيلية سمى عمر سليمان فى عدد من البرقيات لتولى الرئاسة فى مصر خلفا لمبارك، وأوردت وثيقة السفارة الأمريكية أن هاشام كان يمتدح سليمان بشدة، و يؤكد أن الخط الساخن بين الوزارة الإسرائيلية والمخابرات المصرية كان يستخدم يوميا.

هذه الحالة من الشجن العاطفى الغارق فى الرومانسية التى تحدثت بها اسرائيل عن عمر سليمان فى حياته وبعد موته، تؤكد أن المخابرات الإسرائيلية لا يمكن أن تقدم على إغتيال الرجل، فكما كان مبارك كنزا استراتيجيا لها، فقد كان عمر سليمان كذلك.

لكن هذا لم يمنع البعض من اتهام الموساد بأنه وقف وراء إغتيال عمر سليمان، وبنى من ذهبوا إلى ذلك بأن الرجل أصبح لدى الموساد ورقة محروقة، فهو يمتلك الكثير من الأسرار عنهم، وأصبح خطرا على الجميع عندما أصبح فى الظل بعيدا عن أى منصب سياسى، يمكن أن يعصمه من الحديث، وهو مبرر مقنع وكاف يمكن أن يورط إسرائيل فى إنهاء حياة الرجل.

لكن ما يمكن أن نعتبره مفاجأة هو ما قاله جهاد الخازن عبر ما عرفه عن قرب عن عمر سليمان، فلدى الرجل رؤية مخالفة لكل ما قيل وتردد عن علاقة عمر سليمان بالإسرائيليين.

فى مقال نشره فى زاويته بجريدة الحياة اللندنية عن عمر سليمان عنوانه «الرجل ظلم حيا وميتا»، قال: «عندى التالى مما سمعت مباشرة من حسنى مبارك وعمر سليمان، فمبارك كان يكره إسرائيل ولم يزرها إلا مرة واحدة بعد إغتيال اسحاق رابين، وإذا أغلقت آلة التسجيل فهو ككل ابن بلد مصرى يقول: ولاد الكلب اليهود دول، إلا أنه وصل إلى قناعة نهائية بأن مصر لا تستطيع أن تربح حربا ضد إسرائيل، وأن الولايات المتحدة فى حال الحرب ستقيم جسرين جويين مع إسرائيل لا جسرا واحدا كما حدث فى 1973 ... كما رأى الرئيس المصرى أيضا ولا أقول أنه مصيب أن الدول العربية لا تريد أن تحارب وكانت علاقته طيبة ومستمرة مع المملكة العربية السعودية».

ينتقل الخازن من مبارك إلى سليمان، يقول عنه: «اللواء شارك الرئيس مبارك آراءه السابقة، إلا أنه قطعا حاول مساعدة الفلسطنيين من دون استشارة أمريكا واسرائيل، وكتبت ذات مرة أنه أرانى خريطة الأنفاق بين العريش وغزة، وأسماء مالكى كل نفق وأسعار التهريب، وهو قال لى أن الجانب المصرى يزعم للإسرائيليين والأمريكيين «إحنا منعرفش» لوجود المعاهدة والمساعدة الإقتصادية والعسكرية، كما أن السواتر المعدنية كانت دعاية وخدعة، ولم توقف أى نفق معروف وسببها التجاوب المزعوم مع الضغوط الأمريكية والإسرائيلية من دون تنفيذ شئ فعلى على الأرض».

ويضيف الخازن إلى شهادته: «سمعت سليمان وأنا فى مكتبه ومعى الزميلة جيهان الحسينى، يشرح للرئيس جيمى كارتر فى مهاتفة استمرت 15 دقيقة الخطوات المتخذة من دون إعلان لمساعدة الفسلطنيين فى قطاع غزة، ولم يكن سليمان يحب حماس أو سياستها ويعتبرها جزءا من الإخوان المسلمين، إلا أنه كان يفرق بين خلافه السياسى مع الفصيل والشعب الفلسطينى فى غزة، كما أنه عارض إطلاق الصواريخ على إسرائيل، وقال إنها غير ذات تأثير إطلاقا وتعطى إسرائيل عذرا للرد وقتل فلسطنيين أبرياء».

لكن لماذا كتب جهاد الخازن هذا المقال؟

يقول هو أنه تلقى رسالة من العماد أول مصطفى طلاس بدأها بقوله: إن الخلاف فى الرأى لا ينزع للود قضية، ويكمل بجملة قاسية جدا ونعوت على اللواء عمر سليمان كان أهونها قوله: «هذا الطرطور قام بزيارة تل أبيب 1520 مرة خلال 30 سنة، وربما تقول لى أنه ينفذ أوامر رئيسه حسنى مبارك، وأنا أرد عليك أنه لا يوجد فى مصر رجل واحد يحب إسرائيل لأن عدو جدك لا يودك، ألا توجد ذرة من الكرامة ليعتذر لرئيسه عن هذه المهمة القذرة».

نشر جهاد الخازن بعضا مما ورد فى رسالة مصطفى طلاس إليه عن عمر سليمان، ثم قرر أن يكتب ما يرى أنه شهادة حق فى رجل عرفه شخصيا، وكان ما كتبه على أساس ما سمعه منه.

كانت علاقة عمر سليمان بإسرائيل ملتبسة إذن ... تعددت فيها الآراء والإجتهادات، وهو ما يضيع حقيقتها ... وإن كنا فى النهاية لا نستطيع أن ننكر أن عمر سليمان كان عزيزا على إسرائيل ... لكنه على أية حال لن يكون أبدا أعز عليها من مصالحها وأمنها.

❋ ❋ ❋

الآن نأتى إلى المجلس العسكرى.

والسؤال: كيف تعامل المجلس بقيادة المشير طنطاوى مع عمر سليمان بعد تخلى مبارك عن السلطة؟

فى واحد من حواراته القليلة التى أدلى بها عمر سليمان بعد إعلان ترشحه للرئاسة قال أن علاقته بالمجلس العسكرى ليست إلا علاقة زمالة، وأنه يقدم ما لديه من خبرات واستشارات فى الإتصالات الخاصة والمشكلات الأمنية حتى يخرج المجلس العسكرى من بعض الأزمات التى تعرضت لها مصر بعد الثورة.

سليمان اعتبر نفسه بمنزلة المستشار الأمنى للمجلس العسكرى، لكن يبدو أن هذه الصفة لم تبدأ مباشرة بعد الثورة، فقد انقطعت العلاقة بين عمر سليمان والمشير طنطاوى تماما بعد تخلى مبارك عن السلطة، ولم تكن هناك أى أحاديث أو حوارات منذ 11 فبراير 2011 وحتى منتصف يونيو 2011، وقتها بدأ المجلس العسكرى فى الإستعانة بعمر سليمان كمستشار أمنى.

لكن لماذا حدثت القطيعة؟

مصادر عديدة تشير إلى أن المشير حسين طنطاوى غدر بعمر سليمان، فعندما جمعه لقاء بعمر سليمان صباح الجمعة 11 فبراير 2011، وهو اللقاء الذى حضره الفريق أحمد شفيق الذى كان وقتها رئيسا للوزراء، اتفق الثلاثة أن تدار مصر من خلال مجلس ثلاثى يضم المشير طنطاوى بوصفه رئيس المجلس العسكرى وعمر سليمان بوصفه نائب الرئيس الذى لم يصدر أى قرار رسمى بشأنه فى قرار تخلى مبارك عن منصبه، والفريق شفيق رئيس الوزراء.

فى اليوم التالى مباشرة اتصل عمر سليمان بالمجلس العسكرى ليبدأ ممارسة مهام عمله الجديد، فقيل له أن قصر الإتحادية تم إغلاقه، فى إشارة إلى أن الإتفاق الذى تم بينه وبين المشير طنطاوى تم إلغاءه، فقرر سليمان أن يبقى فى بيته.

لا أحد يعرف على وجه التحديد ما هى نوعية الإستشارات التى قدمها عمر سليمان للمجلس العسكرى، وهل هى استشارات تتعلق بالتعامل مع الإخوان المسلمين؟ أم استشارات تتعلق بالأوضاع الأمنية؟ أم استشارات تتعلق بملف الأمريكان؟ ... .ويبدو أن هذه الإستشارات ستمثل ملفا سريا من الملفات التى رحلت برحيل الجنرال الغامض.

لكن المؤكد الآن أنه كان هناك انقسام بين قيادات المجلس العسكرى فيما يتعلق بعمر سليمان.

لقد أشار عمرو موسى قبل بداية السباق الرئاسى فى 2012 أن عمر سليمان سيكون مرشح المجلس العسكرى فى الإنتخابات الرئاسية، موسى الذى كان يتحدث أثناء لقاءه بمجموعة «جى مورجان» العاليمة للإستثمارات المالية بمقر حملته الإنتخابية بمنطقة الدقى قال أن المجلس الأعلى للقوات المسلحة قد يدفع بنائب الرئيس السابق عمر سليمان فى السباق الإنتخابى، ليكون المرشح العسكرى فى مواجهة خيرت الشاطر مرشح جماعة الإخوان المسلمين.

بعد تصريحات عمرو موسى حرصت مصادر قيل أنها وثيقة الصلة باللواء عمر سليمان على التأكيد أن المجلس الأعلى للقوات المسلحة نصح سليمان بعدم خوض انتخابات رئاسة الجمهورية، وألا يخضع للضغوط التى تطالبه بخوض الإنتخابات.

عمر سليمان نفسه نفى أن تكون هناك أى صلة بين المجلس العسكرى وترشحه للرئاسة، وهو ما أكده بعد ذلك مصطفى بكرى فى شهادته على الفترة الإنتقالية التى نشرتها جريدة الوطن ضمن شهادات أخرى جمعتها من أعضاء المجلس الإستشارى الذى عينه المجلس العسكرى.

يقول بكرى: «تعرض العسكرى للظلم بإتهامه بالوقوف مع عمر سليمان أو أحمد شفيق، سليمان كان رافضا بقوة، وحدثته وسألته بصفتي الشخصية: إنت نازل، قال: لأ، كان ذلك يوم الأربعاء، حدثته يوم الجمعة وقلت له: فيه أخبار إنك نازل، قال: أيوه نازل، سألته: إيه اللى غير رأيك؟، قال: البلد هتروح وأنا لازم أنزل المعركة دى، قلت له: هتقدر على الإخوان؟، قال: أنا لدى موقفى المعلن وسأرشح نفسى».

يستكمل بكرى شهادته: «فى هذا التوقيت كان سليمان مرتابا فى موقف العسكرى، قلت له: هل تشاورت معهم؟ قال: لم أتشاور مع أحد، فشعرت فى إجابته أنه ربما الآخرون لا يوافقون أو ليس فى رغبتهم حتى الموافقة، لذلك ستبقى علامات استفهام على ال30 توكيل، الراجل قدم التوكيلات، ثم فوجئنا باختفاء 30 توكيلا، سألته: ما تفسيرك؟ قال: مش عارف أنا متأكد إن التوكيلات مكتملة وأن هناك توكيلات بتاريخ يسبق إغلاق باب الترشيح، أنا حاسس إن فيه حاجة لكنى قابل بحكم اللجنة القضائية، واعتبر الأمر انتهى ... مصر تهمنا وهى فوق أشخاصنا».

حالة الريبة التى أشار إليها مصطفى بكرى حسمها أسامة برهان نقيب الإجتماعيين الذى كان عضوا فى المجلس الإستشارى هو الآخر، كان يتحدث عن تركيبة المجلس العسكرى.

قال: «المجلس العسكرى برئاسة طنطاوى لم يكن قماشة واحدة، وكان فيه ناس وطنيين شرفاء جدا، ومنهم المشير طنطاوى والفريق سامى عنان، مرة قلت للمشير يا سيادة المشير: حمر عينيك ما ينفعش اللى بيحصل فى البلد» وساعتها الإخوان كانوا عاملين مشكلة، فقال لى فيه ناس كتير بيتهمونى إنى عاجز عن استخدام القوة، لكن أنا مبحبش العنف والدم، قلت له أنا مش قصدى إنك تموتهم، أنا قصدى يبقى فيه تصريحات ومواقف قوية، ولما كان يريد إجراء معين يصرح عنه بعد قناعته به بربع ساعة، بس بعد يومين يختفى ويطلع واحد تانى يقول حاجة تانية، والسبب إن المجلس مش قماشة واحدة».

وتأتى مفاجأة برهان، يقول: «والدليل إن المجلس العسكرى ما كانش قماشة واحدة هو استبعاد سليمان من الترشيح لإنتخابات الرئاسة بسبب 30 توكيل تقريبا، ولجنة الإنتخابات كانت ممكن تقول له استكملهم، ولكن فيه جبهة ثانية كانت مش عاوزاه».

كان هناك إذن من يرى من بين قيادات المجلس العسكرى أن دور عمر سليمان انتهى إلى الأبد، ولذلك لم يترددوا فى تعطيله وحرمانه مما يرى أنه كان حقه فى الترشح لإنتخابات الرئاسة.

لقد كان موقف المجلس العسكرى من عمر سليمان غامضا، لقد تركوه يسافر إلى الإمارات، وكانت النية أن يقيم الرجل هناك ربما إلى الأبد، لكن جرى ما يمكن أن نعتبره لغزا شفرته لا تزال غامضة حتى الآن، ففى 17 يوليو 2012 أى قبل وفاة عمر سليمان بحوالى أسبوعين، استدعى المشير طنطاوى عمر سليمان، طلب منه أن يعود من الإمارات على وجه السرعة، وهو ما لم يحدث بالطبع.

لقد ربط البعض بين طلب استدعاء المجلس العسكرى لعمر سليمان وقرار الرئيس محمد مرسى بعودة البرلمان الذى انحل بحكم نهائى من المحكمة الدستورية، لكن أعتقد أن الأمر لم يكن ليستدعى عملية الاستدعاء السريع لسليمان، وهو ما يجعلنا نتساءل بحسن نية: هل كانت لدى المشير طنطاوى معلومات معينة عن جهات تريد تصفية عمر سليمان، وأراد أن يعود به إلى مصر حتى لا يطوله أحد؟

وإذا كانت مثل هذه المعلومات توفرت للمشير طنطاوى، ومؤكد أنها توفرت أيضا للمخابرات العامة المصرية، فلماذا صمتوا حتى مات الرجل موتة غريبة جدا ومريبة جدا وغامضة جدا؟

أعتقد أن هذا سؤال سيظل معلق برقبة الجميع ... خاصة أن هناك من بين قيادات الأجهزة السيادية المصرية من كان يرى أن دور سليمان انتهى إلى الأبد.

* * *

قد لا يكون أحد من بين هؤلاء (الإخوان - الأمريكان - الحكام العرب - حماس - الموساد - المجلس العسكرى) تورط فى مقتل عمر سليمان ... وقد يكونوا جميعا تواطأوا من أجل الخلاص منه ... ذاك الخلاص الذى أراح الجميع ... تاركا وراءه لغزا كبيرا أعتقد أنه لن ينتهى بسهولة، لغز يدخل به عمر سليمان كتاب «الموت الغامض» الكبير فى تاريخ مصر الحديث.

الفصل الثالث

3



المطرود من جنة الرئاسة

صباح 6 فبراير وقبل خمسة أيام فقط من تخلى مبارك عن سلطته، كان عمر سليمان يجلس فى قصر الإتحادية أمام «كريستيان أمانبور» مذيعة قناة «abc» الأمريكية، التى اختطفته لدقائق قليلة، حاورته حول الأحداث الجارية فى مصر.

ما يهمنا فى الحوار هنا أسئلة محددة.

كريستيان: هل ستقدم نفسك كمرشح للرئاسة؟

سليمان: لا ... وفقا للأوضاع الحالية لا أستطيع، فأنا لا أتبع أى حزب أو هيئة استطيع ترشيح نفسى من خلالها وفقا للدستور.

كريستيان: بإفتراض تغير الظروف هل ستترشح للرئاسة؟

سليمان: لا أعتقد.

كريستيان: لماذا؟

سليمان: أنا أصبحت كبيرا فى السن، وفعلت الكثير لهذا البلد، وليس عندى أى طموح لتولى الرئاسة، فعندما طلبنى الرئيس لتولى منصب النائب، وافقت لمساعدة الرئيس فى هذا الوفت الحرج.

❋ ❋ ❋

خرج عمر سليمان من قصر الإتحادية إلى بيته، لم يكن أحد يعرف عنه شئيا، تسربت فقط بعض المعلومات أنه يتردد على جهاز المخابرات، وأن له مكتب صغير فيه يقضى فيه بعض الوقت، بالإضافة إلى التفرغ لعائلته التى انشغل عنها طويلا، وهو ما جعله يظهر فى عدة مناسبات إجتماعية، وهى المناسبات التى كان يطارده فيها الجميع كى يعود إلى العمل السياسى مرة أخرى، وكان هو متردد دائما.

وقتها حاولت أن أبحث عن الرجل، وكتبت بعض الملاحظات، كان منها.

منذ شهور ... وربما بعد أيام قليلة من تنحى الرئيس مبارك ببيان قصير ألقاه اللواء عمر سليمان، اجتمع عدد من مؤيدى عمر سليمان فى مقهى شهير بالمهندسين، كان عددهم يتجاوز الأربعين، يتحدثون بحماس عن خطتهم إلى إعادة الجنرال إلى الساحة مرة أخرى ... .فالرجل لم ياخذ فرصته، ثم أنه يستحق أن يكون رئيس مصر القادم.

كانت تتزعم المجموعة أستاذة جامعية – أغلب الظن أنها تنتمى إلى جامعة عين شمس – كانت هى من دعت المجموعة ونسقت اللقاء عبر صفحتها على الفيس بوك ... وهى الصفحة التى دعت عمر سليمان إلى الترشح لرئاسة الجمهورية.

كانت هناك أسئلة كثيرة لدى المجتمعين، وجدت الأستاذة الجامعية نفسها محاصرة بها، وهى أسئلة لا يعرف إجاباتها إلا عمر سليمان نفسه، منها مثلا ما تردد عن حصول سليمان على أراضى من الدولة مستغلا نفوذه، ومسئوليته عن الفساد فى عصر مبارك.

فليس معقولا أن يكون الرجل مديرا لجهاز المخابرات العامة كل هذه الفترة – تحديدا منذ 22 يناير 1993 – ولا يعرف حجم الفساد المستشرى فى عهد مبارك ... ثم هل من المعقول ألا يكون للرجل أى علاقة بهذا الفساد، رغم أنه كان الرجل الثانى فى عصر مبارك؟

لم تكن الأستاذة الجامعية تملك أيا من الإجابات على هذه الأسئلة، ولذلك قالت إن السيد عمر سليمان مؤكد سيجيب عن كل هذه الأسئلة ... وساعتها سيظهر نقاء صفحته، ولن يستطيع أحد أن يدينه بشئ.

كانت الأستاذة الجامعية واثقة من عدم تورط السيد عمر سليمان فى أى شئ نسب إليه من

قريب أو من بعيد، وكان كل همها أن تحصل على تأييد الموجودين لصالحه، حتى عندما تذهب إليه يتحمس للترشح، لأن هناك من يدعمه ويقف إلى جواره ويثق فى نقاءه وطهارته.

انتهى هذا المشهد من أمامى على وعد من المشاركين أن يلتقوا مرة أخرى ليس فى مقهى ولكن فى مقر دائم لهم، يكون بمثابة مقر لتأييد عمر سليمان فى حملته للترشح للرئاسة، وبعدها لم أعرف شئيا عن هؤلاء، ولا هل وصلوا إلى عمر سليمان أم لا، وهل أجابهم على أسئلتهم، وهل استجاب لهم ووعدهم بأنه سينافس فى الإنتخابات الرئاسية القادمة، أم أنه سيركن إلى الراحة، ويكفيه من عناء السياسة ما عاناه وهو كثير وموجع؟

فى كتابه الموجز «الساعات الأخيرة من حكم مبارك» ... أشار عبد القادر شهيب إلى أن السيد عمر سليمان وبعد أن فقد منصبيه كرئيس للمخابرات المصرية ونائب للرئيس مبارك فى أسبوع واحد، لم يعد له سوى مكتب صغير بمبنى المخابرات العامة يتردد عليه بصورة شبه يومية.

ورغم أن الرجل أصبح مسئولا سابقا فى الجهاز، إلا أن رحيله عنه لم يكن قد برد بعد ... وعليه فمن المنطقى أن تظل للرجل علاقات ساخنة بالجهاز، وهناك ملفات كانت يده فيها، فهو لم يخرج من الجهاز بشكل طبيعى يتيح له أن ينقل ملفاته إلى من خلفه، ولكن الظرف كان طارئا، لم يسمح للرجل بأن يقطع كل خيوطه بالجهاز مرة واحدة، ولذلك كان حتميا وضروريا أن يعود إليه مرة أخرى ولو من خلال مكتب صغير ..وخلال أوقات متقطعة.

لكن ما الذى فعله عمر سليمان بعد أن خرج من قصر الرئاسة؟، وهو القصر الذى قضى فيه أياما قليلة حاول خلالها أن ينقذ ما تبقى من نظام الرئيس مبارك، ولما وجد أنه لا حل ولا أمل، كان أن اتفق مع المشير طنطاوى والفريق أحمد شفيق على أن يرحل الرئيس مبارك دون تفاوض أو أى ضمانة، ولأنه كان النائب، فقد وقعت عليه وحده مسئولية إبلاغ الرئيس مبارك بالقرار، ورغم أن المهمة كانت صعبة للغاية، إلا أنه أنجزها على أكمل وأتم وجه.

كان الحزن هو اللغة التى عبرت عن نفسها على وجه عمر سليمان وهو يلقى خطاب التنحى، ومؤكد أن الحزن لم يكن لأن الرجل سيترك منصبه، ولكن لأنه هو تحديدا من اختارته

الأقدار ليشيع نظام الرئيس مبارك الذى كان هو أحد اعمدته إلى مثواه الأخير و إل غير رجعة ... . كان عمر سليمان يعرف ذلك جيدا ... ولذلك سبقته أحزانه.

وحسب تقارير صحفية عديدة، فإن المكان الوحيد الذى كان يمكن أن يسع عمر سليمان بعد مهمته المقدسة هو بيته فقط، بيته الذى حرم منه طويلا بفعل مسئولياته الجسام التى كان يقوم بها لأكثر من 18 عاما هى عمر منصبه فى المخابرات العامة المصرية ... خرج عمر سليمان من القصر الجمهورى إلى بيته مباشرة.

ظل سليمان قابعا فى بيته يومين كاملين لم يخرج ولم يقابل أحدا، وعلى الأرجح فإنه قضى هذين اليومين متأملا ومفكرا فيما قام به، لقد حاول أن يقف إلى جوار الرئيس مبارك حتى اللحظة الأخيرة، لكن الأقدار كانت أقوى منهما، وقد تكون مشاركته فى قرار الإطاحة بالرئيس مبارك محاولة منه لإنقاذ الرجل من مصير كان قد صدر قرار به من الثوار، فقد قرروا أن يخرجوه من قصره ولو بالقوة، فقد أراد أن يحافظ له على صورة محترمة قدر الإمكان ... لكن توالى الأحداث حال دون ذلك بالطبع.

وقتها لم يعرف عمر سليمان على وجه التحديد ما الذى يجب أن يفعله، أو ما الذى يمكن أن يحدث له، فمنذ ساعات قليلة من إعلان التنحى أعلن مبارك أنه يمنح صلاحياته للسيد عمر سليمان نائبه، بما يعنى أن أصبح رئيس الجمهورية الفعلى، لكنه لم يهنأ بالصلاحيات إلا ساعات قليلة، وربما لم يستخدم عمر سليمان صلاحياته تلك التى منحها له مبارك إلا فى الإطاحة بالرئيس و إخراجه من مقر حكمه فى القاهرة إلى مقر ملكه فى شرم الشيخ.

كانت هناك كلمة واحدة ربما لا ينتبه لها أحد الآن، فعندما خرج عمر سليمان من قصر الرئاسة، كان لا يزال الفريق أحمد شفيق قابضا على جمر رئاسة الوزراء، وقال أن مصير عمر سليمان سيحدده المجلس العسكرى، تمت ترجمة الكلمة على الفور بأن المجلس يمكن أن يحتفظ بعمر سليمان، على أساس أنه كان يمسك بيديه ملفات خارجية كثيرة، ثم أنه وخلال الفترة التى قضاها نائبا للرئيس كان قد دخل فى حوارات عديدة مع القوى الوطنية المختلفة، وتكونت لديه صورة متكاملة عن الأوضاع فى مصر، ويمكن من خلال هذه المعرفة أن يتعامل مع الملفات الداخلية ببراعة، بما يجعل استمراره مناسبا إلى جوار المجلس العسكرى.

لكن ما حدث بالفعل كان شئيا مختلفا تماما، فقد خرج عمر سليمان من دائرة الضوء تماما، ولم يستعن به المجلس العسكرى فى أى شئ، ولم يبق عليه، بل ترك له فرصة أن يعود إلى بيته، ولم يظهر عمر سليمان إلا ظهورا نادرا ... خلال التحقيقات التى أجرتها النيابة فى مسئولية مبارك عن قتل المتظاهرين.

فى هذه التحقيقات لم يفصح عمر سليمان عن كل ما يعرفه، أشار فقط وكما تم التسريب لبعض الصحف أن مبارك لم يأمر بقتل المتظاهرين، لكنه فى الوقت نفسه صمت على ما حدث لهم، وكأنه بذلك أراد أن يقول أن مبارك متورط بشكل ما فيما جرى للمتظاهرين، ويمكن أن تكون هذه الشهادة دليل إدانة لمبارك خاصة أن حبيب العادلى طلب ضمها فى قضية قتل المتظاهرين، فلم يكن هو وحده من فعلها.

قضى عمر سليمان الشهور التى تلت التنحى بعيدا عن فعاليات الأحداث التى جرت، وكونه خرج بعد ساعات قليلة من تنحى الرئيس من قصر الرئاسة، فإنه لم يتعرض لهجوم الثوار أو مطالبتهم بعزله ومحاكمته، كما حدث مع الفريق أحمد شفيق الذى وجد نفسه مضطرا لأن يقدم اسقالته من رئاسة الوزراء، بعد أن عجز عن مواجهة غضب الثوار عليه.

ظل عمر سليمان مختفيا لشهور بعد إعلانه بيان تنحى مبارك إذن، لم يره أحد ولم يقابله أحد ولم يتحدث هو إلى أحد، حتى تم رصد ظهور مميز له بعد شهور فى أحد المساجد.

فوجئ المصلون بمسجد الملك فيصل المجاور لمطار القاهرة بالسيد عمر سليمان يؤدى صلاة الجمعة بينهم، ظهر الرجل بمفرده لم تكن معه أى حراسة، فعلى ما يبدو أنه تحرر من حراساته بعد أن تحرر من أعباء منصبه.

لم يحاول سليمان أن يلفت نظر أحد من المصلين إلى وجوده بينهم، حضر إلى الصلاة كفرد عادى يريد فقط أن يؤدى الصلاة، ثم يرحل من المسجد بعدها، لكن خطيب المسجد الذى كان يطالب المصلين بعد الإنتهاء من خطبته بأن يتبرعوا لتجديد سجاد وأثاثات المسجد، طلب بشكل مباشر من السيد عمر سليمان أن يتبرع ... وأن يساهم بماله من أجل عمارة بيت الله.

هنا تنبه المصلون أن نائب الرئيس السابق يصلى بينهم، وبعد الصلاة التفوا حوله، وكما

تؤكد المصادر الصحفية، فإنهم أعربوا عن تقديرهم له و إمتنانهم للدور الذى قام به فى الثورة، وكان طبيعيا أن ينتقل المصلون إلى الموضوع الأهم بالنسبة لهم وبالنسبة للسيد عمر سليمان، فقد طالبوه بأن يرشح نفسه للرئاسة، فهو الأحق والأجدر بها.

هناك من أشار إلى أن سليمان لم يعلق على دعوة المصلين له بالترشح للرئاسة، وأنه اكتفى بالصمت فقط وتوزيع الإبتسامات عليهم، ثم انصرف دون أن يجيب عليهم بشئ سلبى أو ايجابى، وهناك من يشير إلى أنه أعلن عن نيته للترشح للرئاسة، وقال لهم أن الأوضاع الآن غير مستقرة، لكنه يفكر جديا فى الأمر.

فى الجمعة التالية توجه عدد كبير من المواطنين إلى مسجد الملك فيصل ليقابلوا عمر سليمان ويصافحوه ويشدوا على يديه ويدعموه فى الترشح للرئاسة، لكنه اختفى، ولم يؤد صلاة الجمعة هناك، يقينا منه بأن عددا كبيرا من المواطنين حتما سيأتى إليه ... هذا غير وسائل الإعلام الكثيرة المصرية والعالمية التى ستتواجد فى المكان من أجل أن تقتنص له صورة وهو بين مؤيديه وداعميه.

كل ما فعله عمر سليمان أنه استجاب لطلب إمام المسجد، حيث كلف بعض مساعديه بأن يقوموا بفرش المسجد بالسجاد الجديد وتركيب تكييف مركزى له على نفقته الخاصة، دون أن تكون هناك حاجة لجمع تبرعات من المصلين، وهو ما فعله سليمان بصمت ودون أن يعلن عن ذلك، أو يعتبره فقرة من فقرات حملة ترشحه للرئاسة.

هل يمكن أن تقول لنا هذه الأحداث شئيا؟

مؤكد تفعل ذلك.

فعمر سليمان يفكر فى الترشح للرئاسة، وأغلب الظن أنه سيفعلها، فهو على ثقة أنه لم يأخذ فرصته، ثم أن هناك إتجاه بين المرشحين للرئاسة أنفسهم، بأن هناك مرشحا قويا سيظهر،وهذا المرشح سيحظى بتأييد الجيش،بل يمكن أن يكون هو مرشحه الأساسى.

لقد شكك البعض فى هدف ونية استفتاء المجلس الأعلى للقوات لمسلحة على صفحته بالفيس بوك حول مرشحى الرئاسة وتواجدهم وتأثيرهم فى الشارع المصرى.

وصحيح أن عمر سليمان وأحمد شفيق لم يحصلا على مراكز متقدمة فى بداية هذا الإستفتاء إلا أن تواجدهم نفسه جعل مرشحا رئاسيا آخر هو مجدى أحمد حسين - لم يصل إلى القائمة النهائية للمرشحين - يقول أن المجلس العسكرى سعى لتلميع عمر سليمان، فالرجل لم يعلن ترشيح نفسه للرئاسة لا بشكل رسمى ولا بشكل غير رسمى - حتى هذا الوقت - ،ومع ذلك فإن اسمه كان موجودا بين المرشحين.

لم يكن لأحد أن يجزم بشئ فيما يخص هدف ونية المجلس العسكرى من وراء إجراء هذا الاستفتاء، لكن فى النهاية لا يمكن لأحد أيضا أن يغفل أن هناك ما يدبر فى الخفاء ولا يعرف الرأى العام عنه شئيا، فليس معقولا أن يحصل هذا الاستفتاء على كل هذه الضجة، وفى النهاية يكون مجرد استفتاء عابر ... لا هدف من وراءه إلا الاستفتاء.

الغريب أن الكلام عن ترشيح عمر سليمان لم يكن وليد ظهوره فى مسجد الملك فيصل المجاور للمطار فقط، فقبل الإستفتاء بشهور كشفت تقارير صحفية أن حملة عمر سليمان للترشح للرئاسة بدأت بالفعل ولكن من قنا،أى من أقصى صعيد مصر، وقد يكون الأمر طبيعيا فعمر سليمان من مواليد مدينة قفط بمحافظة قنا فى 2 يوليو 1935 ... .ولا تزال عائلته تعيش فى قنا، رغم أن أسرته الصغيرة كانت قد تركت قنا فى وقت مبكر واستقرت فى الإسماعيلية.

شباب قنا هم من قاموا بقيادة الحملة لدعم عمر سليمان، وقد نظموا أنفسهم لجمع توقيعات دعم له، وقرروا بعد أن ينتهوا من قنا أن ينتقلوا إلى محافظات الصعيد الأخرى فى الأقصر وأسوان والبحر الأحمر وسوهاج وأسيوط والوادى الجديد، ثم بعد ذلك يتوجهون إلى محافظات الوجه البحرى.

هناك يمكن أن نتوقف قليلا أمام التحرك من الصعيد، فأحد مرشحى الرئاسة وهو عمرو موسى عندما بدأ التحرك فى جولاته الميدانية، كان أن توجه إلى الصعيد، ولم يكن السبب تنمويا فقط او إرسال رسالة من رئيس محتمل بأنه يريد أن يهتم بالصعيد،ولكن ببساطة لأن الصعيد لم يكن حاضرا بقوة فى الثورة، ثم أن القبائل لم تكن مرحبة بالخروج على مبارك بهذه الصورة لأسباب تعود إلى تركيبتها، وهو ما أشار إليه عمر سليمان وقتها من أن القبائل تؤيد مبارك، وعليه فإن أى مرشح ينتمى إلى عصر مبارك فمن السهل أن يعمل فى الصعيد وأن يلقى ترحيبا وتأييدا كبيرا.

عمر سليمان فى صفه أنه كان من رجال مبارك بل من أقوى رجال نظامه، ثم أنه صعيدى وله عائلة وقبيلة يمكن أن تقف إلى جواره، بل يمكن أن تخرج العصبية القبلية لتحسم نتائج الإنتخابات القادمة.

فى كل الحالات كان هذا رصد عابر لظهور وعودة جديدة لعمر سليمان إلى الساحة، وقد ظهر خلال الأيام التى أعقبت ظهوره مجموعات كثيرة عملت من أجل عمر سليمان تحت الأرض وفى الخفاء،لأنها كانت تخشى المواجهة مع مجموعات الثورة التى لا تقبل مبارك ولا أحدا من عصره.

هذه المجموعات من الشباب عملت عبر الفيس بوك وتوتير وعبر اللقاءات الشخصية من أجل دعمه، وانتظروا فقط أن يعلن الرجل عن نفسه، وأن يغلق ملفه مع الثورة ... وألا يكون هناك أى شئ يمكن أن يدينه ليعلنوا بثقة كاملة أن هذا الرجل هو رئيسهم القادم.

لكن كان هناك ما يمكن أن يكون مزعجا بالنسبة لعمر لسليمان، فقد بدأت إشارات عبر تقارير سياسية وصحفية تشير إلى أنه كان رجلا دمويا، وأنه كان يستمتع بمشاهد التعذيب للخصوم والمعارضين، وأن المخابرات الأمريكية كانت تعتمد عليه فى التعامل مع معتقلى جوانتامو، وهى ملفات أعتقد أنه سيتم التضخيم فيها لو رشح عمر نفسه للرئاسة، فالرجل وقتها سيكون مواطنا مصريا ينافس على منصب الرئيس، ولن يكون مستمتعا بحصانة أنه رئيس جهاز المخابرات،وهى الحصانة التى كانت تحميه من النشر أو التعرض له فى الصحافة ... لكن بعد الترشح سيكون كل شئ فى حياته مباحا ومتاحا ... ..ووقتها ما الذى يمكن أن يقوله عمر سليمان؟

نقطة نظام: (أعتقد مخالفا لمن يقولون أن المجلس العسكرى يمكن أن يدعم عمر سليمان، بحيث يكون هو مرشحه فى الإنتخابات الرئاسية القادمة،مرشح المجلس العسكرى،هذا إذا كان له مرشحا ولو حتى بالتأييد والدعم لم يظهر بعد وقد يكون اسمه مفاجأة، لكن عمر سليمان سيستمد قوته من الشارع، خاصة أن الثورة تترنح فى طرقات كثيرة، وسيكون من المناسب أن يكون رجل الإنقاذ فى هذه المرحلة هو عمر سليمان، لكن الكلمة فى النهاية للشارع الذى يعتقد الجميع أنه معهم ويقف إلى جواره وسيصوت على أسماءهم دون أن يفكر

أحد أن الشارع في مصر بلا حسابات مسبقة ..وأنه في لحظة يمكن أن يقلب انحيازاته جميعا، وإذا كان البعض يعتبر أن علاقة عمر سليمان بالرئيس مبارك نقطة ضعفه القاتلة، فإن هناك من يرى أن هذه العلاقة يمكن أن تكون نقطة قوته الحاسمة ... وبين هؤلاء وهؤلاء سيتحدد مصير الرجل ... الذى كان من المفروض أن يكون بكلمة من المجلس العسكرى الرئيس القادم ،لكن هذه الكلمة تأخرت كثيرا).

❋ ❋ ❋

بعد شهور من هذه التصريحات الواضحة والصريحة والجازمة التى ساقها سليمان أيام الثورة، وبعد شهور من الإختفاء إلا فيما ندر قرر عمر سليمان أن يرشح نفسه لرئاسة الجمهورية.

وعندما فعلها..حاولت أن أستطلع مصيره إذا فعل ذلك، وكان أن كتبت مرة أخرى:

ظل عمر سليمان مثل المحمية السياسية التى لا يجرؤ أحد على الإقتراب منها، حتى بعد أن فقد كل أنيابه، بخروجه من منطقة نفوذه فى المخابرات العامة، ثم بعدها من القصر الجمهورى الذى شغل فيه ولأيام قليلة منصب نائب الرئيس.

التزم عمر سليمان الصمت ... لم يتحدث إلا مرتين فقط ... الأولى عندما جلس أمام المحقق ليدلى بشهادته فى قضية قتل المتظاهرين، والثانية عندما وقف أمام القاضى أحمد رفعت ليدلى تقريبا بنفس الشهادة وبنفس تفاصيلها فى مواجهة مبارك هذه المرة.

لم يبتعد عمر سليمان عن منطقة صنع القرار، لكنه لم يكن إلا مستشارا فقط، وقد يكون وقف فى ركن الناصح ليس إلا ... إلا أن هذا الدور ظل فى منطقة ظلال لم يتعرف عليها أحد، إلا بعد أن أشار إليها سليمان من طرف خفى، فهو كان أحد المستشارين أو أحد الذين كانوا يفكرون للمجلس العسكرى، وتحديدا فى الملفات الخارجية.

صمت عمر سليمان لم يمتعه بالغموض فقط، ولكنه منحه الحماية أيضا ... فالرجل أغلق كل قبور أسراره طواعية وذهب بعيدا عن اللاعبين الأساسيين على الساحة السياسية، وكلهم لاعبون يعرف عنهم عمر سليمان الكثير.

لكن الحماية التى تمتع بها سليمان تحطمت على أطراف إعلانه ترشيح نفسه للرئاسة، وهو الترشيح الذى جاء مشفوعا بفتحه لبعض قبور أسراره، وتحديدا القبر الذى يحتفظ فيه بالدور الحقيقى لجماعة الإخوان المسلمين فى الثورة، وتأكيده على أنهم ساهموا فى اقتحام السجون وحرق أقسام الشرطة والتعاون مع جهات خارجية ... فى عمل مسلح واضح ضد النظام السابق.

كان رد فعل جماعة الإخوان المسلمين عنيفا ومتوترا ومرتبكا ... انقضوا على الرجل، ليس من أجل صمته، ولكن من أجل إخراسه إلى الأبد ... وجرت أكبر عملية تصفية معنوية وسياسية، لم يكن عمر سليمان فى أشد كوابيسه قسوة وسوادا يتوقعها أو ينتظرها.

تصفية عمر سليمان لم تتوقف عند الهجوم الإعلامى عليه، فهذا فى النهاية أهون ما جرى، كان الرجل يعرف أنه ينافس على رأس الدولة، ولن يتركه العابرون يمضى إلى نهاية الطريق ... ثم أن الإخوان المسلمين لا يخشون من كلام سليمان عن دورهم فى الثورة، فهذا الكلام يمكن أن يكون فى صفهم ... فقد كانوا يعملون فى ثورة أطاحت بالديكتاتور ... لكن الخوف من الذى يعرفه سليمان عن الجماعة وهو كثير، وطبيعى أن يخشى قادتها من وصوله هو تحديدا إلى رأس السلطة، فوقتها لن يمنعه أحد من فتح كل الملفات ... وهو على ما أعتقد وأعلم أمر لن يتحمله الإخوان المسلمون.

لكن التصفية التى أذهب إليها ستتحدد فى مصير من ثلاثة، لن يخرج عنها مستقبل عمر سليمان، وسيكون له وحده أن ينجو بنفسه قبل أن تتلقفه الأيدى العابثة التى لن تكون رحيمة به أبدا ... فقد بدت النوايا القبيحة ... وتبددت النوايا الحسنة ... وقد يحدث بعض من هذا.

أولا: السجن ... سارع الإخوان المسلمون بحصار عمر سليمان قضائيا، فبعد ما قاله عن دورهم المسلح فى الثورة، وإشارته إلى أن الجماعة قامت بعمل مسلح فى إقتحام السجون بالتنسيق مع جهات خارجية، وكذلك حرق السجون الذى تم فى وقت واحد ... وأمام النائب العام 60 بلاغا يمكن أن تزيد تطالب جميعها بالتحقيق مع عمر سليمان.

عندما أعلن عمر سليمان أنه سيرشح نفسه للرئاسة، خرجت الجماعة عن وقارها، وعلى قناة الجزيرة أعلن عدد من قياداتها أنهم سيقاومون عمر سليمان، ولن يكون لديهم مانع من أن يحملوا السلاح وقيادة حرب أهلية فى حال نجاحه ووصوله للرئاسة ... وتوقف الصدام

عند هذا الحد، لكنه عندما أفصح عن بعض ما يحمله صندوقه الأسود، ذهبت به الجماعة إلى النائب العام.

يواجه عمر سليمان إذن شبح التحقيق معه فى إتهام الإخوان المسلمين بأنهم خانوا الوطن وتعاونوا مع قوى خارجية لقلب نظام الحكم، وأنهم من اقتحموا السجون وأحرقوا الأقسام، ولابد أن يقدم دليلا ملموسا وماديا على ما قاله، وإلا لن يتنازل الإخوان ومن يقف فى صفهم الآن عن محاكمة سليمان، ولن يكون عسيرا عليهم أن يدفعوا به إلى السجن ... وأعتقد أن ما أقدم عليه عصام سلطان - المنشق عن الجماعة - من تقديم بلاغ إلى النائب العام يطالب فيه بمنع سليمان من السفر يحمل دلالة أن خصوم سليمان يعتقدون أنه يمكن أن يهرب من مصر فى أى لحظة خوفا من السجن الذى لم يعد عزيزا على أحد الآن ..فرموز نظام مبارك الآن على البرش.

ثانيا: الإغتيال ... التصور كان نظريا إلى حد بعيد، طرحه نبيل نعيم القيادى بجماعة الجهاد، قال لعزة مصطفى فى برنامجها «استديو البلد» على قناة صدى البلد أن عمر سليمان مرفوض من الشارع المصرى، وأنه سيواجه مظاهرات و إحتجاجات، ولن يكون هناك عنف إلا إذا أصبح رئيسا، فساعتها سيعود العنف المسلح، وسيكون إغتيال عمر سليمان أمرا عاديا، فهو ليس أحسن من السادات.

تراجع نبيل نعيم خطوة فى تهديده وقال أنه لن يكون هو من ينفذ الإغتيال، وقد لا يكون أحد من جماعته ... فهناك كثيرون يمكن أن يقوموا بهذا الفعل.

وضع نبيل نعيم شرطا لإغتيال عمر سليمان وهو أن ينجح فى إنتخابات الرئاسة - الجماعات الإسلامية تصر على أن ذلك لا يمكن أن يتم إلا بالتزوير - لكنى أعتقد أن شبح الإغتيال يظلل تحركات عمر سليمان ... ليس لأنه طرح نفسه رئيسا، ولكن لأنه تحدث ..أفصح عن بعض ما لديه، أصبح خصما صريحا وواضحا لجماعة الإخوان المسلمين، التى لن تتردد فى تصفيته جسديا إذا ما أصر على فضحها وكشفها والوقوف فى وجهها، حتى لو لم يكن رئيسا ... فوجوده نفسه خطر ... والجماعة لا تتحمل أى أخطار الآن وهى تسعى جاهدة إلى أن تستولى على السلطة المطلقة فى مصر.

ثالثا: الهجرة ... وهو خيار لن يكون جديدا على عمر سليمان بالمناسبة، فبعد أن تنحى مبارك ووجد الجنرال المبعد عن منصبه أن دوره السياسى انتهى، أخبر المشير طنطاوى أنه يريد أن يستقر خارج مصر، فى رغبة أكيدة فى أن يقضى أيامه الباقية بهدوء بعد أن أدى دوره الوطنى والسياسى بالصورة التى يرضى عنها، لكن المشير طنطاوى لم يوافقه ولم يقره على رأيه.

لم يفصح عمر سليمان عما قاله المشير طنطاوى له، ولا ما الذى طلبه منه ... أو حتى أغراه به حتى يبقى إلى جواره، قال فقط أن المشير سأله عندما أخبره برغبته: وليه تسيب مصر؟

أعتقد أن الهجرة النهائية من مصر يمكن أن تكون خيارا مناسبا وممكنا ومتاحا أيضا لعمر سليمان بعد أن تحالف عليه الجميع لمنعه من ممارسة حقه السياسى، وأعتقد أيضا أن السعودية ستكون فى انتظاره.

الجنرال العجوز يتمتع بعلاقات قوية مع الأمير سلطان ولى العهد الذى عرض عليه خلال رحلته إلى السعودية التى أدى فيها فريضة الحج أن يعمل مستشارا أمنيا له، وتربط سليمان علاقة قوية كذلك بالأمير مقرن مدير المخابرات السعودية ... فقد كان سليمان ولسنوات طويلة الوسيلة القوية التى يتم من خلالها الإتصال بين مصر والسعودية، وسيكون الرجل مرحبا به بشدة ... وهو ما يمكن أن يغريه بالرحيل الذى لن تكون بعده عودة إلى مصر أبدا.(*)

* * *

بدأت التفسيرات تحيط بموقف عمر سليمان من كل جانب، قيل أنه مرشح المجلس العسكرى، وقيل أنه مجرد ورقة يتم اللعب بها من جانب الإخوان المسلمين، وكان أن كتبت مرة ثالثة:

لا يوجد دليل مادى واحد على أن عمر سليمان هو مرشح المجلس العسكرى للرئاسة، لكن هناك الكثير من الشواهد التى تؤكد أنه هو دون غيره.

(*) (لم يحدث شئ من هذا، تم تشويه الرجل فقط، ولم يعترض طريقه أحد وهو يخرج من مصر بعد أن تأكد أن أحدا لن يسمح له بأن يخوض الإنتخابات الرئاسية).

من هذه الشواهد ما تردد عن أن هناك مبعوث خاص التقى باللواء عمر سليمان قبل إعلان ترشحه بأيام، كانت معه رسالة واضحة من المشير طنطاوى بأن سليمان لابد أن يترشح، بعد أن أصبح لجماعة الإخوان المسلمين مرشحهم الرسمى الذى يقفون وراءه بكل قوتهم.

لم يكن مبعوث المشير مكلفا بكل شيء، كان حامل رسالة وفقط، ويبدو أن هذه الرسالة كانت لتمهيد الأرض أمام لقاء جمع بين المشير واللواء، ولا أحد يعرف على وجه التحديد ما الذى جرى بينهما ... لكن النتيجة التى وصلت إلى الجميع أن عمر سليمان ما كان ليترشح للرئاسة دون أن يلتقى بالمشير، ودون تسوية أمور كثيرة كانت معلقة بينهما منذ تنحى الرئيس مبارك فى 11 فبراير 2011.

لكن فيما يبدو لم تكن الرسالة التى وصلت لسليمان من المشير ولقاءه به فقط ما جرى، ولكن جرت إتصالات مكثفة بين سليمان وسامى عنان تم الإتفاق فيها على دعم المجلس العسكرى لسليمان فى معركته الرئاسية.

فى بعض التقديرات السياسية فإن الدعم الذى يمكن أن يلقاه عمر سليمان من المجلس العسكرى لا يعنى أنه مرشح المجلس ... فهناك دعم يمكن أن يبذل لآخرين - أحمد شفيق يمكن أن يكون من بينهم - لكن الدعم الأكبر سينصرف فى النهاية إلى سليمان.

لقد فرض الإخوان على المجلس العسكرى معركة، أعتقد أنها ستكون الأخيرة بينهما ... وأعتقد أن المشير طنطاوى أجبر على استدعاء عمر سليمان من مساحة الظلال التى وضع نفسه فيها مؤخرا، لأنه يعرف أن الجنرال العجوز هو الوحيد الذى يمكن أن يخوض معركة شرسة وناجحة مع جماعة الإخوان المسلمين.

إنه «قناص مبارك» هكذا كانت تطلق عليه قيادات الجماعات الإسلامية الذين فرض عليهم نظام مبارك إقامة جبرية طويلة فى الخارج مطاردين ومشردين، فقد كانت مهمة الرجل أن يصطاد خصوم الرئيس ومن يشكلون خطرا على نظامه كما يروج هؤلاء ويعتقدون.

القنص صفة أساسية من صفات عمر سليمان، ولم يكن غريبا أن يردد مؤيدوه هتافا دالا وموحيا: «انزل يا سليمان عشان تخلصنا م الإخوان» ... فالجميع يعرف أنه يمكن أن يتصدى ...

وأن يراوغ .. وأن يخوض معركة يمكن أن يحسمها لصالحه، رغم أن كثيرا من قواعد اللعبة تغيرت ... فلا الأجهزة الأمنية التى كان يعرفها سليمان هى نفسها الأجهزة الأمنية الموجودة الآن، ولا جماعة الإخوان التى كان يعرفها واضطر للتفاوض معها فى أواخر عهد مبارك هى نفسها جماعة الإخوان المسلمين الآن.

لقد حاول عمر سليمان أن يستبق الأحداث ... أو بالمعنى الأدق أراد أن يعلن أن المعركة بدأت بالفعل، وذلك بتسريبه خبرا عن طريق الزميل مصطفى بكرى، عن تلقيه تهديدات بالقتل، وهدد أصحاب التهديدات بأنهم من جماعة الإخوان المسلمين.

الحديث عن التصدى لعمر سليمان بالقوة ليس سرا بالمناسبة، أحد مرشحى الرئاسة وهو خالد على المحامى قال أنه يمكن اللجوء إلى الكفاح المسلح لمنع عمر سليمان من ترشيح نفسه للرئاسة، بل صرحت مجموعات شبابية لم تعلن عن هويتها أنها ستشكل موانع بشرية تحول دون وصول سليمان إلى اللجنة القضائية العليا للرئاسة ... فهم يرفضون من الأساس أن يتقدم الرجل بأوراق ترشحه.

أحمد ماهر مؤسس حركة 6 إبريل أعلن بشكل واضح أن معركتهم مع عمر سليمان إذا ما رشح نفسه للرئاسة، ستكون معركة دم ... والدم لا تفسيرات فيه إلا يا قاتل يا مقتول.

كل ذلك يمكن أن يكون مفهوما فى سياقه، لكن ما تم تسريبه - وفى الغالب الرجل يدرى به لأن التصريح بالأساس منسوب له – يشير إلى أن المعركة الرئاسية لن تكون معركة نزيهة أو شفافة ... لا أقصد بالطبع الملفات القذرة، فلو أراد المرشحون أن يفتحوا ملفات بعضهم القذرة فلن يتوقف نزيفهم جميعا ... لكننى أقصد أن المعركة يمكن أن تدخل ساحة العنف ومساحته دون أدنى صعوبة ... وليس بعيدا أن تكون البداية من عند أولاد أبو إسماعيل الذين يشعرون أن مرشحهم تمت خيانته والغدر به من أجل مرشح العسكرى الذى هو السيد عمر سليمان.

لكن لماذا يستدعى المشير طنطاوى السيد عمر سليمان ليضع يده على كتفه رغم أن العلاقات بينهما وطوال عصر مبارك لم تكن بالصورة المثلى التى تجعلهما حلفاء الآن؟

هنا أكثر من تفسير.

منها ما نحمله على حسن النية وهو أن المشير طنطاوى يمكن أن يكون على خلاف مع اللواء عمر سليمان، لكن عند نقطة ما لا يمكن أن ينكر قدراته وكفاءته وقدرته على المواجهة، ثم أنه ورغم كل ما يتقولون به عليه إلا أنه يمتلك سمعة طيبة ... وقد أفاده صمته الطويل خلال الشهور الماضية فلم يحترق مثلما احترق الآخرون.

وعليه فإن يمكن أن يكون سيفا مسنونا يستطيع به المشير أن يتخلص من صداع جماعة الإخوان، وهى جماعة مزعجة لا أمان لها ... ولا يمكن لأحد أن يعقد معها اتفاقا ويمضى حتى النهاية.

وليس أكثر من أنها كانت على عهد مع المجلس العسكرى ... وفى اللحظة الأخيرة ارتدت على كل إتفاقاتها، وبعد أن كانت تدعى أنها لن تقدم مرشحا باسمها فى إنتخابات الرئاسة، فإذا بها تقول أنها سترشح خيرت الشاطر من أجل الحفاظ على مكاسب الثورة ومن أجل استمرارها.

ما قاله الإخوان كذب واضح وفاضح، فلو أنهم يريدون أن يحموا مكاسب الثورة ما وقفوا فى خانة أعداء الثورة من البداية، لكن دع هذا جانبا ... لقد دفعوا بخيرت الشاطر من ناحية حتى تحمى الجماعة مصالحها، ومن ناحية ثانية لأن هذا حلم من أحلام خيرت ... حتى لو أنكر ... وحتى لو ادعى دراويشه أنه بكى عندما سمع أن الجماعة سترشحه ... وعندما وجدوا أن هناك إحتمالات لإستبعاد خيرت الشاطر لأن موقفه القانونى غير سليم ... أو لنقل ملتبس، دفعوا على الفور بمحمد مرسى رئيس حزب الحرية والعدالة، حتى إذا ما تخلص المجلس العسكرى من خيرت - هكذا فى إعتقاد الإخوان - يبقى محمد مرسى مرشحا رئاسيا.

كان من الصعب على المشير أن يفكر فى أحد غير عمر سليمان ... الأوراق كلها محروقة وضعيفة ومتهافتة ... وقد يكون اتفق عمر على كل شئ قبل أن يقبل ... وقد تكون هذه الإتفاقات تم تدوينها بالفعل، فكثير من الإتفاقات عقدت فى القصور الفخمة، لكنها سرعان ما تبخرت فى الهواء.

يمكن أن تكون حسن النية أيضا وتصدق ما تردد من أن عمر سليمان لم يتحدث مع أحد من المجلس العسكرى على الإطلاق قبل أن يحسم موقفه من الترشح، وهو كلام لا منطق فيه

ولا حتى خيال ... وإذا صح ما قيل عن زيارة سليمان لمبارك فى المركز الطبى العالمى ليتشاور معه - على الأرجح فى أمر ترشيحه وهو ما لم يحدث على الإطلاق - فهل يصل إلى مبارك دون أن يمر على المجلس العسكرى.

الأمر كله تخمينات وتسريبات واجتهادات ... لا لشئ إلا لأن كل جهة تريد أن تحتفظ لنفسها بما لديها، وكأنه أسرار حربية لا يجب أن يطلع عليها أحد ... رغم أن من ماتوا فى الميادين المصرية أيام الثورة ... استشهدوا من أجل أن نحيا حياة كريمة ... وأول أبجديات هذه الحياة الكريمة أن نعرف على الأقل ما يدور حولنا.

لكن ما رأيكم لو أخذنا استعانة المشير طنطاوى أو بعض قيادات المجلس العسكرى بعمر سليمان على محمل النية السيئة.

هناك من يرى أن خيرت الشاطر لم ينزل الإنتخابات الرئاسية إلا بالتنسيق مع المجلس العسكرى، وعندما نحفز غدد نظرية المؤامرة فإننا يمكن أن نصل إلى أن خيرت ليس إلا ورقة يستطيع المجلس من خلالها تفتيت أصوات الإسلاميين من أجل مرشح العسكرى، فى مقابل أن يصبح خيرت بعد ذلك رئيسا للوزراء فى أول حكومة يشكلها الرئيس الجديد، وهى الحكومة التى سيكون فيها الفريق سامى عنان وزيرا للدفاع ونائبا لرئيس الوزراء ... بعد أن يكون المشير طنطاوى احتفظ بموقع القائد الأعلى للقوات المسلحة.

قد يكون هذا التصور من باب الخزعبلات، لكن هناك من يردده بحماس، فليس معقولا أن تخدع الجماعة المجلس العسكرى الذى أحسن إليها، وساعدها فى الركوب ليس على الثورة ولكن على رقاب المصريين جميعا (الجماعة فعلت ما هو أسوء من ذلك بالفعل بعد أن تمكنت من السلطة).

وعليه يمكن أن يكون الجيم كله يتم تفصيله على مقاس عمر سليمان، لكن ولأن المجلس العسكرى - وهذا تفسير وليس معلومة - ليس فى حاجة لأحد كى يعينه على الجماعة، فهو كفيل بها، وحتى لو وصلت للرئاسة فإنها ستفعل ذلك من خلال المجلس، أما عمر سليمان فقد وجب حرقه، والتخلص من نظام مبارك كله مرة واحدة.

إن عمر سليمان رمز كامل لنظام مبارك ... عمل إلى جواره لسنوات طويلة كمدير للمخابرات، ثم أنه كان صديقه الصدوق، وفى أيام الثورة رضى أن يكون نائبا له فى ظروف صعبة، وقد بذل جهدا كبيرا ومضاعفا لينقذ نظام مبارك، فالحوارات الكثيرة التى أجراها مع قوى المعارضة ومن بينها جماعة الإخوان المسلمين ... لم يكن هدفها إنجاح الثورة ... بل العكس تماما ... هدف الرجل إلى تقويض وإعادة الثوار إلى بيوتهم ... على أن يقوم مبارك ومعه سليمان بتنفيذ ما يطلبه الثوار.

وعليه فإن هزيمة عمر سليمان فى انتخابات عامة ستعنى أن آخر حصون مبارك سقطت تماما وأن العهد المباركى انتهى إلى الأبد، وهو أمر قد يسعى إليه المشير طنطاوى، حتى يتخلص إلى الأبد من شبح رئيسه السابق الذى خلعه بمساعدة الثورة ليتخلص من شبح التوريث، فإذا بشبح مبارك موجود فى كل مكان يتحرك فيه المشير.

❋ ❋ ❋

لم يكن عمر سليمان كاذبا صباح 6 فبراير عندما قال أنه لا يفكر فى ترشيح نفسه فى إنتخابات الرئاسة، فهو كبير فى السن فعلا، لكن ربما يكون الأهم من ذلك أنه كان حريصا فى كلامه، فلم يكن مطروحا لدى عمر سليمان أن ينتهى نظام مبارك، أو أنه كان حريصا على ألا يبدو يائسا من إنهاء أزمة المظاهرات على نظامه.

وعليه فلم يكن من اللياقة أو اللباقة أن يتحدث عن ترشيح نفسه خليفة لمبارك، ومبارك لا يزال قائما فى الحكم معتقدا أنه يستطيع أن ينهى الثورة التى لم يكن يعتقد أبدا أنها ثورة ... وأن هؤلاء الشباب الذين استخف بهم وبدماءهم خرجوا من أجل أن يكتبوا كلمة النهاية لعصر دام ثلاثين عاما.

لقد اختفى عمر سليمان تقريبا وبشكل كامل بعد إعلان تخلى مبارك عن سلطته، لكنه وعندما اقترب الموعد النهائى لقبول أوراق الترشح للرسائة ظهر مرة أخرى ليحتل الصورة بقوة، لم يكن الرجل حاسما فى أمره.

تردد بعض الشئ ...

تهرب بعض الشئ ...

تحجج بعض الشئ ...

لكنه فى النهاية قرر أن يفعلها.

قد يكون كلام عمر سليمان هنا مهم، قبل أن نستكشف حقيقة ما جرى.

تحدث سليمان مرات قليلة بعد أن قرر إعلان ترشحه، مرة مع جريدة الفجر وأجرى الحوار عادل حمودة، ومرة مع جريدة اليوم السابع وأجرى الحوار خالد صلاح، ثم بعد ذلك حوار مع وكالة رويترز وتقريبا كان كلامه متطابقا فى الحوارات الثلاثة.

يهمنا هنا من حواراته القليلة ما قاله عن ترشيح نفسه.

يقول عمر: «منذ خرجت من السلطة قررت بينى وبين نفسى أننى أديت ما على حربا وسلما لمدة 56 عاما، وأن ما قدمته لمصر يجعلنى مكتفيا وسعيدا بما أنجزته، ولدى قناعة أنه حان وقت الراحة».

لكن وكما يستدرك عمر: «بعد خروجى من الساحة السياسية كانت هناك مطالبات بأن يتولى المسئولية شخص صاحب خبرة، كى يواجه الآثار السياسية التى حدثت مثل الركود الذى أصاب المجتمع، فى ذلك الوقت بدأت الضغوط على من أجل الترشح أو الظهور إعلاميا، ولكننى كنت على موقفى وعلى مبدئى، وأعلنت فى مجالات كثيرة ليست رسمية، ولكن من خلال ما يسمى بحملة مؤيدى عمر سليمان أو على صفحاتهم الإلكترونية، إننى غير راغب فى الترشح، ولكن هم كانوا ينفون ما أقول لأنهم كانوا متمسكين بترشحى ولديهم أمل كبير فى أن أستجيب».

كان عمر سليمان يقول دائما - بعد خروجه من السلطة - أن عهده ولى، ويجب على الشباب الذين قاموا بالثورة أن يشكلوا عهدا جديدا، وأن جيله الذى قدم الكثير لهذا الوطن يجب أن يركن إلى الراحة، وأن يقود الشباب مسيرة التغيير والنهضة التى يتطلع إليها الجميع.

أصر سليمان على أنه لم يقل لشخص واحد أن لديه رغبة فى الترشح، حتى جرى اجتماع بينه وبين مؤيديه والداعين لمساندته كرئيس لمصر، كان يريد أن يشكرهم فقط، على كل

ما قدموه له، والرد على بعض الإتهامات الإعلامية التى طالته، دون أن يتدخل هو للرد عليها، ولكنهم كانوا من فعلوا ذلك وبحماس شديد.

فى هذا الإجتماع قال عمر لمؤيديه: «إننى بصفة نهائية أرجوكم أن تعلنوا أننى لن أترشح، وكنت صادقا فيما قلت، ولكنى تفهمت أنهم لن يعلنوا هذا الكلام، فاضطررت أن أكتب بيانا وأرسله إلى وكالة أنباء الشرق الأوسط حتى أؤكد أننى غير راغب فى الترشح، ولا توجد لدى نية فى ذلك بجانب معوقات تفوق قدرتى، كما أننى لا حملة لى ولا عندى حزب ولا مؤيدين لهذه الحملة، ولا عندى إمكانيات مادية مثل التى نراها مع بعض المرشحين الآخرين، فكان لابد أن أعتذر».

كنت شاهدا على جانب من جوانب بيان الإعتذار الذى أرسل به عمر سليمان إلى وكالة أنباء الشرق الأوسط، فالرجل تربطه بالدكتور مصطفى الفقى المفكر والسياسى والدبلوماسى الكبير علاقة صداقة ومودة، وقد بحث عمن يصيغ له بيان الإعتذار، فلم يجد أفضل من الدكتور الفقى، المعروف بدقته فى الصياغة واستخدامه لكلمات تؤدى الهدف منها، تاركة الباب لتفسيرات محتملة، دون أن تجزم بشئ.

كان الدكتور الفقى يشارك فى أحد الإجتماعات التى نظمها المجلس العسكرى، حيث كان رجال المجلس حريصون على مقابلة الشخصيات العامة لتوضيح موقفهم مما يقع من أحداث، وفى الغالب كانوا يتصرفون فيها بما يدينهم، لا بما يبرئ ساحتهم.

تلقى الدكتور الفقى اتصالا من اللواء حسين كمال مدير مكتب اللواء سليمان، طلب منه فيه أن يكتب بيان إعتذار باسم السيد عمر سليمان عن الترشح للرئاسة.

انتهى الفقى من كتابة البيان وهو جالس فى ندوة المجلس العسكرى، وخرج ليمليه على حسين كمال، ليخرج البيان الذى بثته وكالة أنباء الشرق الأوسط على النحو التالى:

«الإخوة والأخوات من أبناء مصر العزيزة فى لحظة فارقة يمر بها الوطن فى مرحلة من أصعب ظروفه، أتوجه إليكم بعظيم الشكر وصادق عرفانى لكم عن المشاعر الطيبة التى أحاطت بى فى الشهور الأخيرة، ممن طالبونى بالترشح لمنصب رئيس الجمهورية، وقد كنت

حريصا طوال حياتى على تلبية نداء الواجب دون تردد وبغير تقاعس إيمانا منى بأننى قد بدأت حياتى العملية منذ أكثر من نصف قرن، جنديا ملتزما خاض معارك بلاده بإيمان المصرى المخلص لوطنه وترابه.

السيدات والسادة، لقد حاولت حتى فجر أمس أن أتغلب على كل المعوقات المتصلة بالموضوع الراهن ومن طلبات الترشح الإدارية والتنظيمية والمادية، ووجدت أنها تعوق قدرتى على الوفاء بها وغير ذلك ما يتنافى مع مبادئ التى اعتنقتها طول حياتى، لذلك فإننى أتقدم بإعتذارى عن تلبية ندائكم ربما لأول مرة فى حياتى، ومع رغبتى فى الحفاظ على تاريخ أعتز به دائما، لقد حرصت طوال حياتى على الجدية الكاملة، وتحمل المسئولية الحقيقية والسعى للنجاح وتحقيق الأهداف.

أخوتى وأخواتى، بناتى وأبنائى، إننى إذا أعلنت اليوم عزوفى عن الترشح مع تقديرى لرغبة من توسموا فى شخصى القدرة عليها، فإننى أعتز بهذه الثقة وأتمنى لهذا الوطن العظيم أن يمضى على الطريق الصحيح نحو المستقبل وسأظل مخلصا لتراب مصر الغالية فى جميع الظروف الحالية والقادمة، وفق الله القائمين على شئون البلاد وحمى الكنانة من كل سوء وحفظها من كل شر والله الموفق والمستعان».

انتهى بيان عمر سليمان الذى كتبه مصطفى الفقى صباح 2 إبريل 2012 وبثته وكالة أنباء الشرق الأوسط عصر الأربعاء 3 إبريل دون أى تعديل أو حذف أو إضافة.

سألت الدكتور الفقى عن جدية عمر سليمان فيما طلبه منه؟

أكد لى أن الرجل كان صادقا تماما فى رغبته بألا يترشح، وأنه شكره على الصياغة الرقيقة للبيان، مؤكدا له أن هذا قراره النهائى الذى لن يتراجع عنه أبدا.

إلى جوار تأكيد الدكتور الفقى على صدق عمر سليمان، كانت هناك آراء أخرى ترى فيما فعله الرجل محاولة لدفع مؤيديه الذين ذهبوا إلى بيته ليطالبوه بالترشح لكنه رفض، إلى تنظيم مظاهرات حاشدة يلحون عليه فيها وبها أن يرشح نفسه، عائدا بالذاكرة المصرية إلى مشهد تنحى عبد الناصر بعد نكسة 67 ببيان عاطفى مؤثر، فخرج المصريون جميعا يطالبونه بالبقاء ... وغنت له السيدة أم كلثوم رائعتها: ابق فأنت الأمل الباقى لهذا الشعب.

شئ من هذا جرى بالفعل.

لكن الآن نعود لحديث عمر سليمان، يقول: «بمجرد نشر البيان وكان بعد ظهر الأربعاء، جاءتنى العديد من الإتصالات تقول لى أنت مكلف ولست مخير، الشعب يريد أن تترشح ونحن وراءك، وتجمعات جماهيرية كبيرة جاءت إلى بيتى فى مساء نفس اليوم، ثم فى اليوم التالى الخميس، كان من بينهم أعداد كبيرة من الشباب أيضا، طالبونى بالتراجع عن قرارى، وأنا أخشى التجمعات التى قد يندس فيها بعض المشاغبين واتهم بأننى سبب فى الإخلال بالأمن، فكان على أن أتفهم هذه التظاهرات، وهذا التجمع الجماهيرى مع ثبات موقفى بعدم الترشح».

ثبات سليمان على موقفه لم يدم طويلا، يقول: « يوم الجمعة أسقط فى يدى، فالأعداد التى توجهت إلى ميدان العباسية أعداد كبيرة جدا من كل طبقات الشعب، وليس كما يدعون من رجال أعمال وأقباط فقط، كل طبقات الشعب نادت بضرورة التراجع عن عدم الترشح».

مساء الجمعة فكر عمر سليمان فى أن يصدر بيانا آخر يطالب فيه المتظاهرين بالعودة إلى الهدوء من جديد، وكتب مسودته بالفعل، وأشار فيها إلى أنه مستعد للعودة فى قراره، إذا ما استطاع المؤيدون له أن يجمعوا توكيلات تناسب القانون.

كان نص البيان: «لقد هزتنى وقفتكم القوية واصراركم على تغيير الواقع بأيديكم، إن النداء الذى وجهتموه لى هو أمر، وأنا جندى لم أعص أمرا طوال حياتى، فإذا ما كان هذه الأمر من الشعب المؤمن بوطنه، لا أستطيع إلا أن ألبى وأشارك فى الترشح رغم ما أوضحته لكم فى بيانى السابق من معوقات وصعوبات.

الإخوة الأعزاء ... إن نداءكم لى وتوسمكم فى قدرتى هو تكليف وتشريف ووسام على صدرى وأعدكم أن أغير موقفى إذا ما استكملت التوكيلات المطلوبة خلال السبت مع وعد منى أن أبذل كل ما استطيع من جهد معتمدا على الله وعلى دعمكم لننجز التغيير المنشود، واستكمال أهداف الثورة وتحقيق آمال الشعب المصرى فى الأمن والاستقرار والرخاء ... والله الموفق والمستعان».

كانت هذه محاولة تهدئة لا أكثر ولا أقل.

هو نفسه قال: « كنت أعلم أنهم لا يمكن وخلال 24 ساعة أن يجمعوا 30 ألف توكيل، ولا أى معجزة من المعجزات تستطيع أن تفعلها، ولكن هذا الشعب عندما يريد يفعل».

حدد عمر سليمان خريطة لرد فعله، فهو يعلم أن مؤيديه لن يصلوا بأى حال من الأحوال إلى التوكيلات المطلوبة، ولذلك فقد جهز بيانا، قال فيه أنه كان على استعداد للرجوع فى قرار عدم الترشح، ولكن للأسف الشديد الوقت داهمنا ولم نستطع الحصول على التوكيلات المطلوبة.

كانت خطة سليمان أن يذيع هذا البيان يوم الأحد الثانى من إبريل 2012 وهو يوم غلق باب الترشح رسميا، لقد أراد أن يقول لمن توسموا فيه القدرة، أنه لم يخذلهم ولم يهرب من المعركة لأنه جندى عندما يؤمر لابد لأن يطيع.

وحتى يثبت عمر سليمان جديته ذهب إلى اللجنة العليا للإنتخابات الرئاسية، وسحب أوراق ترشحه، لكن – كما قال هو – كان فى باطنه أن الذهاب مسألة شكلية وليست موضوعية، وفى هذا اليوم قال لمن ساندوه إننا لن نستطيع جمع العدد المطلوب من التوكيلات، فأخبروه أن هناك 4 أحزاب مستعدة فورا أن يقدموه مرشحا عنها، وهذه الترشيحات لا تحتاج إلى توكيلات، لكنه صمم على الترشح بتوكيلات شعبية، قال لهم: لن أترشح عن أى حزب من الأحزاب مع إحترامى لها.

ما خطط له سليمان ضاع تماما ... فقد استطاع مؤيدوه أن يحصلوا على 49 ألف توكيل، وربما أكثر من هذا.

كان عمر سليمان صادقا فيما قال: «ضاعت توكيلات كثيرة بسبب أننى لم يكن عندى مقر لتجميع التوكيلات، عشرات الألوف من التوكيلات اختفت قبل أن تصل إلينا من المحافظات، ولم استخدم سيارة واحدة من سياراتى الخاصة للحصول على التوكيلات أو نقلها، لكنها وصلت كلها خلال أقل من يوم، وحدثت المعجزة التى لم أكن أتوقع أن تحدث».

اجتهد عدد كبير من مؤيديه ورجاله وأقاربه فى جمع التوكيلات، حاول خصومه وتحديدا من الإخوان المسلمين وأنصارهم تعطيل حصول أنصار سليمان على التوكيلات، حاول المطرب

والملحن عمرو مصطفى والممثل تامر عبد المنعم - من أشد مؤيدى سليمان - أن ينظموا التوكيلات قبل إيداعها اللجنة العليا للإنتخابات الرئاسية، وهو التنظيم الذى تم فى شقة بمنطقة إمبابة، لم يكن عمر سليمان يعرف عنها شئيا.

حتى هذه اللحظة كان عمر سليمان فى صراع نفسى شديد وقاس، يصفه هو: «نعم كنت فى صراع نفسى حاد، ماذا إذا حدثت المعجزة ونجحوا فى الوصول إلى العدد المطلوب من التوكيلات، ما الذى يمكن أن أقوله، وفى الوقت نفسه لم أكن لأنسحب ومصر قد وصلت إلى حالة تغيم فيها الرؤية المستقبلية، ويتأثر هذا الوطن العظيم، فى النهاية شعرت بأننى لن أفكر فى عذر آخر لو حدثت المعجزة، ووجدت نفسى مدفوعا بقوة أحمل أوراقى واذهب إلى اللجنة فى آخر 30 دقيقة».

فى أول مؤتمر إنتخابى أجمل عمر سليمان ما حدث فى عبارات قصيرة، قال: «لم أتصور على الإطلاق حالة القلق الشديدة لدى الناس، والشعور الداخلى بالإضطراب واليأس، فلقد وضعت شرطا بالغ الصعوبة لترشحى وهو جمع 30 ألف توكيل من المواطنين فى أقل من 11 ساعة، وكان الأمر أشبه بالمستحيل، وانتظرت وأنا أضع فى بطنى بطيخة صيفى وقلت لن يستطيعوا جمع هذه التوكيلات ولن أترشح، ولكن شباب حملات تأييدى ومطالبتى بالترشح فعلتها، وفوجئت بشعب مصر يقدم لى أكثر من 60 ألف توكيل - العدد الحقيقى كان 45 ألفا فقط - فى ساعات، وكان قرارى بالترشح حاسما ونهائيا».

❋ ❋ ❋

عندما قدم عمر سليمان أوراق ترشحه إلى اللجنة العليا للإنتخابات الرئاسية أصبح بذلك مرشحا محتملا لإنتخابات الرئاسة، ينتظر الفصل فى صحة أوراقه، وهو الفصل الذى انتهى باستبعاده بسبب عدم استكمال التوكيلات، فقد كان هناك 31 توكيلا ناقصا من محافظة أسيوط.

لكن قبل قصة التوكيلات، لابد من قراءة رد الفعل، ليس على إنضمام عمر سليمان للمرشحين المحتملين، ولكن رد الفعل على مجرد نية الرجل الترشح، وأقصد تحديدا ما أطلقوا عليه قانون العزل.

كان خيرت الشاطر قد أعلن ترشحه فى إنتخابات الرئاسة عن جماعة الإخوان المسلمين- حتى الآن الشاطر ليس عضوا فى حزب الحرية والعدالة لأسباب قانونية - وهو ما جعل موازين العملية الإنتخابية كلها تختل، فالإخوان أعلنوا أنه لن يكون لهم مرشح فى الإنتخابات الرئاسية، مرشدهم العام الدكتور محمد بديع أشار إلى أن رئيسا من خلفية إسلامية فى هذه المرحلة يمكن أن يكون عبئا على عملية التحول الديمقراطى.

هنا كان لابد أن يظهر عمر سليمان، ولما ظهر بدا أن جماعة الإخوان المسلمين فهمت الرسالة جيدا، خاصة عندما أعلن أنه يمتلك صندوقا أسودا، فبدأت الجماعة تجهز للرد عليه وإجهاضه.

لم يخف سليمان أنه جاء من أجل الإخوان المسلمين تحديدا، وهو ما أشار إليه أكثر من مرة، حيث أن قلق بناته وأقاربه ومعارفه وجموع الشعب على سيطرة فصيل واحد على السلطة أمر مزعج بالفعل.

لم يكن عمر سليمان يهتم بالمرشحين الآخرين ... كان يعرف أن المنافسة ستكون شرسة مع الإخوان، أو مع أى مرشح إسلامى يقف ضده، ولذلك فتح مدفعيته الثقيلة على الإخوان المسلمين من اللحظة الأولى التى تحدث فيها.

حاولت الجماعة أن تهون فى البداية من ترشح عمر سليمان نفسه فى الإنتخابات الرئاسية، محمود حسين أمين عام الجماعة قال أنه لا يعتقد أن قرار سليمان سيغير شيئا فى المعادلة الإنتخابية، فرغم أنه من حق أى مواطن أن يرشح نفسه لرئاسة الجمهورية، إلا أن الشعب المصرى سيرفض أى شخص له ارتباط بالنظام السابق أو المؤسسة العسكرية.

أدرك عمر سليمان أن هناك حالة احتقان فى الشارع المصرى من الإخوان المسلمين، الذين لم يصبروا على السلطة، فأبدوا نواياهم فى السيطرة على كل شئ، فأراد أن يستغل هذه الحالة فى تسديد ضربات للإخوان المسلمين.

من بين هذه الضربات الموجعة كان ما قاله فى جريدة الأهرام .

قال سليمان أن الإخوان المسلمين خطفوا الثورة من الشباب،وكان لديهم غل وحقد

شديدين وأرادوا الإنتقام فقط وحرق البلد، كما أنهم مدربون ومسلحون على أعلى مستوى، ونجحوا بالفعل فى حرق أقسام الشرطة والعديد من المرافق الحيوية.

أعقب عمر سليمان ذلك بقوله: «أعلم أن هناك الكثيرين مما يخشون إفشاء هذه الأسرار، ولهذا يقاومون ترشحى بعنف، وقريبا سأكشف العديد من الحقائق والأسرار أمام الشعب».

كان لابد أن يقلق الإخوان، بعد أن كشف سليمان بشكل واضح أنه لم يخرج من مخبأه الإختيارى إلا من أجل الإخوان.

ففى أسباب ترشحه لنفسه وكما قال لمؤيديه فى أول لقاء إنتخابى بعد تقديمه لأوراق ترشحه قال: «هناك أسباب رئيسية وراء ترشحى للرئاسة، فطوال عمرى لم أتخاذل فى أى عمل وظيفى كلفت به، وتعرضت بسبب ذلك لأشياء لا يتصورها عقل، وكاد بعضها أن يودى بحياتى، فهل بعد هذا العمر الطويل من العمل فى خدمة مصر أتخلى عنها، وخاصة أن الناس يطالبوننى بإنقاذ ما تبقى من مصر كدولة، ولا أخفى أنه كان بداخلى شعور قوى بأنه كفاك يا عمر، لقد بذلت الكثير من أجل الحفاظ على استقرار الوطن والحفاظ على أمنه، ويجب اعطاء الفرصة للشباب لكى يحكموا ويغيروا ما دفعهم إلى القيام بثورتهم المجيدة، واختفيت بسبب هذا الشعور لأكثر من عام، وتقريبا كنت فقط أتعرض للشتائم وحملات التشنيع والإتهامات الظالمة وتحملت بصبر شديد».

يكشف سليمان عن أنيابه، يقول: «للأسف منذ قيام الثورة التى خطفها الإخوان من شباب مصر لم أجد أى ديمقراطية تحققت، بل وجدت عمليات إقصاء وانتقام وتشويه وكذب وتشويش، بخلاف معاناة المصريين من انفلات أمنى لم تشهده البلاد من قبل، وسيستمر طالما لم تعد هيبة الدولة ونظامها».

فى كل مرة كان عمر سليمان يتحدث يظهر أكثر أنه جاء من أجل الإخوان فقط، وكان لابد للجماعة أن ترد، فقد رأت فى فوز عمر سليمان تحديدا بالرئاسة عودة بها إلى عصر مبارك مرة أخرى، فالرجل بنى عقيدته على أن جماعة الإخوان أخطر على مصر من اسرائيل، ولذلك لن يتردد فى إفنائهم تماما، مهما كان ثمن ذلك.

❋ ❋ ❋

صحيح أن قانون العزل الذى قبله مجلس الشعب تقدم به المحامى عصام سلطان، وهو واقعيا وسياسيا لم يكن محسوبا على جماعة الإخوان، كان عصام واحدا ممن انشقوا على الجماعة وأسسوا حزب الوسط، وهو الحزب الذى لم يحصل على موافقة إلا بعد الثورة، فقد عاند نظام مبارك فى ظهوره، وأعانته على ذلك جماعة الإخوان المسلمين، التى كانت ترى فى أعضاءها السابقين مارقين، لابد من إفشالهم بكل الطرق.

لكن كل المؤشرات تؤكد أن عصام سلطان لم يتقدم بقانون العزل إلى مجلس الشعب فى اليوم التالى مباشرة لتقديم عمر سليمان لأوراق ترشحه إلى اللجنة العليا للإنتخابات الرئاسية، إلا بتنسيق كامل مع جماعة الإخوان، قد لا يجعلنا هذا نشكك فى نزاهة عصام سلطان السياسية، فقد اجتمع هدفه مع هدف الإخوان فى التخلص من عمر سليمان، لكن هذا لا يعنى أنه لم يستخدم، فقد كانت مصلحة الجماعة فى التخلص من سليمان أكبر بكثير من مصلحة عصام فى ذلك.

فى جلسة مجلس الشعب – 9 إبريل 2012 – التى كان النواب يناقشون فيها بيان الحكومة، خرج عصام سلطان عن النص، قال نصا: «نحن الآن أيها السادة الكرام بصدد عمل منظم لثورة مضادة لثورة 25 يناير، هذا ما نحن بصدده اليوم».

من بين ملامح هذه الثورة المضادة كما رأى سلطان: «تقدم عمر سليمان بالأمس بأوراقه للترشيح لمنصب رئيس الجمهورية، عمر سليمان الذى كان رمزا كبيرا من رموز الفساد والظلم والاستبداد، ولا زالت يداه ملوثتان بالدماء حتى الآن، عمر سليمان الذى يعمل مستشارا لرئيس دولة أجنبية ونشر هذا فى الصحف – يقصد دولة الإمارات ولم يكن هذا صحيحا بالمرة – وإذا بالكل يتقاعس ويتجه إلى مرشح آخر للبحث فى جنسية أمه أو أبوه أو غير ذلك – فى إشارة إلى الشيخ حازم صلاح أبو اسماعيل –».

يواصل سلطان مدفعيته الثقيلة موجها كلامه لنواب مجلس الشعب، يقول: «أيها الإخوة الكرام الموضوع أكبر من ذلك بكثير، وأنا اليوم منذ ساعات تقدمت بمشروع تعديل قانون انتخابات الرئاسة يحظر على كل من عمل مسئولا كبيرا فى الدولة، سواء كان معينا من الرئيس المخلوع، أو تقلد منصبا وزاريا، يحظر عليه الترشح لمدة خمس سنوات قادمة، إننى أضع هذا القانون فى رقبة السيد رئيس المجلس – سعد الكتاتنى – وأضعه فى رقابكم جميعا، نحن الآن أمام

مسئولية تاريخية، إما أن تكون هذه الثورة ثورة المصريين تسرى فى إتجاهها المحدد لها، و إما أن تنتكس على أيدى هذا النظام».

استنهض سلطان النواب للمرة الأخيرة: «نحن الآن فى تحد حقيقى، والمطلوب منكم أن تتصدوا لهذه المسئولية، قانون من الممكن أن نمرره اليوم، أو نمرره على الأكثر غدا، ولا يحتج أحد بأن هذا القانون سوف يمس مراكز قانونية، والقاعدة أن القانون لا يطبق بأثر رجعى، هذا لا ينطبق على حالنا، فالمراكز القانونية لم تكتسب بعد حتى الآن لأى من المرشحين جميعا، وسوف تكتسب فقط يوم 26 إبريل من هذا الشهر - اليوم الذى أعلنت فيه لجنة الإنتخابات أسماء المرشحين الرسميين للرئاسة -».

❋ ❋ ❋

لم يكذب نواب مجلس الشعب ذى الأغلبية الإخوانية خبرا، استنهضهم عصام سلطان فنهضوا إليه على الفور.

قرر المجلس على الفور إحالة عدد من الإقتراحات الخاصة بعزل رموز نظام مبارك إلى جلسة مشتركة بين لجنتى الشئون الدستورية والتشريعية والإقتراحات والشكاوى، وجاء هذا القرار فى أعقاب جلسة استثنائية كان المجلس قد خصصها لبحث مشروع قانون عصام سلطان بعزل رموز النظام السابق من الترشح لرئاسة الجمهورية.

لم يكن عصام سلطان مهتما برموز النظام السابق جميعا، بل كان مهتما فقط بعمر سليمان، الذى جعل منه هدفا لمدفعيته الثقيلة.

وهنا يمكن أن أضع هامشا على ما قام به عصام سلطان، فقبل أن يتقدم بمشروع قانون إلى مجلس الشعب بساعات قليلة، تلقى تليفونات عديدة من بعض القوى السياسية، والتى سألته بشكل مباشر، هل تقف ضد ترشح عمرو موسى فى إنتخابات الرئاسة؟

رد عصام سلطان على الفور: لا ... فقد كانت العلاقات بين عمرو موسى وحزب الوسط الذى ينتمى إليه سلطان جيدة جيدا، بل دعوه بعد الثورة إلى ندوات الحزب التى عقدوها فى شارع القصر العينى حيث مقر الحزب.

ساعتها قالوا لعصام سلطان - احتفظ بأسماء من اتصلوا به - إذن عليك أن تجرى تعديلا بسيطا فى القانون.

كان سلطان قد وضع المدة التى يحرم على أساسها رموز النظام من العمل السياسى هى عشر سنوات كاملة، ولو طبق القانون بهذا الشكل فسوف يحرم عمرو موسى من الترشح لرئاسة الجمهورية، لأنه كان قد خرج من منصبه فى وزارة الخارجية فى العام 2001، أى أنه فى المدة التى حددها سلطان كان لا يزال معينا من قبل نظام مبارك فى وزارة الخارجية، ولذلك رأى سلطان أن ينزل بالمدة المقررة إلى خمس سنوات فقط حتى لا يحرم عمرو موسى تحديدا من الإشتراك فى الإنتخابات الرئاسية.

انتهى الهامش ... نعود إلى ما جرى مرة أخرى.

فى الجلسة الإستثنائية التى عقدها مجلس الشعب تقدم حسين إبراهيم وهو زعيم الأغلبية الإخوانية فى المجلس، بإقتراح يتم على أساسه استبدال قانون عصام سلطان بتعديل فى المادة الثانية من قانون مباشرة الحقوق السياسية لمنع قيادات الحزب الوطنى السابقين ورموز النظام السابق من الترشح لإنتخابات الرئاسة.

ولأنه زعيم الأغلبية فقد جرى التعديل الذى ربما أراد من وراءه أن يتجنب الخطأ الذى وقع فيه عصام سلطان، عندما أعلن أن القانون سيصدر لمنع شخص بعينه من الترشح وهو عمر سليمان، وهو ما يجعل القانون غير دستورى بالمرة، لكن ظل الاسم الشعبى لمشروع القانون هو العزل السياسى.

القانون وكما وافقت عليه اللجنة فى صورته النهائية كان يقضى بمنع رموز النظام السابق من الترشح لأى إنتخابات سواء برلمانية أو رئاسية ... وبدقة أكثر فإنه كان يحظر على كل من عملوا خلال السنوات الخمس السابقة على تنحى الرئيس مبارك فى 11 فبراير 2011 فى أية وظيفة قيادية فى مؤسسة الرئاسة أو الحكومة أو كان عضوا فى مجلسى الشعب والشورى ممثلا للحزب الوطنى المنحل أو معينا بقرار من الرئيس المتنحى، أن يتولى منصب رئيس الجمهورية أو نائب الرئيس أو رئيس الوزراء لمدة عشر سنوات تحتسب ابتداء من تاريخ التنحى.

موافقة اللجنة التشريعية على القانون بشكله الذى تقدم به عصام سلطان فتح بابا واسعا من الجدل حول دستوريته.

الدكتور فوزية عبد الستار أستاذة القانون الجنائى بجامعة القاهرة والتى كانت رئيسة للجنة التشريعية بمجلس الشعب فى برلمانات سابقة على برلمان 2012، رأت أنه لا يجوز تطبيق قانون العزل السياسى على رموز النظام السابق بالشكل الذى تقدم به عصام سلطان لأنه يخالف الإعلان الدستورى، والذى تعمل به مصر منذ حشدت التيارات الإسلامية جموع الشعب للموافقة عليه فى 19 مارس 2012، لأنه يقوم على مبدأ المساواة بين كافة المواطنين فى الحقوق والواجبات، والترشح للرئاسة من ضمن الحقوق المكفولة للمواطن طالما لم يصدر ضده أحكام قضائية تحول دون ترشحه.

الفقيه الدستورى إبراهيم درويش أيد الدكتورة فوزية ورأى أن القانون غير دستورى لكونه يميز بين المواطنين ولو طعن عليه أمام الدستورية سيتم قبول الطعن وسيتم إلغائه.

الجدل وصل إلى اللجنة العليا للإنتخابات الرئاسية، أمينها العام المستشار حاتم بجاتو قال أن اللجنة ستلتزم بحظر الترشح فى إنتخابات الرئاسة لمن عمل مسئولا كبيرا فى ال 5 سنوات السابقة لتنحى مبارك، إذا ما تمت الموافقة على مشروع قانون العزل السياسى.

بجاتو كان حاسما فى كلامه الذى تناقلته عنه الفضائيات ومواقع الإنترنت، أضاف: لجنة الإنتخابات ستلتزم بأى قانون حتى لو بأثر رجعى، بشرط أن يصدر من الجهات الشرعية، وهى إما مجلس الشعب أو رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة بسلطات رئيس الجمهورية المخولة إليه، وإلى أن يقضى بعدم دستورية ترشح من عملوا فى النظام السابق فهم ما زالوا مرشحين للرئاسة.

* * *

ولأننا جئنا على سيرة رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة، فلابد أن نتوقف قليلا، أثناء مناقشة قانون العزل فى مجلس الشعب، تسربت بعض الأخبار التى تشير إلى أن المجلس العسكرى ضاق ذرعا بقانون العزل، لأنه يميل إلى مرشحين بأعينهم ... وكانت التسريبات تشير إلى تأييد المجلس العسكرى إلى عمر سليمان أو على أقل تقدير إلى أحمد شفيق.

لكن مصدر عسكرى نفى - المصادر العسكرية لدينا فى مصر تنفى دون أسماء دائما - ما تناقلته بعض وسائل الإعلام ومواقع الإنترنت بشأن استنكار المجلس الأعلى للقوات المسلحة لما يقوم به مجلس الشعب من محاولات لإصدار قانون العزل السياسى لمنع رموز النظام السابق من الدخول فى إنتخابات الرئاسة.

المصدر العسكرى لم يترك نفيه إلا بعد أن أضاف إليه تأكيدا بأن القوات المسلحة لم تستنكر هذه الخطوة أو تعلق عليها، وأنها تقف على مسافة متساوية من الجميع ولن تدعم أى مرشح فى الإنتخابات الرئاسية، بل ستترك الإختيار للشعب فى إنتخابات حرة ونزيهة.

هذا الهجوم الشرس زاد عمر سليمان عنادا وثباتا على موقفه.

كان يرصد رد الفعل على ترشحه لنفسه لدى التيارات الإسلامية، ورأى أن رد فعلها تجاوز الإنزعاج، فقد بدأت قطاعات كثيرة تتصرف تصرفات اعتبرها هيستيرية مع تجريح فى شخصه مباشرة، لم يكن يتوقع أبدا أن تصدر من شخصيات مثقفة ومسلمة ومنافسة.

سليمان قال نصا: «الهجوم الشرس على بعد ترشحى فى كل مكان دفعنى للتفكير والتساؤل: هل يخشوننى؟ هل هم يريدون اغتيالا للشخصية؟ أم يريدون أن يؤثروا فى الشعب الذى أبدى ارتياحه لترشحى؟ ... وما تعجبت له موقف البرلمان الذى يؤرخ له بأنه برلمان الثورة الذى أتى بإنتخابات حرة نزيهة، وهى الخطوة الأولى فى الديمقراطية فى مصر، أن يخرج بعض النواب ويتحدثون عن إقصاء عمر سليمان بقانون».

اعتبر عمر سليمان ما يحدث ضده إنحرافا بالتشريع، فالقاعدة القانونية كما يعرف طالب سنة أولى حقوق هى قاعدة مجردة وعامة، ولا يجوز أن توصف بسوء القصد، وإلا بطل الحكم بها.

كان عمر سليمان يتساءل - وله كل الحق - لماذا لم يفكر أحد فى هذا التشريع الأول إلا بعد أن ترشح للرئاسة، وكان هناك مرشح آخر هو أحمد شفيق يمكن أن ينطبق عليه ذلك؟.

من بين ما أكد عليه عمر سليمان أن زملاءه فى المجلس العسكرى لم يعلموا أى شئ عن تحركه للترشح فى إنتخابات الرئاسة إلا بعد الإنتهاء من الإجراءات كلها، وكان تغير موقفه

مفاجأة بالنسبة لهم، وأن مقابلاته مع المشير طنطاوى لم يكن لها أى علاقة بترشحه على الإطلاق، و إنما كانت من أجل المواقف الخاصة بمساعدة مصر فى أمور معينة.

وقبل أن ينهى سليمان تأكيداته، قال مؤكدا للمرة الأخيرة فى هذا السياق: « أعضاء المجلس العسكرى كانوا يؤيدون عدم ترشحى لأسباب شخصية ولأسباب تتعلق بالمناخ العام، وأنا لا أقبل أن أكون مرشحا للمجلس العسكرى، ومن يقول هذا يقع فيما يوصف بالإدعاء الكاذب».

وما دمنا وصلنا إلى ضفة المجلس العسكرى ... فلابد أن نستعرض موقفه الذى لم يحسد عليه على الإطلاق.

بعد موافقة مجلس الشعب على القانون، انتقل تلقائيا إلى المجلس العسكرى الذى من شأنه الموافقة النهائية على القانون حتى يتم تفعليه والعمل به، لكن المجلس العسكرى لم يوافق على القانون على الفور، وهو ما عرضه لانتقاد من عملوا على اصدار القانون وسعوا خلفه.

من بين أهم المنتقدين كان المستشار محمود الخضيرى رئيس اللجنة التشريعية بالمجلس والذى قال نصا: «أعيب على المجلس العسكرى بقوة لعدم إصداره قانون العزل السياسى لإستبعاد من أفسدوا الحياة السياسية».

الخضيرى اعترف أن مجلس الشعب تأخر فى مناقشة القانون، وأكد أنهم لم يقصدوا به عمر سليمان وحده، ولكن لاستبعاد كل رجال الحكم السابق ... وقبل أن يمضى الخضيرى منهيا كلامه، قال أن رفض المجلس العسكرى لقانون العزل يعنى موافقته على ترشح عمر سليمان ودعمه له.

كثيرون انتقدوا بطء المجلس العسكرى فى حسم القانون، لكننى اخترت الإشارة إلى محمود الخضيرى تحديدا بسبب ما قاله عن عمر سليمان فى مجلس الشعب فى حالة من التحريض المباشر للموافقة على القانون أثناء مناقشته.

أراد الخضيرى التأكيد على أن القانون دستورى لأنه يصدر بقوة الثورة وليس بقوة الإجراءات الدستورية العادية، كان حديثه مليئا بالرعب من شبح عمر سليمان، يريد بأى طريقة أن يبعده عن الساحة السياسية، ولذلك جاء حديثه غارقا فى المبالغات واللامنطقية.

قال الخضيرى: «أنا أسأل الحكومة، لو أن الثورة طولت شوية، وهجمنا على القصر الجمهورى وقتلنا حسنى مبارك وقتلنا عمر سليمان وقتلنا المجموعة كلها ... كان حد هيكلمنا ... لا طبعا لأننا ثوار».

وقال: «لما الثوار فى ليبيا مسكوا القذافى وقتلوه محدش قال لهم إنتم مجرمين، لأنه كان قاتل 50 ألف مواطن، فى الحالة دى حد كان يقدر يقول لهم مراعاة حقوق الإنسان».

وقال: «ونحن نقول لتذهب جميع المبادئ التى تمنعنا أن ندافع عن بلادنا، فعمر سليمان معناه أمريكا وإسرائيل هم من سيحكموننا، نحن الآن فى حالة دفاع عن النفس، لأن عمر سليمان معناه أن حسنى مبارك سيخرج من السجن إلى القصر، ويجلس فيه معززا مكرما واحنا كلنا هندخل السجن، واللى حظه كويس هو اللى هيدخل السجن، لأن الباقى سيعلقوا على المشانق».

وقال: «نحن ندافع عن مصر ومن حقنا أن نستخدم كل الوسائل المباحة وغير المباحة، لقد طالبنا بقانون العزل السياسى من أول الثورة، ويتبين لنا الآن أن المجلس العسكرى لم يصدر قانون العزل من أجل هذا الرجل ... الرجل الذى ذهب ليقدم أوراقه فى حراسة الشرطة العسكرية».

بمنطق الثورة كان الخضيرى محقا، لكن منطق الثورة لم يكن هو الحاكم لدى المجلس العسكرى طول الوقت، بل إننا لا نستطيع أن نتبين المنطق الذى كان يحكم المجلس، لقد اتهموه بأنه لم يصدر قانون العزل السياسى، ولم يسارع إلى الموافقة عليه بعد أن أصدره مجلس الشعب، لأنه كان يحابى عمر سليمان، رغم أن الشواهد كلها كانت تشير إلا أن عمر سليمان لم يكن مؤيدا من المجلس العسكرى مطلقا، بل لم يكونوا مرتاحين لوجوده أو عودته إلى الساحة.

* * *

عندما وصل قانون العزل السياسى إلى المجلس العسكرى كان أمامه طريقا من ثلاث ... والرأى للخبير الدستورى الدكتور جابر نصار.

الطريق الأول ... أن يسارع المجلس العسكرى بالتصديق على قانون العزل و إصداره قبل 26 إبريل، وفى هذه الحالة يكون المجلس قد استجاب لإرادة البرلمان.

الطريق الثانى: أن يستمع المجلس العسكرى لبعض الآراء القانونية غير الدقيقة التى تطالب بعرض هذا المشروع على المحكمة الدستورية العليا لأخذ رأيها، وهذه الخطوة مضيعة للوقت وأمر غير صحيح من الناحية القانونية لأن الذى يعرض على الدستورية العليا هو قانون الإنتخابات الرئاسية، وهو استثناء لا يجوز التوسع فى تفسيره أو القياس عليه.

الطريق الثالث: أن يمتنع المجلس العسكرى عن إصدار القانون قبل 26 إبريل وهو اليوم الذى يعلن فيه أسماء من توفرت فيهم الشروط للترشح للرئاسة، وهذا سيناريو كارثى يترتب عليه زيادة الإحتقان فى الشارع السياسى، فبمجرد الإعلان عن المرشحين فى 26 إبريل لا يجوز الطعن عليهم، وبذلك لا يجوز تطبيق قانون العزل، ويحق لكل مرشح أن يخوض انتخابات الرئاسة وفقا للقانون والدستور.

بدأت اللجنة العليا للإنتخابات الرئاسية عملها، وقانون العزل فى درج المجلس العسكرى، حتى جاء يوم 14 إبريل لتعلن اللجنة استبعاد 10 مرشحين من إجمالى المرشحين الثلاثة والعشرين الذين سبق وأعلنت تقدمهم بأوراقهم إلى اللجنة.

من واقع وثائق اللجنة العليا للإنتخابات الرئاسية، فإن عمر سليمان استبعد نتيجة عدم حصوله على ألف نموذج تأييد شعبى (توكيل) فى إحدى المحافظات - محافظة أسيوط - بالمخالفة لنص الإعلان الدستورى وقانون تنظيم الإنتخابات الرئاسية، والذى أوجب حصول المتقدم للترشح على 30 ألف توكيل تتوزع على 15 محافظة شريطة ألا يقل عدد التوكيلات عن ألف توكيل فى المحافظة الواحدة.

شكل استبعاد عمر سليمان من الإنتخابات الرئاسية لغزا كبيرا، خاصة أن السبب المعلن هو خطأ فى عدد التوكيلات التى حصل عليها، وهو ما نفته حملته فى البداية غير مصدقة ما تردد عن استبعاد مرشحهم.

قالت الحملة أن التوكيلات التى تم تسليمها باسم اللواء عمر سليمان مستوافاة لشرط

التوزيع الجغرافى، وليس صحيحا أنها غير مستوفاة لذلك خصوصا أن عددها تجاوز ال 44 ألف توكيل، وعليه فليس هناك أى مبرر على الإطلاق لمثل هذا الاستبعاد فى حالة حدوثه.

سليمان علق على ما جرى بتصريح مقتضب قال فيه: «طبقا للخطاب الذى تم إرساله إلينا من اللجنة العليا للإنتخابات سيتم استكمال كافة المستندات والأوراق المطلوبة، والتظلم من هذا القرار خلال 48 ساعة طبقا لقرار اللجنة العليا للإنتخابات.

كان لا يزال لدى الرجل أمل، تقدم بالتظلم بالفعل، حمل مساعده اللواء حسين كمال أوراق التظلم وذهب إلى اللجنة العليا للإنتخابات، وعندما خرج رفض تماما أن يتحدث بأى شئ إلى الصحفيين المرابطين أمام اللجنة، كان عنيفا وحادا، ربما لأنه أدرك داخل اللجنة أنه لا أمل على الإطلاق.

كانت المشكلة أن التوكيلات الشعبية التى قدمها عمر سليمان عن محافظة أسيوط بلغت 996 توكيلا، وتعد هذه المحافظة رقم 15 هى المتممة لعدد المحافظات، وكانت أقل فى عدد توكيلاتها ب 31 توكيلا.

عرض حسين كمال أن يقدم توكيلات بتاريخ سابق يتناسب مع تاريخ غلق باب تلقى طلبات الترشح، وهى التوكيلات التى كانت موجودة بالفعل، لكن سوء التنظيم كان وراء تأخرها، لكن اللجنة رفضت تظلم عمر سليمان ... ليمتثل الرجل للقرار تماما وينصرف من الساحة السياسية ... ثم مغادرا ساحة الحياة كلها بعد شهور قليلة.

لم يصدق أحد أن يكون سبب استبعاد عمر سليمان من الإنتخابات الرئاسية 31 توكيلا فقط.

قيل: كيف لرجل بخبرته فى عالم المخابرات أن يقع فى هذا الخطأ الساذج؟

وقيل أن رجاله فى المخابرات العامة كانوا يعملون معه فى جمع التوكيلات، وحاولوا أن يأتوا بشهود وشواهد على ذلك، فكيف يقع فى هذا الخطأ الهزيل؟

وقيل أن من بأيديهم الأمر رأوا أن يدفعوا بعمر سليمان فى هدير المعركة الرئاسية، حتى إذا استبعدوه مع خيرت الشاطر مرشح جماعة الإخوان المسلمين، وحازم صلاح أبو إسماعيل

مرشح القوى السلفية لا يحدث رد فعل عنيف - وهو ما جرى بالفعل وجعل الناس تصدق هذا التفسير - .

قيل ... وقيل ... وقيل ... لكنى أصدق أن الرجل وقع فى هذا الخطأ الساذج بالفعل، لأنى على ثقة أنه خرج ليرشح نفسه مدفوعا برغبة فى مواجهة جراد الإخوان المسلمين، لم يكن يسانده أحد، لا هو مرشح المجلس العسكرى، ولا جهاز المخابرات كان يؤيده ويعمل من أجله.

وهنا قد يكون مناسبا أن أثبت ما قاله المستشار شمس الدين خفاجي عضو لجنة الإنتخابات الرئاسية عن استبعاد عمر سليمان من الإنتخابات، وهو شاهد عدل، يقول: «موضوع استبعاد عمر سليمان كان بسيطا وأرضى ضمائرنا جميعا، فقد تم إكتشاف هذا العدد الناقص - من التوكيلات - فى محافظة أسيوط مبكرا بعد ساعات من تقديم عمر سليمان لأوراقه، فهذه المحافظة كانت المتممة للحد المطلوب وهو 15 محافظة بألف تأييد على الأقل».

يكمل خفاجي ما جرى: «ظهر فى اللجنة إتجاهان، الأول يقول: فلنتجاوز عن هذا الرقم البسيط لأن العدد الإجمالى لتأييداته تجاوز 45 ألفا، أى أكثر من العدد المحدد بنحو 15 ألفا، والإتجاه الثانى يقول: مينفعش نتجاوز لأن التجاوز فى 31 استمارة يخلينا نتجاوز عن 41 و51 فيما بعد، وقد تغلب هذا الإتجاه فعلا ولم نقبل ترشح سليمان».

كل ما فعله عمر سليمان طبقا لما رواه المستشار شمس الدين خفاجي: «عرض فقط أثناء نظر الأوراق إضافة تأييدات من أسيوط وأحضرها بالفعل، لكننا رفضنا، وقد كان فى الحقيقة رجلا منضبطا محترما ولم يصلنا منه أى تعقيب».

❋ ❋ ❋

المفاجأة أنه بعد استبعاد عمر سليمان من الإنتخابات الرئاسية، وفى صباح الآثنين 23 إبريل أخذ المجلس العسكرى الطريق الذى اختاره، صدق على قانون مباشرة الحقوق السياسية، وأرسل الموافقة إلى مجلس الشعب، وكان الترتيب أن يتم إرسال القرار بصورته النهائية لينشر فى الجريدة الرسمية يوم الخميس 26 إبريل، وهو موعد إغلاق الطعون على مرشحى إنتخابات الرئاسة.

لم يكن يعرف من تصدوا لقانون العزل أن القدر سيساعدهم فى التخلص من عمر سليمان، لكنهم أظهروا للرجل كراهية مطلقة، تجعلنى أبحث خلفها ... .فهل ظلمهم سليمان للدرجة التى أعلنوا أنهم سيحولون بينه وبين الرئاسة ولو بأجسادهم ... .هذا سؤال يستحق بحثا جديدا فى العلاقة بين الرجل الكبير ومن تطاولوا عليه فى حياته، وقاطعوا جنازته بعد موته.

الفصل الرابع





صديق الجماعة

مات عمر سليمان وهو مجروح من هجوم الإخوان والإسلاميين عليه، قال فى ذهول: «كنت أنظر إلى نفسى وأقول: هل هو أنا هذا الرجل الذى يتحدثون عنه».

ألصق الإسلاميون بعمر سليمان كل نقيصة، وأهمها أنه كان يشارك فى تعذيب الإسلاميين بنفسه فى مبنى المخابرات.

استعانوا بما قالته عنه صحيفة «كريستيان مونيتور» من أنه كان مهندس التعذيب فى عهد مبارك، والجنرال الذى أشرف على ملف التعذيب بالوكالة.

وفرحوا بما نشرته عنه جريدة «نيويورك تايمز الأمريكية: «كان رجل خير وودود، ولم يكن يعذب إلا الناس الذين لا يعرفهم».

الهجمة الكبرى على عمر سليمان كانت من جماعة الإخوان المسلمين، خصص موقعها الإليكترونى «إخوان أون لاين» وهو صوت الجماعة الرسمى تقريرا كاملا، أطلقوا عليه الصندوق الأسود لعمر سليمان، ربما فى محاولة منهم إلى التأكيد أن الرجل الذى هدد الإخوان المسلمين بفضح صندوقهم الأسود، هو نفسه يمتلك صندوقا غير مشرف من الأسرار.

فى تقرير موقع الإخوان الرسمى يظهر عمر سليمان شيطانا كاملا، وقد يكون من اللازم هنا أن نرصد ما جاء فيه من إتهامات للرجل، فعلى ضوءها يمكن أن نقرأ العلاقة بين جنرال المخابرات الغامض وجماعة الإخوان المسلمين التى كانت أكثر غموضا، وهو ما سيتبدى لنا بعد قليل.

الإتهام الأول الذى تسنده جماعة الإخوان لسليمان، أنه يستحق بجدارة منصب رئيس المخابرات الصهيونية، نظرا لما قدمه من خدمات للكيان الإحتلالى الصهيونى، من عمليات تعذيب وقتل وخطف فى جميع أنحاء العالم، فمصائبه لم تقتصر على أبناء وطنه وحدهم الذين ذاقوا منه وبال عذابه، حتى من دافع منهم عن حدود وطنه وعن علم بلاده من التدنيس كالبطل سليمان خاطر الذى نفذ فيه الحكم الصهيونى وقتله فى محبسه بعد منعه لعدد من الصهاينة من التسلل إلى الأراضى المصرية.

الإتهام الثانى أنه ونظرا لكفاءته أوكلت له المخابرات الأمريكية والصهيونية مهام عديدة طوال سنوات رئاسته للمخابرات المصرية من عام 1993 (الصحيح هو 1991)، بالخطف والإعتقال والتعذيب لمن سموهم الإرهابيين والمتطرفين من المسلمين والعرب لتيسير الحرب على الدول العربية ونهب ثرواتها.

الإتهام الثالث ووفقا لملفات ويكيليكس التى استند إليها الموقع الإخوانى فإن جهات صهيونية قالت إن سليمان فاز بتأييد هيلارى كلينتون وزير الخارجية الأمريكية لقيادة المرحلة الإنتقالية إلى الديمقراطية بعد الثورة، وشهد له دان مريدور وزير الشئون الإستخباراتية فى الحكومة الصهيونية فى مقابلة مع الإذاعة الصهيونية بتاريخ 30/ 1/ 2011 بعد تعيينه نائبا للمخلوع، قائلا: «رغم التوقعات السوداوية لدينا، فإن الأمل الوحيد الذى نتعلق به هو أن تئول الأمور فى النهاية إلى عمر سليمان، لأن تجربة العلاقة بيننا وبين هذا الرجل تجعلنا نؤمن أن العلاقات بيننا وبين مصر فى عهده ستكون أكثر رسوخا مما كانت عليه فى عهد مبارك.

الإتهام الرابع وطبقا لوثائق ويكيلكيس أيضا أن جهات فى الإحتلال الصهيونى اعتمدت على عمر سليمان خلال العدوان الصهيونى المدمر على غزة أواخر العام 2008 من خلال المعلومات المخابراتية التى أمدهم بها خاصة الإحداثيات الجغرافية التى تساعد فى استهداف عناصر المقاومة.

الإتهام الخامس وكما يرى الموقع الإخوانى الرسمى أن سليمان اقترح دخول القوات الصهيونية إلى مصر، حيث ستكون موضع ترحيب، كما سيسمح لها بممارسة جهودها لوقف تهريب السلاح إلى حماس فى غزة.

الإتهام السادس كما يرى الإخوان أنه لفق كذبة تعاون الرئيس العراقى صدام حسين مع تنظيم القاعدة وهى التهمة التى بررت للرأى العام الأمريكى قرار غزو واحتلال العراق.

الإتهام السابع أنه خضع خلال ثمانينات القرن العشرين لتدريبات بمعهد ومركز جون كينيدى الخاص للحروب فى فورت براج بنورث كارولينا، وقام بتزويد جهاز المخابرات الأمريكية بمحققين مصريين لاستجواب عناصر تنظيم القاعدة، وهو ما جعل المخابرات الأمريكية ترى فى المخابرات المصرية حليفا استراتيجيا بشكل لا يقل عن الموساد.

الإتهام الثامن استند فيه الموقع الإخوانى إلى صحيفة « كوريرى ديلا سيرا الإيطالية، التى كشفت - كما يزعم إخوان أون لاين - أن عمر سليمان كان يدير بتفويض من وكالة المخابرات الأمريكية البرنامج الذى بدأ فى العام 1995، والذى اعتقلت واختطفت بموجبه الولايات المتحدة الأمريكية أشخاصا متهمين بالإرهاب وحولوهم إلى بلدان مختلفة، وكانت الولايات المتحدة تريد أن تنتزع منهم معلومات تفيدها فى حروبها فى الخليج وأفغانستان.

وكما اعتاد الإسلاميون جميعا، اعتمد الموقع الإخوانى على ما قالوا أنه أكثر الكتب مبيعا فى العالم، وهو «الطائرة الشبح» ... الذى كتبه الصحفى البريطانى ستيفن جراى، والذى أشار فيه إلى أن اختيار مصر مبارك كمحطة لتعذيب المختطفين لم يأت بمحض المصادفة، السبب الأول هو تراث التعذيب الذى يعود إلى زنازين أبو زعبل وليمان طره، والسبب الثانى هو وجود ضابط دموى وجلاد على رأس المخابرات العامة يدعى عمر سليمان يهوى رؤية القتل والتصفيات الجسدية بعينيه، بل وحتى ممارستها بيديه.

الإتهام التاسع أن سليمان شارك فى اختطاف 70 شخصا وتحويلهم إلى مصر كالإمام أبو عمر إمام مسجد ميلانو فى إيطاليا، والذى تم اختطافه فى فبراير من عام 2003، حيث قامت مجموعة من رجال المخابرات الأمريكية بالوصول إلى ميلانو بدون علم الحكومة الإيطالية، وقام عمر سليمان بالإيعاز إلى المخابرات المصرية بتعذيبه وانتزاع الإعترافات منه، وبعدما ثبتت براءته، طلب الأمريكان من سليمان إطلاق سراحه بعد سنوات من التعذيب.

وكما يزعم الموقع الإخوانى فإن القاضى الإيطالى الذى كان ينظر قضية الإمام أبو عمر كان يصر على إصدار مذكرة اعتقال بحق عمر سليمان بتهمة الإعتداء على حرية الآخرين،

واختطاف إيطاليين من الشوارع العامة والتعذيب، إلا أن الرئيس الإيطالى تدخل بقوة ومنع إصدار تلك المذكرة.

الإتهام العاشر يشير إلى أن عمر سليمان حصل على شهرته فى تسعينات القرن العشرين خلال حربه التى قضى بها على الجماعة الإسلامية وحركة الجهاد الإسلاميين وهو ما جعل منه محط ثقة مبارك ومبعوثه الخاص والشخصى لدى عواصم الغرب والصهاينة.

الإتهام الحادى عشر وهو الأخير رغم أن به إتهامات كثيرة إلا أنها جميعا تصب على هامة الرجل بعد الثورة، فكما يرى الإخوان أن عمر سليمان وفى الوقت الذى ادعى فيه كنائب للرئيس الحوار مع قوى المعارضة للوصول إلى تفاهم حول عودة المعتصمين من الميدان، نفذ خديعة مبارك بما عرف بموقعة الجمل، التى هاجمت خلالها بلطجية منظمين الميدان وقتلوا الكثير من الشباب والشيوخ فى محاولة لاستخدام القوة التى لا يعرف غيرها لإخلاء الميدان و إخماد الثورة.

كما أنه - وكما يرى الإخوان أيضا - أخفى من خلال موقعه كرئيس للمخابرات المصرية كافة الأدلة والوثائق التى تثبت تورط مبارك ورجاله فى قتل الثوار فى ميدان التحرير، وحجب كل الأشرطة التى سجلتها المخابرات للمظاهرات طيلة الثمانية عشر يوما التى اعتصم فيها المصريون فى ميدان التحرير، كما أنه تورط فى إحراق وسرقة الأحراز أوالتسجيلات الصوتية للمكالمات التى دارت بين مبارك والعادلى ورجاله، والتى تثبت إدانتهم وتورطهم فى القتل العمد للمتظاهرين، وعليه أفلت مبارك ورجاله من حبل المشنقة.

❋ ❋ ❋

التقرير الإخوانى يعتقد من كتبوه أنه فاضح، رغم أنه فى واقع الحال مفضوح جدا، وهو قبل أن يدين سليمان يدين من كتبوه، الذين ساقوا فى حق الرجل إتهامات بلا دليل، مجرد كلام إنشائى، ويكفى لهدم هذا التقرير أن نسوق ما يكذب بعض وقائعه، وهو ما نعتبره كفيلا بالتشكيك فى كل معلوماته وإتهاماته.

اتهم التقرير الإخوانى عمر سليمان بقتل المجند المصرى الشهيد سليمان خاطر.

وقصة سليمان خاطر بدأت فى 5 أكتوبر 1985، عندما قام 12 من الإسرائيليين بعبور السلك الشائك فى الجانب المصرى على الحدود مع إسرائيل، وقام خاطر بتنبيههم قبل العبور بأنه غير مسموح فلم يعيروا كلماته إهتماما ... وعبروا، فقام بإطلاق وابل من الرصاص فأرداهم قتلى فى الحال.

انتهى الأمر بسليمان خاطر بالإغتيال فى السجن الحربى، وأقول اغتيال لأن رواية الجهات الرسمية وقتها بأنه انتحر فى زنزانته لم تكن حقيقية، وقد حكى لى الدكتور مصطفى الفقى الذى كان يعمل فى مكتب الرئيس مبارك وقتها سكرتيرا للمعلومات، بأنه عندما أخبره بوفاة سليمان خاطر، قال له مبارك غاضبا: ليه عملوا كده، ده أنا كنت هالاعب به الإسرائيليين شوية، ويبدو من كلام الفقى أن مبارك كان رافضا التخلص من سليمان خاطر لكن هناك من فعلها.

ما يهمنا هنا هو إتهام عمر سليمان بقتل سليمان خاطر.

ففى العام 1985 الذى قتل فيه خاطر كان عمر سليمان يعمل رئيسا لفرع التخطيط فى هيئة العمليات للقوات المسلحة، ولم تكن له علاقة بالمخابرات الحربية التى عين فيها فى العام 1991، ولم يكن يعمل وقتها فى المخابرات العامة التى أصبح رئيسا لها فى العام 1993.

الخلط إذن موجود، وإتهام عمر سليمان بقتل سليمان خاطر كان القصد منه الشوشرة على الرجل لا أكثر ولا أقل.

مغالطة أخرى وقع فيها التقرير الإخوانى عندما اعتمد على كتاب «ستيفن جراى» الطائرة الشبح، وهو الكتاب الذى يتم الترويج له على أنه يفضح تاريخ عمر سليمان الدموى، وهنا أتوقف قليلا عند كاتبة مصرية أرسلت لى بعض الأوراق التى أكدت أنها دونتها بعد أن تحدثت مع عمر سليمان بشأن كتاب «الطائرة الشبح» ... لا أعرف اسم هذه الكاتبة حتى الآن، لكنى أثبت هنا ما قالته.

تقول: من بين ما يفند رواية الإسلاميين المنسوبة إلى كتاب « الطائرة الشبح» أن ستيفن جراى لم يذكر شئيا عن عمر سليمان مستندا إلى معلومات خاصة، ولكنه قال ما قاله له

المعارض السورى «بشير نزار نيوف» الذى كان قد سرب لوسائل الإعلام أنه حصل على تلك المعلومات من ستيفن جراى مؤلف الكتاب خلال محادثة تليفونية، أى أنه عكس الواقعة تماما ليضفى على كلامه قيمة ليست له أو فيه من الأساس.

أما حقائق ما جرى بخصوص هذا الكتاب، أن اسم عمر سليمان لم يرد فيه إلا فى الصفحات أرقام 33، 41، 141، 145.

المفاجأة الثانية أن كتاب ستيفن جراى لم يتضمن أى فصل عنوانه «عمر سليمان ... جلاد التعذيب» كما ادعى خصوم مدير المخابرات المصرية ونائب الرئيس السابق.

لا تزال هناك مفاجآت أخرى، فالصفحات التى ورد فيها اسم عمر سليمان لم ترد فيها كافة التفاصيل التى نسبت للرجل، بل إن الكاتب البريطانى كثيرا ما شكك فى المعلومات التى حصل عليها من مصادره، وتحديدا هؤلاء الذين تم إعتقالهم فى مصر.

من ذلك مثلا أن أحد السجناء الذين ألقى القبض عليهم بواسطة الإمارات واختفى عدة شهور، وصفه ستيفن جراى بأنه مصدر غير مسئول وأنه قال أنه كان مختفيا لدى عمر سليمان.

الإخوان حرفوا إذن ما جاء فى كتاب ستيفن جراى من أجل تشويه عمر سليمان والإنتقام منه، وهو ما يجعلنا نتشكك فى كل ما جاء بالتقرير جملة وتفصيلا، خاصة أن هناك إتهامات تخلو من المنطق، لكن اللهاث خلف إتهام الرجل جعلهم ينسبون إليه كل شئ.

يمكن أن نستمع لمن يتهم عمر سليمان بأنه كان مسئولا عن موقعة الجمل، على الأقل من باب أنه كان نائبا للرئيس عندما وقعت الأحداث فى 2 فبراير 2011، لكن هل يعقل أن يتهم الإخوان عمر سليمان بأنه وبوصفه مديرا للمخابرات أخفى عن جهات التحقيق ما سجلته المخابرات من أحداث الثورة، وهى التسجيلات التى من شأنها أن تقدم المتهمين إلى حبل المشنقة.

صحيح أن عمر سليمان كان مديرا للمخابرات المصرية حتى مساء 28 يناير، لكنه خرج من المنصب بعد تعيينه نائبا للرئيس، وعليه فلم تكن له أية سلطة فى إخفاء أدلة، أو رفض تقديم وثائق لجهات التحقيق، لكنه التسرع الذى يجعل الجماعة تحمل الرجل كل الخطايا حتى تزيحه من طريقها.

الإنحراف بالمنطق والعقل لحق بتقرير الإخوان المسلمين، فليس معقولا أن تؤكد الجماعة تأييد أمريكا لعمر سليمان فى قيادة مرحلة الإنتقال الديمقراطى فى مصر، وهى تعلم أن الأمريكان كانوا يساندون الإخوان جملة وتفصيلا، وهو ما بدا واضحا تماما بعد وصول المرشح الإخوانى الدكتور محمد مرسى إلى رئاسة الجمهورية.

* * *

لقد ألهب الإخوان المسلمون ورفاقهم فى التيارات الإسلامية الأخرى ظهر عمر سليمان بإتهامات كثيرة، وهنا يقتحمنا أكثر من سؤال:

لماذا لم يتقدم أحد من رجال التيارات الإسلامية أو من قيادات الإخوان ببلاغ إلى النائب العام يتهم عمر سليمان بتعذيبه فى المخابرات العامة؟

لماذا اقتصرت جهود التيارات الإسلامية على تشويه عمر سليمان، رغم أنهم ولو من باب المضايقات كان يمكن لهم أن يلجأوا إلى القضاء ليثبتوا أن الرجل عذبهم؟

لماذا بذل الإسلاميون جهودا ضخمة حتى يمنعوا عمر سليمان من الترشح للرئاسة بقانون العزل السياسى، دون أن يحاولوا إثبات تورطه فى قضايا تعذيب أو فساد مالى طوال عهد مبارك؟

قبل الإجابة على هذه الأسئلة قد يكون من المفيد أن أثبت شهادة اللواء وضاح حمزاوى الذى عمل وكيلا لجهاز المخابرات العامة لمدة 11 عاما، وخرج منه يوم 31 يناير 2011 محافظا لبنى سويف، وكان يعرف اللواء عمر سليمان جيدا، فكل سنواته فى الجهاز كانت فى وجود عمر.

يقول وضاح: «جهاز المخابرات العامة مؤسسة همها الأول والأخير مصر وأمنها القومى ومقاومة التجسس والأنشطة التى تضر بأمن البلاد وإعطاء المشورة للقيادة السياسية، والجهاز ينحاز فقط لمصر،ولا يدخل أى إنحياز لصالح طرف فى أى صراع سياسى، وما قيل عن اللواء عمر سليمان وتعذيبه للإسلاميين محض خيال، لأن المخابرات لا تعذب ولا يوجد من تعرض حتى لضربة قلم، ومن يدخلون مقر الجهاز يكون لديهم تصور معين مشوب بالحذر والهيبة، ويخرجون وهم مقتنعون تماما برقة التعامل مع الجميع، والحديث عن عمليات تعذيب لمعتقلين من التيارات الإسلامية ينبغى أن تسأل عنه هذه التيارات الموجودة على الساحة فى شكل أحزاب

سياسية، ولم يتحدث منهم أحد عن شئ من هذا، وربما كان هذا جزء من الصراع السياسى بعد ترشح اللواء عمر سليمان لمنصب الرئيس، ولم يتحدث أحد فى هذا الموضوع بعد ذلك».

أعتقد أننا وصلنا إلى نصف الإجابة من خلال رأى وكيل جهاز المخابرات العامة وضاح حمزاوى، فالواقع يقول أن التيارات الإسلامية التى تدعى أن عمر سليمان عذبها عندما كان مديرا للمخابرات العامة المصرية، امتنعت عن إتهامه عندما كان فى السلطة، فما الذى منعها من فعل ذلك والرجل خارج السطلة، وهى التى أصبحت على رأس السلطة؟

لو كان شئيا مما ادعته هذه الجماعات صحيحا لما تركت عمر سليمان ... كانت جرجرته إلى مكاتب التحقيقات وساحات المحاكم، لكن ولأن شئيا مما قالوه لم يحدث، فقد التزموا الصمت، وعندما تحدثوا شوهوا الرجل بإتهامات دون دليل.

أذكر أننى كنت جالسا إلى الدكتور كمال الهلباوى الذى كان قياديا مرموقا فى جماعة الإخوان المسلمين، قبل أن يتقدم بإستقالته منها احتجاجا على ترشيح الجماعة لخيرت الشاطر للرئاسة، بعد أن أعلنت أنها لن ترشح أحدا، كان الهلباوى يحدثنى عن يومياته فى لندن، فقد قضى الرجل فيها سنوات مبعدا عن مصر، ومتحدثا رسميا باسم جماعة الإخوان المسلمين فى الغرب، حيث نقل للعالم ما تتعرض له الجماعة هنا فى مصر على يد نظام مبارك.

ترك الهلباوى حياته وأيامه ونضاله جانبا، وبدأ يحدثنى عن مهمة عمر سليمان الأساسية وهى تصفية خصوم مبارك فى الخارج، كان سليمان طبقا لما قاله الهلباوى قد كون مجموعة أطلق عليها « مجموعة قنص» كانت مهمتها أن تقوم بإغتيال من يقومون بنشاط معادى لمبارك فى الخارج، وعدد لى الهلباوى عددا ممن أطلق عليهم خصوم النظام الذين قام سليمان بتصفيتهم بالفعل، كما جعل هذه المجموعة فى خدمة المخابرات الأمريكية حيث كانت تسارع بإغتيال من تحدده المخابرات الأمريكية.

وقتها لم أسأل كمال الهلباوى: و إذا كان عمر سليمان قاد هذه المجموعة لقنص خصوم مبارك، فلماذا لم يقم بقنصك أنت شخصيا، وأنت كنت تمثل خطرا من خلال فضح ممارسات نظام مبارك ضد الإخوان؟

وأغلب الظن أننى ام أساله لأنه لم يقدم لى دليلا واحدا على صدق روايته.

ما قاله عمر سليمان عن علاقته بالإخوان المسلمين تحديدا عندما كان مدير للمخابرات المصرية مختلفا تماما، ففى أحد حواراته أشار إلى أنه لم تكن لديه خصومة مع التيار الإسلامى أو مع الإخوان المسلمين، ربما الخصومة مع تيار الجهاد فى تشكيلاته الخارجية التى كان جهاز المخابرات يتابع حركتها فى الخارج، لكن لا خصومة عنده مع الإسلاميين فى الداخل من ناحية المبدأ، كما أن جماعة الإخوان كانت تعلم أن جهاز المخابرات لم يدخل معها فى أى خصومة، وأن الجهاز كان يعمل من أجل مصلحة مصر، وليس فى صالح حزب معين أو رئيس بعينه.

ويعترف عمر سليمان: «جهاز المخابرات كان الصدر الحنون للإخوان نتيجة الضغط الذى كانت تمارسه الأجهزة، وكنا على اتصال بهم وننصحهم ونتشاور معهم ونناقش معهم المبادرات، أما الأجهزة الأخرى فكان لها أهداف أخرى لمنع الإخوان من الظهور على السطح السياسى، ومع ذلك كان قيادات الإخوان يرتبطون أحيانا بعلاقات مع قيادات أمن الدولة على حسب الظرف السياسى الذى تمر به البلد».

الثابت فعلا أن عمر سليمان كان يعرف الإخوان جيدا، حاول مساعدتهم ولكن بما يحقق مصلحة مبارك فى النهاية، وهنا تظهر شهادة من المحامى والمفكر والإخوانى السابق ثروت الخرباوى، وردت فى كتابه « سرالمعبد» وهو الكتاب الذى يسجل فيه ثروت الأسرار الخفية لجماعة الإخوان.

يقول: «فى إحدى الجلسات الهامة بالمحكمة العسكرية التى انعقدت لمحاكمة النقابيين الإخوان، تذكرت واقعة خطيرة كانت قد حدثت عام 1995، كان النظام قد قبض على عدد كبير من الإخوان ما بين عامى 1995 و1996، وكان المقبوض عليهم من أعلى قيادات الجماعة، فمنهم عصام العريان وخيرت الشاطر وعبد المنعم أبو الفتوح وعبد الحميد الغزالى ولاشين ابو شنب وجمعة أمين ورشاد البيومى ومحمد حبيب ومحمود عزت ومهدى عاكف وإبراهيم الزعفرانى وسعد الحسينى وحسن الجمل والسيد النزيلى ومحسن راضى ومحيى الزايط وحلمى الجزار وأبو العلا ماضى وآخرون».

أخذت هذه القضايا - والرواية للخرباوى - أرقام 8 و 11 لسنة 1995، و5 لسنة 1996، وكان الدكتور محمد سليم العوا هو رئيس هيئة الدفاع ومعه مختار نوح الذى كان منسقا لهيئة

الدفاع، وقتها قام الإخوان باستقدام عدد من المحامين الإنجليز لحضور جلسات المحاكمات بصفتهم مراقبين.

كان من حظ ثروت الخرباوى أنه كان مكلفا من الإخوان مع بعض المحامين الإخوان بمرافقة هذا الوفد، وكان الدكتور العوا هو الشخص الوحيد الذى كان مؤهلا للتعامل مع هذا الفريق، أما محامى الإخوان فقد كانوا مجرد رفقاء طريق، فالدكتور العوا لديه كل تفصيلات القضايا بحسب موقعه فى رئاسة فريق الدفاع، كما أنه يجيد الإنجليزية إجادته للعربية.

يحكى ثروت: «فى هذه الفترة عرفت من خلال أحد الإخوة المقربين من الدكتور العوا أنه - أى العوا - تدخل سياسيا للصلح بين جماعة الإخوان المسلمين والنظام، كان هدف الدكتور العوا من الوساطة للصلح أن يتيح للحركة الإسلامية مساحة كبيرة من الحركة الدعوية، فالدعوة هى الوسيلة الإنسانية الرفيعة التى من شأنها الإرتقاء بمفاهيم وقيم الناس، وترشيد سلوكياتهم، وبالدعوة تقوم الحضارات، فما من حضارة إلا ولها دعوة ودعاة».

وهنا يظهر عمر سليمان.

يقول ثروت: «طلب الدكتور العوا مقابلة اللواء عمر سليمان مدير المخابرات فحدد له موعدا، وفى الإجتماع عرض العوا الوساطة فى الصلح، فوافق عمر سليمان إلا أنه اشترط عدة شروط، منها أن يمتنع الإخوان عن خوض أى إنتخابات نقابية أو برلمانية لمدة خمس سنوات، على أن يتيح لهم النظام حركة من خلال المساجد، فإذا وافق الإخوان على هذا الشرط يتم الإفراج عن كل المحبوسين من الإخوان».

المفاجأة لم تأت بعد.

يكمل ثروت شهادته: «كان هذا العرض مرضيا للدكتور العوا، ظن وقتها أن قيادات الإخوان ستوافق على هذا العرض وسترحب به أيما ترحيب، فهى فرصة نادرة لا تتكرر، وقبل أن يغادر العوا مكتب عمر سليمان قال مدير المخابرات له: مأمون الهضيبى سيرفض بشدة، ويبدو أن الدكتور العوا أصابته حالة من الإندهاش عندما جاء له رد المستشار الهضيبى قاطعا برفض العرض».

ولأن هذه كانت مواقف عمر سليمان من الإخوان عندما كان مديرا للمخابرات، فقد اندهش من هجومهم عليه.

يقول هو عن ذلك: «عندما تم تعييني نائبا لرئيس الجمهورية قمت بالإتصال مباشرة لأنني كنت أعرف أنهم يقودون الميدان في ذلك الوقت والتقيت اثنين من كبار قياداتهم هما الدكتور محمد مرسى والدكتور سعد الكتاتني للتفاهم على الحل، وأنا لم أبدأ معهم بأى خصومة، ويصدمني الآن أنهم يوجهون لى إتهامات وشتائم على عكس ما كانوا يقولونه لى في الماضي، أو على الأقل خلال الفترة التي دارت فيها الحوارات بيننا بعد الثورة، عكس ما كانوا يقولونه في الماضي وهذا ضد موقفهم مني شخصيا في الماضي».

يكمل سليمان: «وأحيانا أسأل نفسي: من هذا الذي يشتمه الإخوان وهم يعرفون، هل أنا هذا القاتل ذو اليد الملوث؟ أندهش من هذه الإتهامات التي ظهرت فجأة ولم تكن تعبر عن موقفهم من قبل، كل هذا لأنني قررت الترشح، ولا أخفى أنني توقعت الهجوم، وأنتظر حتى يهدأ بخار هذا الغضب حتى نتفاهم».

قال عمر سليمان هذا الكلام قبل أن يتم استبعاده من الإنتخابات الرئاسية، ورغم وضوحه في الكلام إلا أنه احتفظ بكثير من غموضه، كما اعتاد دائما.

ألمح عمر سليمان إلى أن رأى الإخوان فيه قبل الثورة لم يكن هو نفسه الذي أعلنوه بعد أن رشح نفسه لرئاسة الجمهورية، وأعلن أنه ما فعل ذلك إلا لينزع العمامة من على رأس مصر، وهى العمامة التي تريد جماعة الإخوان ومن وراءها من تيارات إسلامية أن تضعها على رأس مصر، عازلة إياها بذلك عن دول العالم المتحضر.

لم يقل عمر سليمان رأى الإخوان فيه قبل الثورة، لكن بعضا مما جرى وعرفناه من مصادر مختلفة يؤكد أن الجماعة كانت تكن إحتراما من نوع خاص لعمر سليمان، بل كانوا ينظرون إليه على أنه لم يتورط في فساد عصر مبارك مثل الآخرين.

ولعل هذا يفسر لنا حرص قيادات جماعة الإخوان المسلمين على مقابلة عمر سليمان قبل الثورة، ومن بين ما رواه الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل، أنه عندما كان يلتقي بعدد من

قيادات الجماعة فى لقاءات للنقاش وتبادل وجهات النظر، كان يتعجب من حرصهم ودأبهم على طلبهم منه أن يتوسط لدى السيد عمر سليمان ليقابلهم، لأن لديهم ما سيقولونه له.

قيادات الإخوان المسلمين التى يقصدها محمد حسنين هيكل من بينهم عصام العريان وعبد المنعم أبو الفتوح قبل أن يترك الإخوان مطرودا، وكانوا يؤكدون على أنهم يبحثون عن قناة إتصال أمينة تحمل ما عندهم إلى الرئيس مبارك، لأن من حوله يحولون بينه وبين الجماعة، وكانوا يثقون أن عمر سليمان هو هذه القناة الأمينة التى يثقون بها وفيها ثقة مطلقة.

قد يكون الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل توسط بالفعل لدى عمرسليمان ليقابل قيادات جماعة الإخوان المسلمين، لكن ما جرى فعلا أن السيد سليمان لم يقابل أحدا من قيادات الجماعة، فقد كان هناك من بين قيادات جهاز المخابرات من يقوم بهذه المهمة، أما سليمان فلم يفعلها أبدا، ولا أحد يستطيع أن يدعى أنه فعل ذلك.

فكرة عمر سليمان التى سوقها لجماعة الإخوان المسلمين عبر قيادات الجهاز، هى إنشاء حزب سياسى يجعل عملهم فوق الأرض، ويحميهم من التعرض للإعتقالات ومصادرة الأموال، لكن يبدو أن الجماعة فطنت إلى أن إقتراح سليمان لم يكن فى مصلحته، ولكن لمصلحة النظام فقط، فهى تعرف أن الأحزاب فى عصر مبارك لم تكن إلا أحزاب ديكورية، وأنها لو أسست حزبا، فإنها ستفقد كثيرا من شعبيتها وقوتها وتأثيرها فى الشارع.

كانت جماعة الإخوان المسلمين تحمل لعمر سليمان تقديرا من نوع ما، لأنه كان يحاول تخفيف الضغط عنهم، أثناء حصار الأجهزة الأمنية الأخرى لهم، اعترف هو بذلك دون أن يعترض طريقه أحد.

قال: «لم نكن نشارك فى أى نوع من الضغوط على الإخوان، على العكس تماما كنا نحن من نفتح الحوار، ونرسل الضباط من الجهاز لمناقشة سبل حلول الأزمات والوصول إلى مبادرات أو تسويات سياسية مع قيادات الإخوان».

سليمان فسر ببساطة موقف مبارك المتعنت من جماعة الإخوان المسلمين، قال: «كانت لمبارك وجهة نظره السياسية، فالرجل كان ينظر إلى هذا التيار بكثير من الشكوك، وكان يرى

أنهم تآمروا على مقتل كل رؤساء مصر، فخططوا لقتل عبد الناصر، وشاركوا فى قتل السادات، ثم خططوا لقتل مبارك نفسه ثلاث مرات، والأمر لم يكن سهلا على رئيس يعرف أن تيارا بعينه لن يتردد فى حمل السلاح أو قتله هو شخصيا إن استطاع للوصول إلى الحكم، ومن هنا كانت سياسة مبارك هى المواجهة».

فى اعتقادى الشخصى أن عمر سليمان لم يكن بعيدا عن وجهة نظر مبارك فى المواجهة، لكنه كان يعمل فى الخارج فقط، وتحديدا مع الجهات الجهادية، وكان عمله الأساسى هو مواجهة تأثير قيادات الجماعات الجهادية الهاربة، على العمليات الجهادية التى يمكن أن تحدث فى مصر، وهذا من وجهة نظره حفاظا على أمن البلد وحماية اقتصادها.

❋ ❋ ❋

ما قاله عمر سليمان منطقى ... ووجه منطقيته عندى أنه لم يكن مطلعا بشكل جيدا، رغم أنه رجل المعلومات الأول فى مصر على ما يقوم به الإخوان المسلمون، والدليل الأكبر على ذلك أنه حمل الجماعة وحدها مسئولية ما جرى فى الميدان، فهم الذين يحرضون وهم الذين يقودون وهم الذين يشعلون النار فى ثوب النظام، الذى يريدون أن يرثوه كاملا دون إبطاء.

ولذلك دعا عمر سليمان جماعة الإخوان المسلمين إلى الحوار ليجد حلا للأزمة، وليرفع عن الجماعة لقب المحظورة الذى حظيت به طوال السنوات الأخيرة من عصر مبارك، وليدخل محمد مرسى - أصبح الرئيس بعد ذلك - وسعد الكتاتنى - أصبح رئيسا لمجلس الشعب بعد ذلك -، إلى قصر الحكم على الرحب والسعة.

كان عرض عمر سليمان لجماعة الإخوان محددا، وهو أن ينهوا مايحدث فى الميدان مقابل أن يحصلوا على حزب سياسى، وأن يمارسوا العمل السياسى بحرية تامة، وربما كان ما هو أكثر من ذلك، لكن أحدا لم يعلن عنه.

شعر المتواجدون فى ميدان التحرير ومن بينهم شباب الجماعة الذين لحقوا بالثورة متأخرا، أن قيادات الإخوان تخونهم، لكن قيادات الجماعة وبعد أن سقط مبارك وصحب معه عمر سليمان، كانوا أن حرفوا الكلم عن مواضعه، وأعلنوا أنهم شاركوا فى الحوار من

أجل دعم الثورة، ومن أجل الإحتجاج على ما يحدث للثوار، ومن أجل مطالبة مبارك بأن يرحل وفورا، ولم ينس رجال الجماعة الكبار أن يقولوا أنه لم تكن هناك أى إتفاقات سرية بينهم وبين عمر سليمان.

وهنا قد يكون من المهم أن نعرض لشهادة قيادى إخوانى سابق هو هيثم أبو خليل، قدم استقالته من الجماعة إحتجاجا على اتصالاتها السرية بعمر سليمان أيام الثورة.

يقول هيثم أبو خليل فى دراسة مطولة - جاءت ضمن كتابه «إخوان إصلاحيون» - خصصها لرصد صعود وسيطرة خيرت الشاطر على جماعة الإخوان المسلمين: « قامت الثورة المصرية المباركة فى 25 يناير، أصدر الطاغية المخلوع مبارك تكليفا لعمر سليمان بأن يتفاوض مع القوى الوطنية يوم 31 يناير، وبالفعل بدأ سليمان سريعا، وكان أول لقاء سرى مع الإخوان شارك فى التحضير له أفراد من المخابرات والجماعة الإسلامية».

يكشف أبو خليل فى شهادته تفاصيل جديدة عما جرى فى الغرف المغلقة، يقول: «فى يوم 1 فبراير ذهب سعد الكتاتنى ومحمد مرسى للقاء عمر سليمان فى إجتماع مغلق ضم ثلاثتهم، وكان الحديث عندها عن سحب الإخوان لشبابهم من التحرير وتهدئة الأمور، كان المقابل هو حصول الإخوان على الشرعية الفعلية عن طريق ترخيص حزب وجمعية والإفراج عن الشاطر ومالك».

طبقا لرواية أبو خليل، عاد الكتاتنى ومرسى إلى مكتب الإرشاد بنتيجة المفاوضات، ويرى أبو خليل أن موقعة الجمل لم تنقذ الثورة فقط من الإستمرار، بل أنقذت الإخوان من أن يعقدوا أسوء إتفاق فى تاريخهم.

اجتمع مكتب الإرشاد وخشى الكثيرون منهم من استكمال الإتفاق، وأقسموا ألا يخرج هذا الكلام مطلقا للنور، ولا يعرف به أحد من مجلس الشورى العام حتى لا يثوروا عليهم.

يستكمل هيثم أبو خليل روايته، يقول: «ظل عمر سليمان يجتمع بعد موقعة الجمل مع القوى الوطنية، وعندما سئل فى أحد المؤتمرات الصحفية عن سبب عدم حضور الإخوان المفاوضات، قال واثقا: إنهم يفكرون وسيلحقون بنا».

لم يكن أحد داخل الجماعة أو خارجها يعرف أن كلام عمر سليمان لم يكن خيالا أو كلاما فى الهواء، بل كان الرجل يعلم أنهم سيحضرون مرة أخرى ... .وبالفعل اجتمع عمر سليمان مع الكتاتنى ومرسى أمام الكاميرات فى اجتماع موسع يوم 6 فبراير ضم بعض القوى الوطنية، دون الرجوع مرة أخرى لمجلس الشورى العام.

بعد هذا الإجتماع سجل عبد المنعم أبو الفتوح فيديو خاص وبثه عبر اليوتويب ندد فيه بما فعله مرسى والكتاتنى، ووصف قيادة الجماعة بأنها تعيش فى دور المضطهد الذى لم يعلم أن هناك ثورة قامت، وأن الدنيا تغيرت.

ينهى هيثم أبو خليل هذه الواقعة بقوله: «اجتمع مجلس شورى الجماعة فى 10 فبراير، وهنا حدث ما لم يكن متوقعا على الإطلاق، فقد زل لسان الدكتور محمد مرسى عندما طلب أعضاء مجلس الشورى معرفة ما حدث دون الرجوع إليهم فى لقاء 6 فبراير، فقال الدكتور مرسى أننا لم نتطرق لما كنا توصلنا إليه فى الإجتماع الأول.

انتفض الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح، وقال: هو كان فيه لقاء أول يا بديع؟ ... انتوا بتعملوا إيه فى تاريخ الجماعة دى، حرام عليكو انتم لازم تتحولوا للتحقيق، وغادر الإجتماع غاضبا».

هذه الرواية لها ما يدعمها لدى قيادى إخوانى سابق آخر هو الدكتور محمد حبيب الذى كان نائبا أول لمرشد الجماعة، وأنقل هنا بعضا مما قاله فى حوار مطول مع موقع اليوم السابع الإليكترونى، ويخص لقاء الإخوان بعمر سليمان ... وهذه هى الأسئلة والإجابات.

- كنت ما زلت عضوا بمجلس شورى الإخوان عند صدور قرار الجماعة بعدم الدفع بعضو لمنصب الرئاسة فى اجتماع بتاريخ 10 فبراير، ماذا حدث فى هذا الإجتماع؟
- أنا رفضت حضور هذا الإجتماع وكان من المفترض أن يعقد إجتماع بينى والدكتور بديع، ولم أكن مشاركا فيه، لكن الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح حكى لى ما حدث، وهو أن عددا من الأعضاء اعترضوا على لقاء الدكتور محمد مرسى والدكتور سعد الكتاتنى مع عمر سليمان بهدف الحوار مع القوى السياسية وكنت رافضا لهذه المقابلة

لأنى أعلم أن سليمان كان يريد شق صف القوى المتواجدة فى الميدان ما يؤثر على وحدة القوى.

- **هل تمت استشارة مجلس شورى الجماعة بشأن هذا اللقاء؟**

- كان هناك أمر آخر وهو حدوث لقاء بين قيادات الجماعة منفردين مع عمر سليمان قبل هذا اللقاء دون الرجوع لمجلس شورى الجماعة، ما أثار غضب أعضاء الشورى، وكان ذلك قبل فبراير الذى شهد موقعة الجمل.

- **وما فحوى هذا اللقاء؟**

- كان محاولة لصرف الإخوان عن الميدان مقابل الإفراج عن بعض القيادات من الجماعة مثل خيرت الشاطر، لكن الشباب رفضوا، وهذا ما بلغنى.

جلس الإخوان المسلمون مع عمر سليمان إذن من خلال إجتماعين الأول سرى والثانى علنى - الشهادات على ذلك متعددة -، وكأنهم يحققون بذلك الأمنية التى طالما سعوا وراءها، وهى الجلوس مع رجل مبارك القوى، لكن الأمنية تحققت بعد أن بهت مبارك تماما، وبعد أن أصبح عمر سليمان هو الساعى إليهم، وليسوا هم من يسعون إليه ... ومن المنطقى جدا أن الإخوان أثنوا على عمر سليمان كثيرا أثناء لقاءهم به، لكنه لم يتحدث عن ذلك - أشار إليه فقط - وهم أيضا لم يتحدثوا عما قالوه، لأنهم وبعد أن نجحت الثورة صوروا لقاءهم بسليمان على أنه بطولة مطلقة، رغم أن ما جرى لم يكن إلا خيانة كاملة للثورة.

* * *

يمكن أن تكون العلاقة بين عمر سليمان والإخوان فى مرآة البعض ملتبسة، غامضة، غير واضحة بما يكفى، وحتى ما قاله سليمان عنها لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يفض غشاءها، فالإخوان لم يتحدثوا بصراحة عما جرى، ولو أنهم يملكون ما يدين الرجل لما ترددوا أبدا عن كشفه، فأخلاقهم لا تمنعهم أبدا من الخوض فى سيرة وأعراض الرجال إذا كان لديهم ما يقولونه ... ولم تكن حملات التشوية التى قادتها الجماعة ضده بعد أن رشح نفسه للإنتخابات الرئاسية إلا محاولة لكسره و إزاحته من طريق مرشحها ... لأن الجماعة كانت تعرف جيدا أن وصول

عمر سليمان إلى السلطة معناه عودتها إلى المربع رقم صفر، وهو ما لم تكن مستعدة له على الإطلاق.

قد يكون غريبا القول بأن عمر سليمان كان واحدا من أصدقاء جماعة الإخوان المسلمين داخل نظام مبارك، وهو أمر لم يكن مستهجنا، فالجماعة رغم إقصاء نظام مبارك لها، إلا أنها كانت تبحث دائما عن ثغرات تنفذ منها على الأقل من أجل أن تتنفس، وكان سليمان ثغرة أخذت منه الجماعة بقدر ما سمح له موقعه الرسمى، فلم تكن نصائحه للإخوان إلا من أجل الحفاظ على نظام مبارك، ولم يكن تفاوضه معهم إلا لهذا الغرض ذاته.

الصداقة هنا بالمعنى السياسى بالطبع، ولأنه فى عالم السياسة لا صداقات مطلقة ولا خصومات مطلقة، فقد انقلبت حالة الود بين عمر سليمان والإخوان إلى حالة عداء كاملة، ويبدو أن عمر سليمان - على الأقل من باب صعيديته - لم ينس ثأره لدى الجماعة التى اجتهدت فى تشويهه والإساءة إليه.

كانت الجماعة تعرف جيدا أن سليمان مجرد صديق سياسى، لا يعطيها شئيا إلا إذا سيحقق من خلاله مصلحة نظام مبارك، ففى الوقت الذى سعى إلى إدماجهم فى المجتمع، كان يسعى إلى تشويه صورتهم لدى الأمريكان، وهو ما كشفته إحدى وثائق ويكيلكس الشهيرة.

تشير الوثيقة إلى أن عمر سليمان سعى دوما إلى رسم صورة مخيفة لجماعة الإخوان المسلمين المعارضة خلال إتصالاته مع المسئولين الأمريكيين، وكشفت برقيات للسفارة الأمريكية أرسلت بها إلى الخارجية الأمريكية أن سليمان اتهم الإخوان بتفريخ المتطرفين المسلحين، وحذر فى 2008 من أنه إذا قدمت إيران الدعم للجماعة المحظورة فسوف تصبح عدونا.

وفى برقية بتاريخ 15 فبراير 2006 يقول السفير الأمريكى فى القاهرة - وقتها فرنسيس ريتشارد دونى - أن سليمان أكد له أن الإخوان المسلمين فرخوا 11 منظمة إسلامية متطرفة أهمها جماعة الجهاد المصرية والجماعة الإسلامية، وأن الجماعة شكلت جناحا عسكريا سريا من قبل، لكنها تقول أنها ملتزمة بنشر سياستها من خلال الوسائل السلمية والديمقراطية.

وتشير برقية أخرى صادرة هذه المرة فى 2006 أن عمر سليمان أخبر روبرت مولر مدير مكتب التحقيقات الإتحادى الذى كان يزور القاهرة فى فبراير 2006، بأن الإخوان المسلمين

ليست منظمة دينية ولا منظمة إجتماعية ولا حزبا سياسيا و إنما خليط من كل ذلك، وأن الخطر الرئيسى من وجهة نظر سليمان هو استغلال الجماعة للدين فى التأثير على الناس وحشدهم.

كان الإخوان المسلمون يعرفون بلا شك رأى عمر سليمان فيهم، ورغم ذلك لم يترددوا فى الجلوس معه أيام الثورة بحثا عن مكسب حتى ولو زهيد، ولما أيقنوا أن النظام انتهى لم يعيروا سليمان اهتماما، بل عندما نزل إلى الساحة مرة أخرى طاردوه، فهذه هى سمات الصداقة السياسية ... وكان عليه هو أيضا أن يطاردهم ولو بالتصريحات.

بعد رحيله من السباق الإنتخابى على رئاسة الجمهورية وجه عمر سليمان مدفعية ثقيلة لجماعة الإخوان المسلمين، من بينها ما أفرج عنه للكاتب اللبنانى جهاد الخازن ... الذى كتب أكثر من مقال عن عمر سليمان بعد خروجه من الإنتخابات وحتى وفاته.

أحد مقالات جهاد الخازن كان عنوانه « الإخوان مش هبل « - منشور فى جريدة الحياة اللندنية فى 20 مايو 2012، يقول فيه أن عمر سليمان يرى أن مصر الثورة تواجه ثلاث مشكلات رئيسية أهمها صعود التيار الدينى وامتلاكه شرعية، فالتيار الدينى لم تتح له فرصة من قبل ليزاول السياسة أو يفهم المجتمع، وقادته منغلقون على أنفسهم إذا وضعت مصر تحت حكمهم فستعانى كثيرا وقد تصل إلى صدام مجتمعى وعنف وخطر حرب أهلية.

رأى عمر سليمان أيضا كما أخبر جهاد الخازن فى جلسة امتدت ساعتين فى القاهرة أن التيار الإسلامى لا يملك كوادر قادرة على إدارة مؤسسات الدولة، ومع ذلك يريد السيطرة على مقدرات البلاد، وبما أن 40 بالمائة من المصريين فقراء، فإنه يسهل خداعهم بمساعدات مثل تأمين الولادة لحامل أو تقديم رز وسكر وما إلى ذلك من مواد غذائية.

يذكر الخازن أن عمر سليمان كان فى مواجهة مع جماعة الإخوان المسلمين فى الحكم وخارجه، وهو عنجما رشح نفسه للإنتخابات ثار الإسلاميون وهددوا بالعنف ادراكا منهم أنه صاحب الحظ الأوفر فى الفوز، وأصدروا «قانون عمر سليمان» فى أربعة أيام فقط من المناقشة (يقصد جهاد قانون العزل الذى لم توافق عليه المحكمة الدستورية بعد استبعاد سليمان من السباق الإنتخابى لأسباب إجرائية).

وقد يكون تذكير الخازن بهذا الصراع تمهيد للآراء التى أطلقها سليمان ضد الإخوان، فقد حذر من صراع مجتمعى إذا انتخب عضو فى التيار الإسلامى رئيسا، وأشار إلى خفض حضانة الطفل ومحاولة خفض سن الزواج للفتيات، وقرارات أخرى تعكس الإلتزام الدينى الذى لا حاجة للمجتمع فيه.

أما المشكلة الثانية التى يراها عمر سليمان فهى أن يكون الرئيس من التيار الإسلامى، لأنه سيرأس دولة دينية لم يعرفها المصريون من قبل، وقد تعود جماعات كانت محسوبة عليهم فى الماضى مثل الجهاد والجماعة الإسلامية والتكفير والهجرة، وبما أن الحدود مفتوحة مع ليبيا والسودان فهناك فرصة الحصول على السلاح، وهذا سيكون بأيدى جماعة تهدد بالرجوع إلى العنف إذا لم يسر المجتمع كما يريدون.

أما المشكلة الثالثة التى رأها عمر سليمان فهى القضية الفلسطينية وانعكاساتها على علاقات مصر مع الولايات المتحدة، رأى سليمان أن علاقات مصر الاستراتيجية مع الأمريكيين مهمة جدا لاستقرار مصر، كما حدث فى السابق وما هو مقبل، إذا ساءت العلاقة ستصبح مصر ألعن من باكستان وأفغانستان، وينظر إليها كبلد يصدر الإرهاب، ومن دون قرار سيادى فتخسر مصر دورها ويخسر جيشها الذى تمثل الأسلحة الأمريكية 70 بالمائة مما لديه، ويتم ضرب الإقتصاد، فهناك 500 مصنع ضمن برنامج الكويرز (المناطق الصناعية عالية المستوى) لتصدير البضائع إلى الولايات المتحدة يفترض أن تزيد.

سأل جهاد الخازن عمر سليمان بشكل واضح: هل يمكن أن يقع إنقلاب عسكرى إذا ما وصل الإخوان إلى الحكم؟، وكان رده: ممكن ... ممكن جدا، إنما الإخوان مش هبل، لذلك يعدون أنفسهم عسكريا، وخلال سنتين سيكون عندهم حرس ثورى لمحاربة الجيش، وتواجه مصر خطر حرب أهلية مثل العراق.

فى اليوم التالى مباشرة - 21 مايو 2012 - استكمل جهاد الخازن الإفراج عن أسرار عمر سليمان، فكتب تحت عنوان «أسكت عن الكلام المباح» ما قاله له سليمان من أنه يتمنى لو أن الشعب المصرى يعى حجم التحدى فى الإنتخابات الرئاسية، يبتعد عن أولئك الذين يسعون إلى مشروع إسلامى ينتج عنه صراع مجتمعى يزيد عزلة مصر، وقد يدفع إلى حرب مع إسرائيل من دون تخطيط.

دافع عمر سليمان عن المجلس العسكرى، ورأى أن أعضاءه لا يعرفون مدى دهاء الإخوان المسلمين ومناوراتهم، لقد خدعوا بالإخوان كتنظيم قوى يمكن أن يكون مطيعا، وكان الخطأ الأول أن المجلس اختار للجنة الدستور رئيسا من الجماعة وعضوا آخر (يقصد المستشار طارق البشرى والمحامى صبحى صالح) غير أن الإخوان ردوا دائما بتنظيم التظاهرات للضغط على المجلس وتحقيق مخططهم.

كانت كلمة عمر سليمان الأخيرة عن الإخوان قبل موته، أن من انتخبوا الإخوان هم من سيسقطونهم ... وقد تكون هذه نبوءة صادقة للرجل، بعد أن تحققت نبوءته عن الحرب الأهلية التى ستشهدها مصر على يد الرئيس القادم من التيار الإسلامى.

توقع سليمان ذلك بعد عامين من وصول الإخوان إلى السلطة، وهم فعلوا ذلك بعد ستة شهور فقط، وليس بعيدا أن يسقط من انتخبوا الإخوان الجماعة مرة أخرى بأسرع مما كان يتوقع عمر سليمان ويتمنى..وهى أمنية صديق سياسى للجماعة - رفضت أن تشارك فى جنازته لأن ذلك ليس مفروضا عليه - تحول إلى خصم عنيد، لكن الموت وحده هو الذى أنهى المعركة بينهم ... وهى معركة أظن كانت ستوجع الإخوان كثيرا لو خاضها ضدهم عمر سليمان، لكن يبدو أن الأقدار كانت رحيمة بالجماعة بأكثر مما ينبغى.

الفصل الخامس

5



العقرب السام

لم تكن مواجهة الإخوان المسلمين لعمر سليمان إلا مواجهة جبهة واحدة من جبهات تيار الإسلام السياسى للرجل الذى تخوف الجميع من صعوده مرة أخرى.

المواجهة الأكبر كانت من الجماعات الإسلامية التى لم يخف سليمان أنه كان يتابع أنشطتها فى الخارج بما لا يؤثر على الأوضاع فى مصر.

فى سياق حملة التشويه اجتهدت مواقع وصحف التيارات الإسلامية فى تحميل عمر سليمان كل خطايا الأرض مجتمعة، بل استنطقته ربما بما لم يقله، فينسب له موقع مفكرة الاسلام قوله: «مبارك كلفنى بالقضاء على الجماعات الإسلامية».

محرر مفكرة الإسلام أشار إلى أن سليمان اعترف بأن المخابرات كان لها دور داخلى فى القضاء على الجماعات الإسلامية مثل الجماعة الإسلامية، وجماعة الجهاد، بتكليف من الرئيس المخلوع مبارك، وكذلك عملت المخابرات على احتواء جماعة الإخوان المسلمين وتحجيمها ومنعها من التواصل مع باقى الجماعات الإسلامية.

الغريب أن الموقع الإسلامى استند إلى تسجيل صوتى لعمر سليمان، وبمراجعة هذا التسجيل، يتأكد أنه لم يقل ذلك، بل قال كلاما مختلفا تماما، فقد أشار سليمان إلى أن المخابرات لم تكن تعذب الجماعات الإسلامية وخصوصا الإخوان المسلمين، وليست هناك عداوة شخصية بينه وبينهم وهم لا يعرفونه، وكان مقتنعا بأنه لابد من احتوائهم، وأن يشكلوا حزبا مثل الحزب الوطنى، وأنه هو الذى بادر بالإتصال بالإخوان من أجل انقاذ مصر من الوضع المتردى.

هذا تقريبا هو ما أعلنه عمر سليمان عن علاقته بالجماعات الإسلامية، لم يتحدث بالطبع عن تفاصيل، فمقتضيات العمل فى جهاز المخابرات تستدعى ذلك، لكن الجماعات الإسلامية أسهبت فى الحديث عن إتهامات للرجل بأنه كان يعذب أفراد الجماعات الإسلامية بنفسه، وأنه تورط فى برنامج التعذيب بالوكالة لصالح المخابرات الإمريكية، بل قام بالإشراف على خطف أعضاء من الجماعات الإسلامية من أماكن مختلفة وزج بهم فى سجون مصر.

مات عمر سليمان دون أن يقدم دليلا واحدا على حسن علاقته بالإخوان والجماعات الإسلامية، وبقى أعضاء الجماعات الإسلامية يتحدثون عن عداءه لهم دون أن يقدموا أى دليل على ذلك أيضا..اكتفوا بالصراخ والتحدى فقط.

لقد كان عمر سليمان مفزعا لأعضاء الجماعات الإسلامية، عندما أعلن أنه قرر ترشيح نفسه فى الإنتخابات الرئاسية لمواجهة نفوذ جماعة الإخوان المسلمين، وأنه سينزع العمامة التى يريد الإسلاميون وضعها على رأس مصر.

قال نصا فى رده على سؤال من جريدة الأهرام عن أسباب ترشحه للرئاسة: «إذا أراد الله أن أتولى منصب الرئيس فسأكون خادما لمصر وشعبها، لأعيد إلى الدولة هيبتها التى يحاول البعض اضاعتها بالقوة».

لم ينصت أحد إلى دوافع عمر سليمان، الذى كان يرى أن وصول الإسلاميين إلى السلطة فى مصر خراب وتخريب لها، لم يكن عمر سليمان يواجه الإسلام كما أدعوا، ولكنه كان يواجه من يسوقون أنفسهم على أنهم الإسلام والفارق كبير للغاية.

المدفعية الثقيلة ضد عمر سليمان جاءت من عبود الزمر أحد الذين شاركوا فى إغتيال الرئيس السادات بالمباركة والدعم والتأييد، ففى مؤتمر عقدته الجماعات الإسلامية فى ساحة مسجد الرحمن بالمنيا فى إبريل 2012 تحدث الزمر.

قال: عمر سليمان استغل انشغال القوى السياسية بالإنقسامات الداخلية وخرج علينا بثوب جديد وكأنه لا علاقة له بنظام مبارك، ونسى أنه الضابط الأول فى مخابرات المخلوع الذى ساعد على سفك الدماء وكانت مواقفه خطيرة من قضية فلسطين، حتى أنه هدد قيادات حماس

بالإعتقال إرضاء لإسرائيل، والعجيب أنه استطاع أن يجمع 50 ألف توكيل من المخبرين، ولكن الشعب منتبه لهذه الألأعيب ... وسيقول لهذا الرجل: لا.

مؤتمر المنيا حضره من قيادات الجماعات الإسلامية الشيخ أسامة حافظ عضو مجلس شورى الجماعة الإسلامية، ومحمد شوقى الإسلامبولى شقيق خالد الإسلامبولى قاتل السادات، وفؤاد الدواليبى ورجب حسن مسئول الجماعة الإسلامية بالمنيا، وبدا من الهتافات التى رددها المشاركون فى المؤتمر أنهم كانوا يقصدون رأس عمر سليمان ولا أحد غيره، فقد هتفوا: يا سليمان يا سليمان مصر هتحكم بالقرآن، وارجع ارجع يا سليمان ... الثوار نزلوا الميدان.

الشيخ فؤاد الدواليبى أخذ من هتافات أعضاء الجماعة الإسلامية الحماسية زادا ليتحدث، قال: إن عمر سليمان هو صاحب المنظومة الأمنية الحديدية، وهو الرجل الأول لأمريكا واسرائيل والدول الغربية، لأنهم يرتاحون فى التعامل معه فى قضية فلسطين، وهدد كثيرا من أبناء حماس فى مصر بالإعتقال لصالح اسرائيل، وكان يجب أن تتم محاكمته مع نظام مبارك، ومن المخزى أننا وجدنا الحرس الجمهورى يرافقه أثناء ذهابه إلى لجنة إنتخابات الرئاسة للترشح، ليكون هذا بمثابة رسالة قوية بأن هذا الرجل حصل على أمر بالترشح.

وختم الدواليبى كلامه بنداء: يا أحزاب ويا إخوان ويا سلفيين ويا أوقاف اعتصموا ولا تفرقوا فطالما أن عمر سليمان جاء دون رغبة الشعب، فليس من المستبعد أن يتم تزوير الإنتخابات لصالحه.

هذه الدعوة إلى الإعتصام ترجمها جهادى آخر لم يكن حاضرا مؤتمر المنيا، لكنه تحدث من الأسكندرية، فقد أقسم الشيخ مصطفى الشبراوى المتحدث باسم الجماعة الإسلامية فى مؤتمر عقدته الجماعة وعدد من القوى الإسلامية أمام المنطقة الشمالية العسكرية بالأسكندرية ألا يصل عمر سليمان إلى حكم مصر إلا على جثة آخر رجل فى الجماعة الإسلامية.

مبرر الشيخ مصطفى لرفض عمر سليمان لم يكن بسبب تعذيبه أو اضطهاده للجماعات الإسلامية، لكنه قال قولا آخر، قال: كيف يتصور عمر سليمان أن الشعب المصرى يمكن أن يرشحه وهو الذى كان مسئولا عن أزمة المياه التى وقعت بمصر من خلال فتحه الباب على مصراعيه للخلافات مع الدول الإفريقية لتتمكن إسرائيل من بناء سدود فى إثيوبيا والحصول

على مياه النيل، ثم أنه كان مسئولا عن مخطط تقسيم السودان وحصار غزة وتصدير الغاز لإسرائيل.

* * *

كلام كله مطلق بلا دليل، لكنه راق فى النهاية لمن يخافون من عمر سليمان، وأصبح الرجل بين يوم وليلة الخصم الأول والأكبر للجماعات الإسلامية.

مضى عمر سليمان دون أن يتحدث، وبقى أعضاء الجماعات الإسلامية يتهمونه بلا دليل، وليس أمامنا إلا أن نعرف بعضا مما جرى، وبعضا مما قام به سليمان ضد الجماعات الإسلامية وهو المسئول الأول عن جهاز المخابرات فى مصر.

الإجابة ليست مصرية بالمرة، لكنها من عند المؤرخ الأمريكى الشهير «أوين إل سيرس» الذى قدم لنا كتابه «تاريخ المخابرات المصرية»..وقامت الزميلة يسرا زهران بترجمة بعض أجزاءه ونشرت منه حلقة واحدة، بعدها توقف النشر بعد تدخل عدة جهات، وهذه قصة لن يتأخر توثيقها.

فى الكتاب يشير «أوين» إلى أن نهاية الموجة الإرهابية التى أطلقتها الجماعة الإسلامية فى التسعينات، مجرد بداية لعهد جديد فى مجتمع الأمن القومى المصرى، حيث صارت مصر تواجه أخطارا جديدة تأتى من كوادر الجهاد الإسلامى التى لجأت للإختباء فى دول مثل باكستان وأفغانستان وألبانيا وغيرها من الدول، وهنا أدركت مصر أن حربها ضد الإرهاب لابد أن تنتقل خارج حدودها، وكان طبيعيا أن يكون جهاز المخابرات العامة هو المحارب الرئيسى ... ويكون عمر سليمان هو قائد هذه الحرب متحملا - ربما وحده - عبء وتبعات هذه المعركة.

فى بدايات هذه الحرب أدركت المخابرات العامة - كما يقول أوين - أن كوادر جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية كانت تلجأ إلى عدد من الدول العربية مثل السودان واليمن، وفى اليمن كانت العلاقة الوثيقة بين الأصوليين والمخابرات اليمنية تثير أعصاب المخابرات المصرية.

كانت المخابرات العامة تعرف أن الحكومة اليمنية لديها تاريخ من استخدام العرب الأفغان لمحاربة الإنفصاليين فى الجنوب عام 1994، وظل ضباط المخابرات اليمنية على

علاقاتهم الوطيدة بكل من تنظيم الجهاد وتنظيم القاعدة، لكن ورغم كل هذه التحفظات تم توقيع إتفاقية شراكة بين أجهزة المخابرات فى مصر واليمن عام 1995.

أطلقت المخابرات العامة على الدول التى تحمى كوادر الجماعات المتطرفة «الجنات الآمنة» ... وأدركت أن القضاء على هذه الجنات الآمنة التى يعتبرها الإرهابيون ملاذا آمنا للممارسة نشاطاتهم، كان أمرا حيويا للقضاء على التهديد الإرهابى، كان هذا دقيقا جدا فى حالات السودان واليمن وربما العديد من دول الخليج التى وجد فيها الإرهابيون الملجأ الآمن والتمويل.

وكخطوة أولى فى تحقيق ذلك عقدت المخابرات المصرية اتفاقيات أمنية مشتركة مع عدة دول عربية، اشتملت على بنود عدة منها تبادل المعلومات وتسليم المشتبه فيهم، وكانت هناك بعض الآثار الإيجابية لهذه الإتفاقيات بالفعل، فبين عامى 1994 و 1995 تسلمت مصر ما يقرب من 68 مشتبها فيهم من ثلاث دول عربية، وأسفر الضغط المصرى - الأمريكى عن إقناع الحكومة السعودية بإسقاط الجنسية السعودية عن أسامة بن لادن.

الجنات الناعمة لم تستقر على أراضى بعض الدول العربية فقط، بل امتدت إلى العديد من الدول الأوربية، وعلى مدى التسعينات اتصلت المخابرات العامة بأجهزة مخابرات فى دول أوربية تطلب منها تسليم أو اعتقال أو على الأقل مراقبة الأصوليين الإسلاميين المقيمين لديهم ... لكن التجارب أكدت - كما أشار أوين - أن الأوربييون لم يستجيبوا للمصريين إلا فى حالات نادرة جدا.

لقد رفضت بريطانيا تسليم ياسر السرى عضو جماعة الجهاد والمتهم فى عدة محاولات إغتيال لشخصيات عامة إلى القاهرة، بل إنها استهانت كثيرا بتحذيرات القاهرة من عمليات إرهابية تخطط لها القاعدة فى بريطانيا ... وهو ما أغضب القاهرة كثيرا.

لم تكن بريطانيا وحدها هى التى تلقت طلبات من القاهرة بالتعاون فى مجال المخابرات، فرنسا أيضا دخلت على الخط، وقد ساعدت فى تعقب عدد من الأصوليين المطلوبين لديها فى التسعينات.

هذا النشاط المكثف كانت له وجوه سلبية بالطبع، فقد تسربت أخبار تتبع المخابرات المصرية للإرهابيين الهاربين فى أوربا، وهو ما ساعد فى إنتشار شائعات - هكذا يصفها أوين - تؤكد وجود فرق موت من الأمن القومى المصرى، يتم إرسالها إلى الخارج لتعقب وتصفية الإرهابيين المصريين.

ما يؤكد أن ما قيل كان مجرد شائعات أن الجماعات الإسلامية لم تقدم أحدا على أنه قتل على يد فرق الموت هذه، أو كما أطلق عليها كمال الهلباوى المتحدث السابق باسم جماعة الإخوان المسلمين فى الخارج - فى لقاء معه - فرق قنص، بل يشير أوين إلى أن هذه الشائعات أثارت مخاوف الإرهابيين فقرروا الرد بطريقتهم، وكانت النتيجة أن تم إغتيال دبلوماسى مصرى فى جنيف بسويسرا فى نوفمبر 1995، قيل إنه كان ضابط مخابرات متخفيا، وكانت مهمته الأساسية مراقبة اللاجئين السياسيين فى أوربا.

لعبت المخابرات المصرية بقيادة عمر سليمان كذلك دورا كبيرا فى مطاردة أسامة بن لادن ورجله الأول أيمن الظواهرى، وأعتقد أن عداء الجماعات الإسلامية لعمر سليمان الشديد يأتى من محاولاته الإيقاع بأسامة بن لادن والظواهرى ... فبعد الثورة بدا أن هناك جماعات كثيرة فى مصر تعتبر بن لادن نبى آخر الزمان، رفعت صوره فى ميدان التحرير، بل ظهرت القاعدة بشكل واضح فى مظاهرات هذه الجماعات.

كتاب أوين عن تاريخ المخابرات المصرية يكشف كثيرا مما فعله عمر سليمان بالقاعدة ورجالها ... من ذلك مثلا ما قاله مدير المخابرات المركزية السابق جورج تينت أمام لجنة التحقيق فى أحداث 11 سبتمبر من أن أجهزة الإنذار كلها وصلت إلى حدودها القصوى فى صيف 2001، وكانت أبرز هذه التحذيرات آتية من المخابرات العامة المصرية.

ففى يونيو 2001 حذرت المخابرات المصرية من أن القاعدة تنوى مهاجمة أهم 8 رؤساء فى العالم، بمن فيهم الرئيس بوش خلال اجتماع قمة دول الثمانى فى جنوه بإطاليا، وكان الرؤساء الثمانية هم رؤساء أمريكا وفرنسا وبريطانيا وألمانيا وروسيا وإيطاليا واليابان وكندا.

مبارك بنفسه دخل على الخط، فقد أخبر المسئولين الأمريكان بإمكانية استخدام القاعدة

لطائرة محملة بشحنات متفجرة لإغتيال الرؤساء الثمانية، لكن بعض المسئولين الأمريكان تلقوا هذه التحذيرات باستخفاف وأشاروا إلى أنها عامة ولا يمكن الاستفادة منها.

لم تقدم المخابرات المصرية معلومات تفصيلية أو تحديد لأهداف القاعدة فى أمريكا، لكنها فى يوليو 2001 أشارت إلى أن القاعدة تستعد لشن هجمات على المصالح الأمريكية فى الخليج العربى، كما قدمت تحذيرات حول هجمات محتملة لتنظيم القاعدة ضد مصالح أمريكية ... ورغم كل ذلك إلا أن ما جرى فعلا أن تنظيم القاعدة أثبت أنه هدف يصعب الوصول إليه ... كانت التحذيرات قائمة لكن القاعدة ضربت فأصابت.

فى صيف 2001 قدمت المخابرات المصرية معلومات للمخابرات الأمريكية عن مكان وجود أيمن الظواهرى الرجل الثانى فى تنظيم القاعدة، والساعد الأيمن لأسامة بن لادن، كان الظواهرى وفقا لمعلومات المخابرات المصرية فى مستشفى بصنعاء اليمن، ورغم أن المخابرات الأمريكية وضعت رقابة مشددة حول أيمن إلا أنه استطاع أن يفر من هذه الرقابة إلى أفغانستان ليلحق بأسامة.

بعد صاعقة 11 سبتمبر جرت اتصالات بين ضباط المخابرات المركزية الأمريكية ورجال المباحث الفيدرالية بنظرائهم فى مصر، لمعرفة معلومات عن مختطفى الطائرتين اللتين استخدمتا فى الهجوم على مركز التجارة العالمى فى نيويورك.

ففى 13 سبتمبر 2001 تلقى الملحق القانونى للمباحث الفيدرالية فى القاهرة معلومات من مصادر لجهاز أمن الدولة حول العقل المدبر لهجمات سبتمبر محمد عطا، وتم إرسال هذه المعلومات إلى المقر الرسمى للمباحث الفيدرالية الأمريكية، حيث انضمت إلى ملفات عن منفذى هجمات سبتمبر.

فى مقابل هذه المعلومات حصلت المخابرات المصرية على حق الوصول إلى المعتقلين العرب الذين يقعون فى قبضة الولايات المتحدة فى أفغانستان، وكان الأهم من ذلك أن المخابرات المصرية ضمنت استغلال شبكة المخابرات المركزية لتحديد مواقع المصريين الهاربين المشتبه فيهم، وأن تقيم شبكة إتصالاتها مع باقى أجهزة المخابرات فى العالم، وأن تطالب بتسليم الأصوليين المصريين المشتبه فيهم.

التعاون بين المخابرات المصرية والأمريكية فيما يخص قيادات الجماعات الإسلامية لم يبدأ بعد أحداث 11 سبتمبر، لكن يمكن أن نقول أنه تعاظم ... ويمكن أن نرصد بعض ملامح هذا التعاون التى بدأت مبكرا.

نبدأ من 26 فبراير عام 1993 ... فى هذا اليوم كانت هناك محاولة تفجير إرهابى لمركز التجارة العالمى فى نيويورك، وفى هذا اليوم تحديدا تم إطلاق مرحلة جديدة فى تعاون المخابرات المصرية والأمريكية، فقد قدمت المخابرات المصرية مساعدات عديدة للمخابرات الأمريكية والمباحث الفيدرالية أثناء التحقيق فى المحاولة الإرهابية، وكان من ذلك تحديد موقع أحد المشتبه فيهم واعتقاله، وكان اسمه محمود أبو حليمة، كما قدمت المخابرات المصرية معلومات مهمة حول أحد العقول المدبرة للعملية الإرهابية الأولى ضد مركز التجارة العالمى وهو رمزى يوسف الذى فر إلى باكستان.

بعد أقل من شهرين وبسبب المعلومات التى قدمتها المخابرات المصرية للمخابرات المركزية قدم فى إبريل 1993 مدير المخابرات المركزية «جيمس وولسى» وبصحبته 20 خبيرا أمريكيا من وكالته المتخصصين فى شئون مكافحة الإرهاب.

الهدف من الزيارة كان عقد إجتماعات مع المخابرات العامة وأمن الدولة فى مصر ... وفى هذا الشهر تحديدا ضغط مبارك وبقوة على باكستان حتى تتعاون مع مصر فى تسليم الإرهاريين الموجودين على أرضها، وعلى رأسهم بالطبع أيمن الظواهرى ... ولم يكن غريبا أن هذا الضغط تم من خلال فريق مشترك من المخابرات المصرية والأمريكية توجه إلى باكستان للتفاوض مع المخابرات الباكستانية للحصول على معلومات عن أكثر من 300 مصرى مقيمين فى بيشاور.

ومن العام 1993 ينتقل «أوين» إلى العام 1998، فحتى هذا العام كان تعاون المخابرات المركزية المصرية فى مجال تبادل المعلومات والاستفادة من تكنولوجيا وخبرات الولايات المتحدة، كلا الجانبين عمل فى مجال تحديد مواقع الإرهابيين خاصة من ذوى الأصول المصرية، وكشف شبكة التعاملات المالية لهم، وكذلك متابعة الدور المتزايد لأسامة بن لادن كممول للعمليات الإرهابية، فمثلا تعاونت المخابرات المصرية مع الأمريكية فى أوائل التسعينات لمراقبة معسكرات تدريب الإرهابيين التى أنشأها بن لادن فى الخرطوم.

حاولت أمريكا مرتين أن تجس نبض القاهرة، ومدى قبولها لتقديم أسامة بن لادن للمحاكمة واعتقاله مرتين على الأقل، لكن كان المصريون حذرين فى أمر تقديم بن لادن لمحاكمة علنية، وعرضوا على الأمريكان تصفية بن لادن بدلا من ذلك.

وينقل «أوين» عن «إدوارد واكر» سفير أمريكا السابق فى القاهرة، ما قاله من أن المخابرات المركزية قامت بتدريب فرقة قوات مصرية متخصصة فى مكافحة الإرهاب حتى تم إغلاق ذلك البرنامج عام 1998، ولا ينكر «واكر» أنه هو والمخابرات المركزية كانوا يتعاملون بحذر فى مسألة تدريب قوات مصرية خاصة،لكنه شبه تلك القوات بأنها كانت أقرب إلى فرق موت مهتمها القتل والتصفية وليس فريق إعتقالات مهمتها التأديب والإعتقال.

لا زلنا فى العام 1998، ففى يوليو من هذا العام توصل فريق مشترك من المخابرات المركزية والمخابرات الألبانية إلى أن هناك خلية تابعة لتنظيم الجهاد تقوم بتزوير جوازات السفر وتحويل الأموال و إقامة معسكرات تدريب فى ألبانيا، تم إعتقال وترحيل أربعة من أفراد هذه الخلية على الأقل إلى المخابرات العامة، التى تولت استجوابهم، وكان من ضمن الإعترافات التى أدلوا بها، اعترافهم بخطة تنظيم الجهاد لإنزال فريق خاص على سطح سجن العقرب لإطلاق ثورة داخلية بواسطة السجناء هناك.

وكانت الخطة الثانية التى كشفت عنها اعترافات المتهمين هى محاولة الجماعة الإسلامية إقناع بن لادن بالإنتقال إلى صعيد مصر، ليختبئ هناك بعد أن يقوم بإجراء عملية تجميل لتغيير بعض ملامحه، إلا أن أيمن الظواهرى أشار عليه بعدم الإستجابة لهذه الخطة، ونجح فى إقناع بن لادن بعدم الذهاب إلى الصعيد خوفا من قدرات المخابرات العامة وكفاءتها الشديدة خاصة عندما تتعامل مع أعداء على أرضها.

على هامش هذه العمليات وعمليات أخرى غيرها انحاز المؤرخ الأمريكى «أوين إل سيرس» إلى أن المخابرات العامة المصرية لعبت دورا شديد الأهمية فى اختراق الجماعات الإرهابية، فى الوقت الذى كانت فيه المخابرات الأمريكية تفتقر إلى «ضباط الحالة» أو «ضباط الميدان» الذين يملكون الخبرة الكافية أو الخلفية المناسبة للتعامل مع ثقافات ولغات الشرق الأوسط، وكانت غالبا ما تلجأ إلى ضباط المخابرات المصرية لسد تلك الثغرة.

فقد كانت المخابرات المصرية على عكس الأمريكية تمتلك خبرة واسعة فى التعامل مع جماعة الجهاد التى كانت تمثل أهم عنصر وربما العنصر المؤثر الوحيد فى تنظيم القاعدة، وكانت النتيجة أن المخابرات المركزية قدمت - دون شك من أوين بالطبع - التمويل اللازم والتكنولوجيا المطلوبة لمساعدة المخابرات المصرية على اختراق تنظيم القاعدة.

* * *

هذه العلميات وغيرها بالطبع كفيلة بأن يكره أبناء الجماعات الإسلامية عمر سليمان، فرغم أنها كانت تعبير عن سياسة دولة كاملة رأت فى الإسلاميين خصما شرسا يصارع من أجل الوصول إلى السلطة، ويضرب نظام مبارك فى العمق حتى يقضى عليه، إلا أن الجماعات الإسلامية وضعت الجرس فى عنق عمر سليمان وحده واعتبرته المسئول عن كل هذه العمليات، ولم يكن غريبا أن ينسج أبناء الجماعات الإسلامية كثيرا من الأساطير حول وحشية عمر سليمان وعن استمتاعه بتعذيب خصومه بنفسه، دون أن يخرج علينا أحد ليقول أن سليمان شارك فى تعذيبه بنفسه.

لكن هنا محطة لابد أن أتوقف عندها قليلا قبل مواصلة الرحلة التى تجمع عمر سليمان والجماعات الإسلامية، فبعد أن نشرنا فى جريدة الفجر - وقتها كنت نائبا لرئيس تحريرها - الحلقة الأولى من كتاب «أوين» انبعثت موجات الكهرباء فى كل الأسلاك الموصلة للجريدة.

تلقيت اتصالا هاتفيا من الباحث والكاتب عبد الرحيم على الذى كنت أعرف علاقاته الوثيقة بدوائر عديدة ومختلفة لصنع القرار فى مصر، قال لنا أن الجماعة زعلانين جدا من المنشور عن جهاز المخابرات، وأنه سيكتب عن العمليات الحقيقية التى قام بها جهاز المخابرات المصرية، لأن مؤلف الكتاب الأمريكى « أوين» أصلا مغمور ولا أحد يعرف عنه شئيا، وكل المعلومات التى نشرها ليست دقيقة.

بعد نقاش لم يطل أخذنا قرارا بوقف نشر حلقات جديدة من كتاب «أوين» و نشر حلقات عبد الرحيم على عن عمليات المخابرات المصرية - استمرت لأربع أسابيع وأعتقد أن أحدا لم يلتفت لها -.

أدركت من اللحظة الأولى أن عبد الرحيم على تلقى تكليفا بنشر تلك الحلقات عن عمليات المخابرات المصرية، والدليل أنها جاءت شبه رسمية، وكأن الجهاز ينشر ما يريده ويخفى ما يشاء، بعد أن شكك فى كل ما قاله أوين عن عمليات تثبت كفاءة وجدارة جهاز المخابرات العامة المصرية.

وقتها كان مبارك فى رحلته العلاجية الأخيرة فى ألمانيا - يوليو 2010 - وعندما نشرنا عن معارك وحروب المخابرات المصرية تم تفسير الأمر على أنه يمكن أن يكون تلميعا لعمر سليمان، وأن هناك من يدفع بالرجل ليصبح رئيسا للجمهورية، وأن جهاز المخابرات تحرك من أجل هذا لمنع نشر بقية الحلقات.

لكن فى مساحة التحليل الأعمق فإننى أعتقد أن سبب المنع لم يكن بسبب ما يمكن أن تثيره الحلقات من حساسية بين مبارك وسليمان، ولكن لأن الجهاز رأى أن كثيرا من عملياته السرية أصبح على المشاع، ثم أن كل العمليات المنشورة كانت ضد الجماعات الإسلامية، ولم يكن من الصائب أن يظهر الجهاز بكل هذا العداء للجماعات الإسلامية، ولهذا تم المنع.

* * *

بعد وفاته نشرت «جاين ماير» فى صحيفة «نيويوركر» الأمريكية تقريرا مطولا عن عمر سليمان أشارت فيه إلى أنه كان رجل وكالة المخابرات الأمريكية فى مصر لتنفيذ برنامج الترحيل القسرى، وهو البرنامج الذى تقبض بموجبه المخابرات الأمريكية على الإرهابيين المشتبه فيهم حول العالم وترسلهم إلى مصر للخضوع لإستجواب وحشى فى أغلب الأحيان.

هذه مساحة من المساحات التى يتقاطع فيها عمر سليمان مع الجماعات الإسلامية، والأمر ليس تعذيبا بالوكالة فقط، ولكن هناك أيضا الإختطاف القسرى ... وهناك حالة لكل منهما ... وفى كل حالة يأتى اسم عمر سليمان مقرونا بهما.

نبدأ بالتعذيب بالوكالة وهو مبدأ أمنى يقوم على فلسفة أنه: «إذا تحتم عليك القيام بقذارة، فلتدع غيرك يقوم بها»، وهى جملة وردت ضمن حوار الفيلم الشهير «الأب الروحى» لكن يبدو أن المخابرات الأمريكية قررت أن تخرجها إلى الواقع ... فقد رأت أنه ليس من المناسب

أن تلوث يديها فى انتهاكات حقوق الإنسان على أرضها، طالما أن هناك دول مستعدة للقيام بذلك بالفعل.

ارتبط التعذيب بالوكالة بحرب أمريكا على الإرهاب، حيث كانت تقوم بتصدير المطلوب نزع إعترافات منهم بأى طريقة ممكنة إلى دول العالم الثالث ومن بينها مصر للحصول على هذه الإعترافات ... مقابل خدمات كثيرة منها بالطبع غض الطرف عن نظام مستبد لا يتورع عن قمع شعبه من أجل استمراره فى الحكم حتى آخر نفس فى صدره.

المثال الحى على التعذيب بالوكالة هو «أبو عمر المصرى».

فى 10 نوفمبر 2006 نشرت « الواشنطن بوست» الأمريكية أجزاءا من 11 صفحة هربها أحد المعتقلين من محبسه، كان هو الداعية الإسلامى الذى يحمل الجنسية الإيطالية حسن مصطفى أسامة نصر المعروف بأبو عمر المصرى.

كان قد تم إختطاف أبو عمر من شوارع مدينة ميلانو الإيطالية من قبل عملاء للمخابرات الأمريكية والبوليس السرى الإيطالى، وقد كتب هو عن لحظات إختطافه تلك: «لم استوعب ما الذى يجرى، لقد بدأوا يلكمون بطنى وسائر جسمى، لقد لفوا رأسى ووجهى بشرائط عريضة، وثقبوا ثغرات قبالة فمى وعينى حتى أتمكن من التنفس».

بعد اختطافه نقل إلى ألمانيا عبر طائرة نقل عسكرية تحمل اسم «سبير 92» ومنها إلى مصر على متن طائرة «جولف ستريم»، كان ذلك فى 17 فبراير 2003، وقد ظل فى سجنه المصرى ما يقرب من 14 شهرا، كما يقول هو: فى زنزانة تفتقر إلى النور، كانت الصراصير والجرذان تزحف فيها على جسده.

فى تقرير الواشنطن بوست عن أبو عمر المصرى إشارات إلى ما جرى معه فى الزنزانة المصرية، فقد تم تعليقه بلوح حديدى «العروسة» وكان يصعق بمسدسات صاعقة، وتم ربطه بفراش رطب على الأرض، وبينما كان أحد المستجوبين يجلس على كرسى خشبى، كان مستجوب آخر يضغط على مفتاح الكهرباء ويمد رفاصات الفراش بشحنات كهربائية ... ولم ينس تقرير أصدرته منظمة العفو الدولية - منشور على موقعها الإليكترونى فى 16 نوفمبر 2006 - أن يشير إلى أنه تم إخضاع خصيتى أبو عمر المصرى للصدمات الكهربائية.

بعد وفاة عمر سليمان تحدث أبو عمر المصرى.

قال أن عمر سليمان لا يستحق جنازة عسكرية لما سببه من آلام لآلاف المصريين الذين تم تعذيبهم فى سجون المخابرات المصرية، وأن التاريخ سوف يذكر الدماء التى أراقها سليمان فى تعذيب الفلسطنيين والعديد من المصريين.

حاول أبو عمر ألا يكون كلامه مجرد إتهامات فى الهواء، فقال أنه تقدم ببلاغ إلى القضاء العسكرى وضد جهاز المخابرات المصرية يتهمهم فيه بتعذيبه على مدار 7 شهور بعد خطفه من ميلانو عام 2003، بناء على اتفاقيات مع جهاز المخابرات الأمريكية على أساس تلقى مسجونين وتعذيبهم فى السجون المصرية لإجبارهم على الإعتراف فيما سمى بالسجون الطائرة.

ورغم أن المخابرات المصرية نفت تماما معرفتها بأبو عمر المصرى، ورغم أن مصادر أمنية عديدة نفت تماما أن يكون هناك ما يمكن تسميته بسجون المخابرات العامة، إلا أن أبو عمر يشير إلى أن هناك 25 شخصا من جنسيات مختلفة تم خطفهم من دول مختلفة وكانوا ضمن المعتقلين فى سجون المخابرات، وأنهم يعرفون ما جرى له ... وزاد على ذلك أنه يملك الأدلة على أنه أعتقل فى سجون المخابرات المصرية بإشراف رئيسها عمر سليمان.

لم يذكر أبو عمر أسماء من تم إعتقالهم معه، لكن هناك إشارة إلى طلعت فؤاد قاسم الذى يترجم لنا ما يسمى بالإختطاف القسرى.

يعرف طلعت داخل الجماعات الإسلامية داخل مصر وخارجها بـ«أبي طلال القاسمى» ... ولد فى قنا - نفس محافظة سليمان - فى العام 1957، تخرج من كلية الهندسة قسم الميكانيكا سنة 1988، انضم إلى الجماعة الإسلامية وكان من بين أبرز دعاتها ووصل إلى أن يكون أحد أعضاء مجلس الشورى بها، وتولى إمارة الجماعة بجامعة المنيا ... وكان هو من أقنع الشيخ عمر عبد الرحمن بتولى إمارة الجماعة الإسلامية.

فى العام 1981 كانت المرة الأولى التى دخل فيها فؤاد المعتقل، ضمن من اعتقلهم السادات من كل الأطياف السياسية فى سبتمبر بحجة أنه يريد استرداد سيناء كاملة وبعدها يفرج

عنهم، ووصل عددهم 1536 معتقلا ... ولم يخرج فؤاد من السجن إلا فى العام 1988، حيث حكم عليه بالسجن سبع سنوات ضمن قضية تنظيم الجهاد.

لم يستمتع فؤاد بحريته طويلا، فبعد خروجه من السجن بفترة وجيزة أعيد إعتقاله مرة أخرى، لكنه قبل أن يصل إلى السجن استطاع أن يهرب من سيارة الترحيلات، واختفى لشهور داخل مصر قبل أن يغادرها بشكل نهائى إلى أفغانستان للمشاركة فى الجهاد ضد الغزو السوفيتى، وكان من بين ما قدمه هناك إصدار مجلة «المرابطون» وهى أول مجلة تتحدث بلسان الجماعة الإسلامية.

بعد أفغانستان حاول فؤاد قاسم أن يدخل البوسنة والهرسك للمشاركة فى الدفاع عن المسملين الذين كانوا يتعرضون لحرب إبادة على يد الصرب ... وكانت البوسنة والهرسك هى المحطة التى تم اختطافه منها.

كان نشاط فؤاد قاسم ملفتا للإنتباه فى أفغانستان - وأنا هنا أستند إلى ما كتبه رفاقه من الجماعات الإسلامية - ولست فى حاجة إلى التأكيد على أن شهادتهم بالطبع مجروحة لكن هذا ما قالوه - ويسجل القيادى السابق فى الجماعة الإسلامية أسامة رشدى تفاصيل عملية إختطاف فؤاد، بعد أن سبب قلقا شديدا لأجهزة المخابرات العالمية.

يقول أسامة رشدى أن قاسم كان حاصلا على حق اللجوء السياسى فى الدنمارك، ووصل إلى العاصمة الكرواتية «زغرب» بتأشيرة نظامية حصل عليها من سفارة كرواتيا فى بروكسل على وثيقة سفره الدنماركية، وقد منح التأشيرة بعد فترة انتظار دامت عدة أسابيع تمت فيها الموافقة على منحه تأشيرة دخول من وزارة الخارجية الكرواتية، حيث جرى اعتقاله فى نفس الليلة التى وصل فيها بمعرفة المخابرات العسكرية الكرواتية بأوامر من المخابرات الأمريكية.

كان قاسم فى ليلة القبض عليه يقيم فى غرفة أجرها فى منزل عراقى، كان جارا للمترجم الكرواتى من أصل فلسطينى الذى استقبل قاسم فى المطار، وكان يفترض أن يرافقه فى رحلته القصيرة إلى كرواتيا والبوسنة، حيث رتب له هذا المبيت بعدما فشلوا فى إيجاد غرفة فى أحد الفنادق فى تلك الليلة، حيث كانت المدينة تشهد معرضا تجاريا أدى إزدحام الفندق.

مضت سنوات دون أن يدرى أحد شئيا عن طلعت شئيا، لكن مسئول كرواتى هو «ميروسلاف توجمان» منسق المخابرات الكرواتية اعترف بشكل علنى بخطف قاسم بأوامر مباشرة من المخابرات الأمريكية.

يقولون «إذا اختلف اللصان ظهرت السرقة» ... وقتها نشب خلاف بين المخابرات الأمريكية والكرواتية، بعد رفض الأمريكان تقديم وثائق لتبرئة الجنرال «أنتى جوتوفينا» الذى يعتبره الكروات بطلا قوميا، وكان الرجل مطلوبا لمحكمة جرائم الحرب فى لاهاى بسبب جرائم تتعلق بتصفية عدد من الصرب أثناء عملية تحرير الجيب الكروات فى كرابينا عام 1995، ولم يتم إعتقاله إلا فى وقت متأخر.

بدأت الحرب، اتهم منسق المخابرات الكرواتية واشنطن بأنها خرقت قرار حظر بيع الأسلحة لجمهوريات يوغوسلافيا السابقة، والذى فرضه مجلس الأمن الدولى، وأنها هى من قدمت الأجهزة العسكرية المتطورة ومساعدات عسكرية لكرواتيا، بل وشارك بعض الضباط الأمريكان فى معركة العاصفة عام 1995، وفيها تمكن الكروات من تحرير أراضيهم فى كرابينا من المتمردين الصرب.

ثم جاء الإعتراف الأهم هنا، حيث كشف منسق المخابرات الكرواتى أن أجهزته قامت بإعتقال المتهم المصرى أبو طلعت أحد قادة الجماعات الأصولية، عندما دخل كرواتيا متجها إلى البوسنة بجواز سفر دنماركى بناء على طلب من وكالة المخابرات الأمريكية، وتم تسليمه للسلطات المصرية بشكل سرى.

أسامة رشدى قيادى الجماعة الإسلامية يجمل ما جرى لطلعت فؤاد قاسم يقول نصا: المخابرات الدنماركية كانت على علم كامل بوقائع ما حدث، ولكنهم تستروا عليه رغم أن أبو طلال يعد مواطنا لديهم، وقد صرح مسئول سياسى لجريدة «POLITIKEN» الدنماركية فى 6 نوفمبر 1995 أن الأمريكان سلموا طلعت فؤاد قاسم للمخابرات المصرية.

أما كيف حدث هذا فيقول رشدى للمرة الأخيرة: كانت أجهزة الاستخبارات العسكرية الكرواتية قد أوقفت طلعت فؤاد قاسم الذى وصلها فى 12 سبتمبر إلى زغرب قادما من امستردام، وسلمته إلى عناصر من «FBI» فى قاعدة كرواتية، ونقل بعد ذلك إلى السفينة الحربية

«إم إس جونسون» فى بحر الأدرياتيك حيث خضع للإستجواب، ومنها إلى السفينة المصرية السامر ثم إلى مصر.

من العام 1995 وأعضاء وقيادات الجماعة الإسلامية يحملون سؤالا واحد وهو من المسئول عن قتل طلعت فؤاد قاسم، ورغم أن الجماعة الإسلامية بعد الثورة درست تحريك دعوى قضائية تتهم عمر سليمان بالتورط فى تصفية طلعت بعد أن تسملته المخابرات المصرية، وأشار الدكتور صفوت عبد الغنى عضو مجلس شورى الجماعة الإسلامية أن الجماعة لديها ملف كامل يتهم سليمان بالضلوع فى تصفية قاسم بعد أن تسلمته مصر من المخابرات الأمريكية، فهناك على الأقل مسئولية قانونية لسليمان عن أعمال مرؤوسيه إبان شغله منصبه.

لم تقدم الجماعة الإسلامية شئيا ذا بال فيما يخص قضية طلعت فؤاد قاسم، و إن كنا نفهم من كلام صفوت عبد الغنى أنهم لا يملكون دليلا واحدا على أن سليمان هو من قتل طلعت أو غيره من أعضاء الجماعة، أو أنه كان يستجوب أو يعذب بنفسه كما يقولون، وكل ما بحثوا عنه أن الرجل من المؤكد مسئول قانونيا عما يفعله مرووسيه.

* * *

إننى لا أحقق هنا فيما جرى لأعضاء الجماعات الإسلامية، ولكننى أشير فقط من واقع ما تم توثيقه على يد هؤلاء الأعضاء إلى الأسباب التى دعت أبناء الجماعات الإسلامية إلى كراهية عمر سليمان كل هذه الكراهية، و إعلانهم أن دونهم الموت لو عبر سليمان إلى حكم مصر .... وأعتقد أنها أسباب كافية جدا للكراهية على الأقل من وجهة نظر من يعلنونها.

لقد أجملت الجماعات الإسلامية رأيها فى عمر سليمان من خلاله توصيفها الأثير له، وهو «العقرب السام» لقد أدركت خطورته عليها، لكنها لم تستطع له ردا، استكانت لكل ما فعله دون أن تستطيع أن تثبت شئيا عليه.

لم تكن الجماعات الإسلامية ترى فى عمر سليمان إلا هذا العقرب الذى يتماهى مع فصيلة العقارب بأنه يختفى بعيدا عن العيون فى الجحور والشقوق ولا يخرج إلا ليلدغ خصومه ثم يعود سريعا دون أن يمسك به أحد، أو يتلمس أحد دليلا واحدا عليه.

لا يمكن لأحد بالطبع أن يبرئ عمر سليمان من كثير مما جرى لأبناء الجماعات الإسلامية

خارج مصر، فقد كان الرجل واضحا وصريحا من أنه كان من بين مهامه أن يطارد الجهاديين الإسلاميين فى الخارج، حتى لا يؤثروا على استقرار مصر، هو بالطبع لم يكن ينظر إليهم على أنهم جهاديين - فالجهاد فى النهاية أمر لا ينكره أحد - لكنهم كانوا بالنسبة له مجرد مجموعة من الإرهابيين ولابد من مطاردتهم وقتلهم إذا لزم الأمر.

لم تستطع الجماعة الإسلامية أن تنتقم من عمر سليمان حيا، فاختارت أن تخلص ثأرها منه ميتا، ولم تكن لديهم طريقة لذلك سوى التشهير به، وهو التشهير الذى وصل إلى حد تكفيره وتحريم الصلاة عليه.

الدكتور خالد سعيد المتحدث الإعلامى باسم الجبهة السلفية أفتى بأنه لا يجوز حضور جنازة عمر سليمان أو الصلاة عليه، مستدلا على ذلك بقول الله : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ [التوبة: 84]... وأخذ يعلل، يعنيه بقوله: عمر سليمان يصنف على أنه من المجرمين والقوم الفاسقين، فقد كان من جنود وأعوان مبارك الظالمين الذين أفسدوا وأجرموا فى حق الوطن خلال 30 عاما ... لم يكن هذا فقط ما جاء به المتحدث باسم الجبهة السلفية، بل أجاز الفرح بموت سليمان لأن الله قطع دابره.

عندما بدت سؤة هذه الفتوى كان أن تراجع قليلا الشيخ السلفى، الذى قال أنه صرح ولم يفت بعدم الصلاة على عمر سليمان، فى إشارة إلى أن ما قاله رأى شخصى لا يعبر عن فتوى ملزمة، هذا رغم أنه استند إلى القرآن واستخدم بعض آياته فى التدليل على رأيه.

خالد سعيد يبرر ما قاله: لا بد أن نفرق بين الفتوى الشرعية وبين التصريحات، فخلافنا ليس مع عمر سليمان حيا أو ميتا، وإنما مع النظام الإجرامى السابق بكافة رموزه، وسليمان كان ركنا أصيلا فى نظام إجرامى وجندا من جنود مبارك الظالمين الذين أفسدوا الحياة السياسية طيلة 30 عاما، ثم أن سليمان مسئول عن قتل مصريين بالسجون المصرية، ومسئول عن قتل مصريين أثناء حصار غزة، ومهندس صفقة بيع الغاز المصرى لإسرائيل.

الأزمة ليست فى توصيف ما قيل، وهل هو فتوى أو تصريح، ففى النهاية كشف الرجل عن كراهية مطلقة لعمر سليمان ... وهو ما بدا فى موقف الجماعة الإسلامية التى كانت تهدده وتتوعده بالإنتقام لمن قتلهم، فإذا بها تجد الرجل بين يدى الله.

انحازت الجماعة الإسلامية إلى من قالوا أن عمر سليمان مات مقتولا، ليس إيمانا منها بضرورة أن يأخذ الرجل حقه أو يقتص ممن قتله، ولكن لحاجة فى نفس الجماعة الإسلامية التى صدر بيان رسمى عنها، فقد طالبت بالتثبت من حقيقة وفاته، للكشف عما إذا كانت الوفاة طبيعية، أم أنها محاولة للإفلات من المحاكمات التى تنتظره، أم أنها تمت للتخلص من خزينة الأسرار التى يحملها، خصوصا - من وجهة نظر الجماعة بالطبع - أنه كان ركنا لنظام نسق ونظم وتعاون مع دول أجنبية بما يضر بمصالح الشعب المصرى وشعوب أخرى مجاورة.

فى بيانها الرسمى حددت الجماعة الاسلامية موقفها من عمر سليمان، فكما تقول فإنه كان أحد أركان النظام السابق، وأفنى عمره فى خدمته والتستر على جرائمه، وهى الجرائم التى اتخذت أشكالا عدة من تعذيب إلى تصفية جسدية، بل وامتدت أياديه إلى القيام بالتعذيب لمواطنين أبرياء ورعايا دول أخرى بالوكالة لصالح أجهزة مخابرات أجنبية لا تسمح قوانينها ولا أخلاقياتها المزعومة بذلك.

يقولون أن الموت يحسم الخلافات بين البشر، لكن الجماعات الإسلامية لا تنسى أبدا ما فعله بها عمر سليمان ... ولن تسامحه على ما اقترفته يداه أو ما تعتقد الجماعة أنه فعله ... فلا شئ مؤكد ولا شئ يقينى ولا دليل على شئ.

الفصل السادس





14 يوم

> في 29 يناير 2010 أصدر الرئيس مبارك قراره بتعيين عمر سليمان نائبا له ... أتى به من رئاسة جهاز المخابرات العامة ليكون نائبه والرجل الثانى، بعد أن ثار عليه المصريون وطالبوا برحيله ... حاول سليمان أن يقنع مبارك بأن وجوده - بوفاء له - في منصبه كمدير للمخابرات يمكن أن يكون مفيدا له أكثر من كونه مجرد نائبا له، لكن مبارك أصر على أن يصبح عمر بجواره.

على الأرجح لم يكن عمر سليمان هو اختيار مبارك الأول، فقد عرض المنصب أولا على المشير محمد حسين طنطاوى وزير الدفاع، لكنه رفضه، فعرض عليه أن يكون رئيسا للوزراء فرفض أيضا، ووقتها كما قال مبارك بعد ذلك وهو فى سجن طره أنه عرف فى هذه اللحظة أن المشير طنطاوى لن يقف إلى جواره، بل توقع خيانته.

قبل عمر سليمان منصب نائب الرئيس محاولا أن ينقذ ما يمكن انقاذه من سفينة نظام مبارك الغارقة، وقد عمل فعليا 14 يوما فى منصبه، أجرى خلالها حوارا مع القوى السياسية، وهو الحوار الذى لم يصل من خلاله إلى شئ؛ لأن الحوار الذى كان يجب أن يقوم به مع القوى الثائرة فى الشارع، وليس مجموعة من القوى السياسية التى هرمت وتصلبت شرايينها.

هنا محاولة للملمة صورة ما فعله عمر سليمان خلال الأربعة عشر يوما التى انتهت فعليا بتلاوته لبيان تنحى مبارك عصر يوم 11 فبراير 2011، وهى محاولة تتبع تفاصيلها من ست

شهادات صدرت فى كتب حاولت أن تكتب التاريخ الساخن للثورة المصرية، بينها إتفاقات كثيرة ... وبينها كذلك بعض التناقضات ... .لكنها فى النهاية تسجل اجتهادات أصحابها.

* * *

الشهادة الأولى استخلصها من بين سطور كتاب «الصعود والسقوط ... من المنصة إلى المحكمة» لصلاح منتصر، الذى قدم لما كتبه بقوله: «يعلم الله أننى لم أخترع شئيا مما كتبت، بل على العكس كانت هناك حكايات لم أنشرها رغم ما بها من إثارة استجابة لرجاء الذين رووها لى بعدم النشر».

يظهر عمر سليمان فى شهادة صلاح منتصر قبل الثورة بقليل،بما يمكننا من معرفة يوميات الرجل قبل أن يصل إلى منصبه نائبا للرئيس.

ففى تحقيقات النيابة التى طلبت شهادته على ما جرى أشار إلى أنه كانت هناك معلومات قبل يوم 25 يناير بأن هناك حالة غضب شديدة لدى الشعب، نتيجة تردى الأحوال الإقتصادية والبطالة والفساد، زادت حدتها بعد نتائج انتخابات مجلس الشعب، وأنه منذ أكتوبر 2010 زادت الاتصالات عن طريق الفيس بوك والتويتر بين الحركات المعارضة مثل كفاية وحركة 6 إبريل وكلنا خالد سعيد، يعبرون فيها عن ضرورة عمل شئ لتغيير الوضع الحالى للإفراج عن المعتقلين السياسيين ومحاربة الفساد وإنهاء العمل بحالة الطوارئ.

كان جهاز المخابرات العامة قد رصد منذ العام 2005 إطلاق السفارة الأمريكية برنامج «الديمقراطية والحكم الرشيد» ... جرى الإتفاق فى البداية أن تتولى الحكومة المصرية الإشراف على الأموال التى تخصصها أمريكا وتدفعها للمنظمات المدنية التى تحددها، إلا أنه بعد فترة أصبح تحويل الأموال يتم بعيدا عن إشراف الحكومة، فى الوقت الذى أصبحت تدريبات الشباب التى تتم فى أمريكا وبولندا والأردن ودول أخرى تتناول كيفية القيام بالمظاهرات وأساليب الإحتجاجات والتجمعات، وقد قدمت الحكومة المصرية أكثر من شكوى إلى السفارة الأمريكية، لكن الأمريكان تجاهلوا الأمر تماما.

من بين المعلومات التى رصدها جهاز المخابرات تحديدا بعد أحداث ثورة تونس، أن هناك تخطيطًا للتظاهر فى المدن الرئيسية المصرية، ولن يزيد عدد المتظاهرين فى كل محافظة عن

30 ألفا، وأنها ستكون سلمية وتنصرف فى نهاية اليوم بعد أن تعلن عن مطالبها التى تنحصر فى إنهاء حالة الطوارئ والإفراج عن المعتقلين السياسيين كمطلب أساسى ثم محاربة الفساد و إقالة الحكومة.

عندما أبلغ عمر سليمان الرئيس مبارك بهذه المعلومات، طلب مبارك أن يجرى بحثها فى اجتماع يرأسه رئيس الوزراء الدكتور أحمد نظيف، وفى 20 يناير 2012 عقد الإجتماع الذى حضره المشير طنطاوى القائد العام للقوات المسلحة ووزير الدفاع وعمر سليمان وحبيب العادلى وزير الداخلية وأنس الفقى وزير الإعلام وطارق كامل وزير الإتصالات.

عرض عمر سليمان فى بداية الإجتماع المعلومات التى لدى جهاز المخابرات عن قيام مظاهرات فى 25 يناير، وأنه يجب الاستعداد لها، سليمان ألمح إلى أن جماعة الإخوان المسلمين لن تشارك فى هذه المظاهرات، وأشار العادلى إلى أنه سيقوم كما جرت العادة فى هذه المظاهرات (تأمينها حتى تنصرف) أما فى حالة اشتراك الإخوان فسيتم إجهاض هذه المشاركة بالقبض على عدد من عناصرهم.

انتهى الإجتماع على أساس أن عدد المتظاهرين سيكون محدودا والمظاهرات نفسها ستكون سلمية، وستنتهى فى الليلة نفسها بعودة المتظاهرين إلى بيوتهم.

خلال يومى 26 و27 يناير رصد جهاز المخابرات العامة اتصالات بين حركة حماس وبدو سيناء تم فيها الإتفاق على تسلل بعض المجموعات من حماس عبر الأنفاق من غزة إلى سيناء، وهى المجموعات التى قامت باقتحام السجون المصرية الموجود بها أفراد من حماس.

وفى 28 يناير تبين صدق تقارير المخابرات العامة، فقد هوجمت السجون، وبعضها جرى استخدام القوة فيه لإجبار النزلاء على الهرب، وعندما جرى حصر السجون التى هوجمت تبين أنه من بين 43 سجنا فى مصر تم تدمير 11 سجنا، وأصيبت بشكل جزئى ستة سجون، وطبقا لما اعترف به اللواء نزيه جاد الله مساعد وزير الداخلية والمسئول عن السجون فى مصر،أن جميع السجون التى تعرضت لمحاولات اقتحام كان بداخلها عناصر فلسطينية وأخرى من أعضاء حزب الله، دون النظر إلى انتماءات هذه العناصر، وسواء كانوا محكوما عليهم أو معتقلين، وقد تم هروب هؤلاء جميعا.

ظهر عمر سليمان إلى جوار مبارك ظهورا عابرا فى اليوم التالى لتعيينه نائبا – 30 يناير – فقد اصطحبه إلى مركز عمليات القوات المسلحة (66)، وتابع مع القادة خطة الانتشار فى المدن الرئيسية بالجمهورية، وحسب شهود حضروا الزيارة فإن مبارك لم يجر أى مناقشات و إنما كان هدفه تسجيل الصورة التى ظهر فيها إلى جوار سامى عنان وعمر سليمان، وهى الصورة التى نشرتها الصحف وأذاعها التليفزيون، لتكون رسالة إلى الكل وخاصة شباب ميدان التحرير بأنه وهو القائد الأعلى للقوات المسلحة لا زال يسيطر على الجيش.

كان عمر سليمان يقوم بمجهود خارق لإحتواء الأزمة، ولم يكن أمامه إلا أن يجلس مع الجميع ويتحدث إلى الجميع، ينقل منتصر أن الدكتور حسام بدراوى - كان أحد قيادات الحزب الوطنى المغضوب عليهم واضطر مبارك لتعيينه رئيسا للحزب لإمتصاص غضب الشباب الثائر – ذهب إلى القصر الجمهورى لمقابلة الرئيس مبارك، لكنه قصد أولا مكتب النائب عمر سليمان الذى كان موجودا فى الجانب الآخر من مكتب الرئيس، وهو مكتب جديد استحدث لعمر سليمان بعد تعيينه نائبا، ولم يكن معه سوى مدير مكتبه المقدم حسين كمال.

دخل حسام على سليمان وأغلق الباب خلفه، وبدأ فى الكلام، قال له: سيادة النائب إننى خلال الأيام الثلاثة الماضية التقيت مختلف القوى السياسية، الوفد والتجمع والإخوان، وعقدت إجتماعات مع سبع مجموعات متفرقة من الشباب، استمعت لكل مجموعة على حدة واقتربت منهم، وأولادى الآن موجودون فى ميدان التحرير ولا أستطيع منعهم، وبأمانة شديدة فإن الموقف أخطر كثيرا من أى تصور ولا يعالجه كل ما نقوم به.

قال سليمان: ماذا تقترح؟

فرد بدرواى: أن يخرج الرئيس ويوجه اليوم خطابا يعلن فيه أنه يلبى طلبات الشعب ووعده الذى أعلنه أول فبراير بتعديل الدستور، ويعلن نص الخطاب الذى أرسله إلى رئيس مجلس الشعب بالتعديلات المطلوبة، وبالتالى يكون الرئيس طبقا للدستور هو الذى قام بطلب تعديله، وفور ذلك يعلن الرئيس تفويض جميع سلطاته لنائب رئيس الجمهورية بصورة واضحة لا تقبل الشك، معلنا أنه لم تعد لديه منذ الآن أى سلطة، وينتقل إلى شرم الشيخ ليقيم هناك، بحيث تقطع عنه المعلومات ويعرف الجميع أنه لم يعد يحكم.

وقبل أن ينهى بدرواى تصوره قال: سيادة النائب لكى أكون أمينا معك، فإننى لست متأكدا إذا كان ذلك سيساعد على عبور الأزمة.

كشف عمر سليمان الصورة كاملة، قال لحسام: أنا أعرف مبارك ولكننى لا أستطيع أن أواجهه بما تقول، لا أستطيع أن أقول له تنازل لى عن سلطاتك.

فرد بدراوى: إننى أمين الحزب، فهل بهذه الصفة أستطيع أن أدعو لإجتماع مع الرئيس فى حضور سيادتك والمشير طنطاوى وأقول هذا الكلام؟

قال سليمان: نصيحتى أن تكلمه وحدك، فلست أعرف شخصا آخر يمكن أن يقول له هذا الكلام للرئيس مثلك، على أن تكونا وحدكما.

تحدث حسام بدراوى مع مبارك بالفعل، وبعد أن تفهم مبارك وجهة نظره، عاد إلى مكتب عمر سليمان مرة أخرى، يقول حسام: خرجت من عند الرئيس واتجهت إلى مكتب النائب، الذى كان فى انتظارى، وما كدت أنقل إليه ما تم حتى جاء من يطلبه للقاء الرئيس» ... لكن وبعد دقائق أجراها حسام فى اتصالات مع الدكتور فتحى سرور للحديث عن التعديلات الدستورية المطلوبة، فوجئ حسام بموظف من بروتوكول القصر لم يسبق له أن رآه يفتح الباب ويقول له بصوت جاف: سيادتك خلاص قابلت الريس اتفضل امشى.

لم يترك الموظف بدراوى إلا على باب القصر، ولم يجد أمين الحزب وقتها إلا أن يترك رسالة لعمر سليمان، يقول له فيها أنه تم طرده من مكتبه، وترك هذه الرسالة مع مدير مكتبه حسين كمال.

يجزم صلاح منتصر أنه نقل ما دونه عن حسام بدراوى من أوراقه الخاصة، التى سجلها حسام ليوميات الثورة، لكنه لم يشر إلى من قام بطرده، من أخذ القرار بإخراجه من القصر الجمهورى بعد أن اقترح تنحى مبارك، خاصة أن زكريا عزمى وجمال مبارك تحدثا مع حسام بعد طرده من القصر واعتذرا له وطلبا منه أن يعود مرة أخرى.

حسام بدراوى وبعيدا عن شهادة صلاح منتصر أكد أن عمر سليمان هو من قام بطرده من القصر عندما اقترح على مبارك التنحى.

ليس علينا أن إلا أن نفسر الأمر على النحو التالى، لقد تحرج عمر سليمان من نقل كلام حسام بدراوى إلى مبارك، لأنه كان يتضمن تنازل الرئيس عن سلطاته لنائبه، فلم يرد أن يطلبها سليمان لنفسه، وقد يكون نائب الرئيس أراد التأكيد على أنه لا يوافق على ما يقوله حسام، فأراد أن يؤكد ذلك لمبارك عمليا، فأصدر بنفسه قرار طرد حسام من القصر الجمهورى، فلم يكن ليفعلها أحد من وراء ظهر سليمان، خاصة أن حسام كان فى مكتبه، وطرده بهذه الطريقة فيه إساءة للنائب، إلا إذا كان هو من فعلها، ولا أستبعد ذلك مطلقا.

فلم يصدر عن حسام بدرواى أى تصريح يشير إلى أن عمر سليمان اعتذر لحسام بدراوى عن واقعة الطرد هذه، رغم أن المنطق يقول أنه كان يجب أن يعتذر، فالرجل كان فى مكتبه، وكان يجلس معه قبل دقائق من إخراجه بالقوة.

لكن عندما تداعت الأحداث على ساكنى القصر الجمهورى كان عمر سليمان أول من بادر للعمل على تنحى مبارك، يقول منتصر: الحقيقة أن حسنى مبارك حتى اليوم لم يوقع على أى قرار مكتوب يعلن فيه استقالته أو تخليه أو عجزه عن ممارسة سلطته، والبيان الذى قرأه اللواء عمر سليمان نائب الرئيس كتبه سليمان فى مكتب المشير محمد حسين طنطاوى بحضور الفريق أحمد شفيق رئيس الوزراء فى ذلك الوقت، وجرت مراجعته سريعا دون العودة إلى أى قانونى مما جعل البيان لمن يقرؤه خاليا من أى إشارة إلى دستور أو قانون أو مبررات».

بعد كتابة البيان اتصل عمر سليمان بمبارك الذى كان قد وصل إلى شرم الشيخ وقرأه عليه تليفونيا، فوافق مبارك على البيان لكنه طلب منه تأجيل إذاعته إلى ما بعد إقلاع الطائرة التى كانت موجودة فى مطار ألماظة لحمل علاء وجمال إلى شرم الشيخ.

أنهى سليمان المكالمة وقام بتسجيل البيان فى مقر وزارة الدفاع وسلمه إلى اللواء إسماعيل عتمان عضو المجلس الأعلى للقوات المسلحة ومدير الشئون المعنوية بالجيش، الذى حمله إلى مبنى التليفزيون فى ماسبيرو، وواجه مصاعب شديدة لإختراق جموع الحشود الكبيرة التى كانت تحيط بمبنى التليفزيون فى ذلك الوقت.

وهنا تأتى مفاجأة أخرى فقد أثار عدم وجود قرار مكتوب بتنازل مبارك عن الرئاسة تعليقات عدد من الدستوريين الذين خشوا أن يكون ذلك عيبا يفتح باب التشكيك فى تنحى

مبارك، فكان أن صدر بعد شهرين بتاريخ قديم هو 12 فبراير 2011 عدد خاص من الجريدة الرسمية، يحمل رقم 6 مكرر فى ورقة واحدة تحمل عنوان الجريدة الرسمية فى صفحة وفى الصفحة الثانية جاء ما يلى:

إلى السيد المشير محمد حسين طنطاوى
القائد العام للقوات المسلحة
رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة

إدراكا من السيد الرئيس محمد حسنى مبارك لمسئولياته التاريخية تجاه الوطن واستجابة لمطالب الشعب التى عبرت عنها جموعه، ورغبة فى تجنيب البلاد مخاطر الفرقة، فقد أبلغنى سيادته ظهر يوم الجمعة الموافق الحادى عشر من فبراير سنة 2011 بتخليه عن منصبه كرئيس لجمهورية مصر العربية، وتكليف المجلس الأعلى للقوات المسلحة بإدارة مقاليد البلاد، وطلب منى أن أعلن ذلك للشعب، وقد أعلنت ذلك فور تكليفى، حفظ الله مصر ووقاها شر السوء.

التوقيع:
إمضاء نائب رئيس الجمهورية
عمر محمود سليمان فى 11/ 2/ 2011

❋ ❋ ❋

الشهادة الثانية صاحبها الدكتور على السمان وهو سياسى كبير ومعروف بعلاقاته مع دوائر صنع القرار فى مصر، أصدر كتابه « مصر من ثورة لأخرى» باللغة الفرنسية، ثم ترجم إلى اللغة الإنجليزية، ولم يترجم بعد إلى اللغة العربية.

فى كتابه يقدم على السمان تفسيره الخاص لثورة 25 يناير فى سياق التراكمات السياسية على مسرح الأحداث المصرية منذ ثوة 1952.

يشير السمان إلى أنه قبل عام من قيام ثورة 25 يناير جمعته محادثة مع عمر سليمان

رئيس جهاز المخابرات والذى تحدث عن السلطة التى يتمتع بها أعضاء عائلة الرئيس على مبارك والحكومة، ووصف سليمان ما يحدث بأن مصر تحولت إلى ما يمكن تسميته بمؤسسة الأسرة.

سليمان كشف للسمان - والعهدة عليه وحده - أن مبارك كان مصمما على أن نجله جمال ينبغى أن يأتى خلفا له كرئيس للجمهورية، ولهذا السبب امتنع مبارك على الرغم من سنه ومطالب المعارضة من تسمية نائب رئيس، فإذا حدث للرئيس شئ فإن النائب سوف يتولى، وبالتالى فإن فرص جمال سوف تتضاءل إذا لم تختفى.

يصف السمان ما جرى من زاوية أخرى تدعمها معلوماته الخاصة، يقول: بعد وقت قصير من صدور البيان الأول للمجلس العسكرى، تم الإعلان أن مبارك سوف يلقى خطاب إلى الأمة، تم نصب شاشة ضخمة فى ميدان التحرير، حيث تجمع مئات الآلاف فى ترقب، وجلس الناس فى منازلهم أمام أجهزة التليفزيون، فى انتظار مشاهدة هذه اللحظة التاريخية.

يكمل السمان روايته: مع منتصف الليل تقريبا ألقى مبارك كلمة قصيرة، وأشار إلى أنه سوف يسلم مهام الرئيس لنائب الرئيس عمر سليمان، وكرر أنه لن يرشح نفسه لفترة ولاية ثانية، واعترف للمرة الأولى أن حكومته ارتكبت أخطاء، لكنه أوضح أيضا أنه لا يزال الرئيس وسيواصل حماية الدستور ومصالح الشعب.

يشير على السمان إلى أنه سمع فيما بعد من مصادر داخل القصر الرئاسى أن مبارك كان مترددا فى إلقاء الخطاب الأخير، ولكن زوجته وابنه جمال ووزير الإعلام أنس الفقى أقنعوه بأن نقل مزيد من السلطات لسليمان سيؤدى إلى نزع فتيل الأزمة.

مرة أخيرة يظهر عمر سليمان فى حديث على السمان، وهنا إشارة لا أعرف من أين أتى بها إلى أن مبارك هو من أخذ قرار التنحى وليس أحدا غيره.

يقول: فى اليوم التالى وفى الواحدة بعد الظهر - يقصد اليوم الذى تنحى فيه مبارك 11 فبراير - أذاع المجلس الأعلى للقوات المسلحة رسالة أخرى أشار فيها إلى أن القوات المسلحة ملتزمة بدعم المطالب المشروعة للشعب، وفى بيانه الثانى وعد الجيش بتعديل الدستور للسماح

بإنتخابات رئاسية حرة ونزيهة، وبنقل السلطة إلى مجتمع ديمقراطى حر يطمح إليه الشعب، وللتأكد من عدم وجود أى سوء فهم، تعهدوا بالوفاء بكل وعد خلال فترة زمنية محددة.

تزامن مع ذلك أن تجمع آلاف المتظاهرين أمام قصر الرئاسة فى مصر الجديدة للمطالبة بالرحيل الفورى لمبارك، ووجدوا أنفسهم وجها لوجه مع قوات الحرس الجمهورى، المدرعة بشكل كبير والخاضعة لسيطرة الرئيس.

يستكمل السمان: تم توجيه المدافع صوب الحشد، فى تلك اللحظة المؤلمة، لا يمكن للمرء أن يتخيل ما كان يدور فى عقل مبارك الذى كان يرسم لنفسه صورة بطل يدافع عن وطنه، ولا حتى مؤسسة الأسرة كانت قوية بالقدر الكافى لإقناعه بالسماح بقتل مزيد من المصريين أو بتحريك قوات الحرس الجمهورى فى مواجهة القوات المسلحة.

هنا يجزم السمان: اتخذ الرئيس قراره وطلب من جمال الإتصال بعمر سليمان للإعلان عن استقالته، وبسبب شعوره بالقلق من أن جمال لن ينفذ تعليماته طلب مبارك من ابنه إجراء المكالمة أمامه، وفى 11 فبراير غادر مبارك قصر الرئاسة إلى شرم الشيخ بعد أن وصلت سنوات حكمه الثلاثين إلى نهائة مفاجئة ومذلة.

بإستثناء ما قاله على السمان عن حديثه مع عمر سليمان عن مؤسسة الأسرة التى أصبحت تحكم مصر، فإن ما قاله عن تفاصيل القصر ليس دقيقا بالمرة، وقد انتقدت مصادر قريبة من القصر الجمهورى خلال الثمانية عشر يوما ما قاله السمان، فروايته عن مبادرة مبارك بالتنحى رواية نادرة وليست موجودة بالأساس إلا لديه وحده، وليس عليها شاهد واحد.

ثم أن الكلام عن ضغط سوزان مبارك ونجلها وصديقه أنس الفقى على التنازل عن مزيد من السلطات إلى عمر سليمان لأن هذا من شأنه أن يخفف الضغط عليه، وكفيل بأن ينهى الأزمة، لم يكن صحيحا هو الآخر، فحتى اللحظة الأخيرة ظلت سوزان مبارك ومن وراءها جمال يعارضان أى نفوذ لعمر سليمان الذى كانت تراه سوزان مبارك تهديدا مباشر لصعود نجلها إلى الرئاسة، وتهديدا لطموحها هى شخصيا فى أن تظل فى القصر الجمهورى.

❋ ❋ ❋

الشهادة الثالثة تأتى من «روبير سوليه» رئيس تحرير جريدة «لوموند ديبلوماتيك» الذى قضى شبابه فى مصر وكتب عنها معظم رواياته.

يجيد روبير اللغة العربية، لكنه كتب كتابه «سقوط الفرعون» بالفرنسية وترجمته عنه الدكتورة ناهد الطنانى، وفيه يرى أن الثمانية عشر يوما التى استغرقتها الثورة لم تكن سوى البداية، لكنها أهم 18 يوما فى تاريخ مصر والعالم أيضا.

من بين التفاصيل الكثيرة التى جمعها روبير من مصادره ومن وسائل الإعلام العاليمة، أتوقف عند ما أورده عن عمر سليمان، الذى يصادفنا تحت عنوان «نائب الرئيس».

يقول روبير: المفاجأة جاءت من جانب آخر، فقد قام مبارك بتعيين نائبا له، وهو ما كان دائما يرفضه، ولكن الريس لم يبحث بعيدا، فقد اختار رجله محل الثقة، اللواء عمر سليمان، الذى يدير منذ 1993 المخابرات العامة، أحد أقوى أجهزة المخابرات الرسمية، وقد أدى رجل الظل اليمين أمام كاميرات التليفزيون الرسمى، أعقب ذلك بأداء التحية العسكرية، وهو يصلح رئيسا حتى لو كان يبدو محركا للعرائس أكثر منه وجها شعبيا.

وبعكس مظهر عمر سليمان - كما يرى روبير - بجسمه النحيف وأناقته ووجهه الذى يعلوه شارب رفيع، ونظرته الحادة وبروده الإنجليزى، فهو ينتمى إلى عائلة ميسورة الحال من قنا، وقد التحق فى سن 19 عاما بالأكاديمية العسكرية بالقاهرة، وحظى بدورة تدريبية فى الإتحاد السوفيتى، ثم دورة أخرى فى فورت براج بكارولينا الشمالية.

رصد روبير علاقة سليمان بالأمريكان والإسرائيليين، يقول: يعرف الإسرائيليون والأمريكان عمر سليمان جيدا، فقد كان لسنوات عديدة حاضرا فى كل المفاوضات، كان هو من يدير هذا الملف الملتهب وليس الخارجية، وهى مهمة لم يكن ناجحا فيها دائما، فهو لم يستطيع أن يمنع حماس من الوصول إلى السلطة فى غزة فى يونيو 2007، كما أنه محل كراهية شديدة من الإسلاميين المتشددين الذين يرونه أحد المسئولين الرئيسيين عن القمع الشديد الذى عانوا منه، ولكنه مع ذلك له نظرة واقعية فقد كان على عكس الريس مقتنعا منذ فترة طويلة بضرورة إدماج الإخوان المسلمين فى اللعبة السياسية.

قبل أن يتعامل روبير مع سليمان على أنه نائبا للرئيس، ظل مه قليلا كمدير للمخابرات المصرية، فيشير إلى أنه قام بعدة زيارات إلى إسرائيل، وله ممثل شخصى فى سفارة مصر فى تل أبيب، وتعتبره الجريدة اليومية الإسرائيلية - يديعوت أحرونوت - رجل الأستقرار، وكانت تراه خير خلف ممكن لمبارك، وقد كان حسنى مبارك يعتبره دائما أخلص المعاونين له.

يصل روبير إلى رجلنا نائب الرئيس فى مهمة إنقاذ مبارك، ويرى أنه يمكن تفسير تعيين عمر سليمان كنهاية لطموحات جمال مبارك الرئاسية، فإذا ما توفى الريس أو استقال يكون نائبه هو المرشح الأمثل للرئاسة، كما حدث عند وفاة ناصر والسادات، ولم يكن الإبن الأصغر للرئيس مبعثا كبيرا للثقة بالنسبة للجيش، ليس فقط لأنه لا ينتمى إلى صفوفه، ولكن أيضا لأن عمليات الخصخصة التى قام بها رجال جمال من شأنها أن تهدد المصالح الإقتصادية للجيش.

وحتى يثبت روبير أن تعيين سليمان نائبا للرئيس كان ضربة لأحلام جمال مبارك الرئاسية، فقد عاد قليلا إلى الوراء، تحديدا إلى خريف 2010، عندما ظهرت بعض اللافتات الغريبة التى تدعو إلى التصويت لجمال مبارك وترفع شعار «جمال هو الحل للفقراء» فى تحوير واضح لشعار الإخوان المسلمين «الإسلام هو الحل»، ولكن سرعان ما تم وضع لافتات أخرى فوق هذه اللافتات تحمل صورة عمر سليمان، وشعار شديد الخبث هو «لا جمال ولا الإخوان».

يسأل روبير: هل هذه كانت رسالة من الجيش؟ ودون أن يجيب على شئ من ذلك، يقول: على أية حال فقد كان تعيين الرئيس لنائب له وهو القرار الذى اتخذه تحت ضغط الشارع قد أغلق الطريق تماما أمام الوريث المحتمل جمال مبارك.

لا يهتم روبير سوليه بالأحداث، ولكنه يحاول أن يقرأ ما وراءها، وهو ما فعله فيما يتعلق بعمر سليمان ودوره فى القصر الجمهورى أيام الثورة، ولذلك أمثلة كثيرة.

يرصد روبير أن الإخوان المسلمين رفضوا الحكومة الجديدة التى شكلها أحمد شفيق، وعلق سعد الكتاتنى أحد قادة الجماعة - وقتها - بأن الحوار لا يمكن أن يتم سوى مع الجيش فهذا هو الحوار الوحيد المقبول، من الآن فصاعدا فإن القيادة هى الجيش، فهو المؤسسة الوحيدة التى يقبلها الشباب.

الجماعة أعلنت أنها ستشكل لجنة سياسية واسعة مع الدكتور محمد البرادعى بهدف بدء حوار مع الجيش، وهى تدعو إلى مظاهرات حاشدة فى كل أنحاء مصر حتى يسقط النظام بأكمله، الرئيس والحزب والوزراء والبرلمان.

وهنا يسأل روبير: هل يعتبر نائب رئيس الجمهورية اللواء عمر سليمان جزءا من الجيش فى ذهن الإخوان المسلمين، أم هو ممثل للنظام؟

وسبب السؤال فى إعتقادى أن الإخوان المسلمين ورغم أنهم أعلنوا بشكل واضح أنهم لن يتحاوروا إلا مع الجيش إلا أنهم قبلوا الجلوس مع عمر سليمان مرتين الأولى سرية والثانية علنية، وكان ذلك بعد أن تلقى سليمان تكليفا من مبارك ببدء الإتصالات الفورية مع كل القوى السياسية لمناقشة الإصلاحات الدستورية والتشريعية.

بعد التكليف دعا عمر سليمان المعارضة للتفاوض، المعارضة بأكملها، قال هو عن ذلك: «لقد تواصلنا مع الإخوان المسلمين ولكنهم مترددون» ... لكنهم فى النهاية جلسوا معه، رغم أنهم أعلنوا وبشكل رسمى أن الشعب أسقط النظام ولا نرى فائدة من التحاور مع نظام غير شرعى.

يقول روبير: رفض الإخوان المسلمون أى نقاش مع السلطة طالما أن حسنى مبارك على رأسها، لكنهم وافقوا فى النهاية على الحوار الذى دعا إليه عمر سليمان مع كافة القوى السياسية.

أوضحت الجماعة أن الأمر لا يتعلق بإجراء مفاوضات ولكن بإستطلاع نوايا المسئولين السياسيين الجدد، للتأكد من مدى صدقهم، هكذا توجه نواب الجماعة إلى قصر هليوبوليس يوم الخميس 6 من فبراير برفقة عدد من ممثلى المعارضة.

كانت هذه هى المرة الأولى التى تجرى فيها مباحثات رسمية بين النظام والإخوان الذين حصلوا بهذه الطريقة على اعتراف رسمى، وهى أحد التفاصيل التى لم يكن من الممكن إغفالها، ففى البيان الرسمى الصادر عن الرئاسة لم تتبع كلمة الإخوان صفة المحظورة.

لم تكن كل المعارضة ممثلة فى هذا الإجتماع، فقد أعلن أيمن نور أنه تلقى دعوة غير مباشرة وقام برفضها، وأن الإخوان المسلمين أكدوا له عدم ذهابهم إلى هذا الإجتماع، ولكنهم لم يفوا بعهدهم.

جرى الحوار وقد توسطت القاعة صورة ضخمة للرئيس مبارك، وقد رفض نائب الرئيس طلب محدثيه بتولى مسئولية الرئيس، وكان المشاركون فى الإجتماع قد اقترحوا تعديلات دستورية قبل بداية الأسبوع الأول من شهر مارس.

لكن الواقع أن رحى الجدل القانونى كانت قد بدأت بالفعل، ففى الليلة السابقة على هذا الإجتماع التقت مجموعة من الحكماء بعمر سليمان، ليشرحوا له إمكانية قيامه بتولى السلطات الرئاسية خلال المرحلة الإنتقالية، حيث أن المادة 139 من الدستور تسمح للرئيس بأن يقوم بتفويض كافة صلاحياته إلى نائب الرئيس دون أن يقدم استقالته، وبذلك يكون دور مبارك خلال المرحلة الإنتقالية شرفيا تماما كما هو الحال فى الملكيات الدستورية.

وقفت مشكلة فى طريق هذا السيناريو، فطبقا للمادة 82 من الدستور فإنه لا يجوز لنائب الرئيس الذى يفوض إليه كافة السلطات طلب عمل تعديلات دستورية أو حل البرلمان، وإن كان الحكماء أشاروا إلى أن هذه المعضلة يمكن البحث لها عن حل.

المشهد قبل الأخير لعمر سليمان لدى روبير سوليه كان يوم 8 فبراير، يقول: فى هذا اليوم اجتمع عمر سليمان نائب الرئيس مع رؤساء تحرير الصحف المصرية ليوجه تحذيرا من أنه فى حال إذا ما استمرت الفوضى فلا يمكننا أن نستبعد بعد التطورات السريعة وغير المتوقعة بشكل أوضح ستسفر الفوضى عن انقلاب عسكرى.

كان هذا ما قاله أيضا وزير الخارجية وقتها أحمد أبو الغيط: إذا ما استمرت الفوضى ستجد القوات المسلحة نفسها مضطرة إلى حماية الدستور والأمن القومى لمصر.

لكن هذا التصور لم يعجب الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل الذى علق عليه بقوله: إن الجيش هو حاليا الكيان الشرعى الوحيد للدولة، وإذا ما اضطر إلى الإختيار بين النظام والشعب فسوف يختار الشعب حتما، وفى اللحظة الحاسمة لن تمتثل لأى من عمر سليمان أو حتى مبارك اللذين لم يعودا عسكريين، فقد ترك الأول الجيش منذ أكثر من خمسة وعشرين عاما، وتركه الثانى منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاما.

أما المشهد الأخير فيما أعتقد فلم يلتفت له أحد من المصريين، ولا يكاد أحد يذكره،

فبعد أن أطل مبارك على المصريين مساء الخميس 10 فبراير فى كلمة محبطة تماما، أعلن فيها أنه سيواصل العمل بدلا من أن يزف إليهم خبر تنحيه، ظهر عمر سليمان فى الساعة العاشرة وخمسين دقيقة وفى ذروة الأحداث، وتوجه إلى الأمة قائلا أنه قد تم تكليفه بإعادة الحياة إلى طبيعتها، لذا فهو يعد بإتخاذ اللازم من أجل ضمان الإنتقال السلمى للسلطة فى ظل احترام الدستور، وقال إننى أتعهد بتنفيذ كل ما اتخذ من قرارات فى إطار الحوار الوطنى وبالدفاع عن ثورة الشباب ومنجزاتها، كما إننى أتعهد بالعمل على إعادة إقرار الثقة المتبادلة.

أضاف سليمان فى كلمته التى نقلها التليفزيون المصرى أنه علينا نحن أن نحول المستقبل إلى مستقبل مشرق، يزخر بالحرية والديمقراطية، ودعا المتظاهرين إلى عدم الإستماع إلى القنوات الفضائية ولكن الإستماع إلى صوت قلوبهم، واختتم سليمان كلمته قائلا: يا شباب مصر يا أبطال مصر عودوا إلى منازلكم واستأنفوا العمل حتى نستطيع البناء واستمعوا إلى صوت ضمائركم وعقولكم.

المفاجأة أن إجابة المتظاهرين على ما قاله نائب الرئيس كانت: لا مبارك ولا سليمان ... واحد خاين والتانى بهلوان.

❋ ❋ ❋

فى كتاب «الساعات الأخيرة» يرصد عبد القادر شهيب صاحب الشهادة الرابعة لدى ملامح ما قبل تنحى مبارك، يقول: لعل الإضطراب الهائل الذى تعرض له الرئيس السابق طوال نحو ثمانية عشر يوما، والذى كان يتزايد يوما بعد آخر، هو الذى دفعه ظهر يوم الجمعة أن يقبل بسهولة ويسر بطلب التنحى عن الحكم لإنقاذ البلاد، وهو الطلب الذى اتفق عليه ثلاثة مسئولين بعد تشاور بينهم، هم المشير حسين طنطاوى رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة، وعمر سليمان نائب الرئيس الذى فارق منصبه بعدها مباشرة، والفريق أحمد شفيق رئيس الوزراء الذى ترك منصبه هو الآخر بعدها بأسابيع.

بيان التنحى قبله مبارك تليفونيا بعد أن استقر فى شرم الشيخ بدون أى مناقشة، لم يطلب تعديل أى كلمة من كلماته التى بلغ عددها 31 كلمة، واستغرق إلقاؤها من عمر سليمان أقل من دقيقة واحدة - تحديدا خمسين ثانية -.

كل ما طلبه مبارك فقط هو تأجيل الإعلان عن هذا القرار بعض الوقت حتى يطمئن على ولديه علاء وجمال اللذين كانا يستعدان للحاق به فى شرم الشيخ فى طائرة ثانية، تسبق طائرة والدتهما التى تأخرت بعدهما عن الإقلاع مساء بسبب إصابتها بإغماءة مفاجئة فى المطار، واحتاج الأمر لبعض الوقت لإسعافها.

لم يقبل طلب مبارك، فبعد تشاور بين طنطاوى وشفيق وسليمان، عاد الأخير للإتصال تليفونيا بمبارك لإبلاغه بأن سيف الوقت قاطع وتأخير الإعلان عن قرار التخلى عن الحكم غير متاح، وأنه لا مفر من الإعلان فورا عن هذا القرار، وهكذا تم التعجيل بإعلان مبارك تنحيه عن السلطة ساعة كاملة تقريبا، لتصدر الأوامر من المشير إلى اللواء اسماعيل عتمان بإذاعة بيان التنحى الذى تم تسجيله ظهرا بصوت عمر سليمان الساعة السادسة مساء يوم الجمعة 11 فبراير من التليفزيون، بعد أن تبين صعوبة إرسال وفد فنى إلى شرم الشيخ لتسجيله بصوت الرئيس السابق.

يقول شهيب: سمع الجميع عمر سليمان وهو يقول فى السادسة مساء يوم الجمعة 11 فبراير: أيها المواطنون فى هذه الظروف العصيبة التى تمر بها البلاد، قرر الرئيس محمد حسنى مبارك تخليه عن منصب رئيس الجمهورية، وكلف المجلس الأعلى للقوات المسلحة لإدارة شئون البلاد، والله الموفق والمستعان» ... وبعدها صار لدينا رئيس سابق، واختفى عمر سليمان تماما عن المشهد السياسى، حتى وإن كان يذهب أحيانا إلى مقر عمله السابق ويجلس بعض الوقت فى مكتب قديم له، حيث صار للمخابرات العامة رئيس جديد بعد أن تم تعيينه نائبا لرئيس الجمهورية.

نهاية الشهادة تصلح كبداية جديدة ... قدم من خلالها شهيب لدور عمر سليمان فى القصر الجمهورى خلال أيام الثورة.

يعود شهيب فى فصل عنوانه «حل مستحيل» إلى الحديث مرة أخرى عن أيام سليمان فى القصر الجمهورى، ويقول: من المؤكد أن عمر سليمان يجد لديه الوقت الكافى لمراجعة أحداث وتطورات الأسبوعين اللذين قضاهما فى منصب نائب الرئيس، وتولى خلالهما مسئولية علاج أخطر وأكبر أزمة سياسية فى حياته كلها، لكن من غير المؤكد أن هذا الرجل الذى

قضى أكثر من ثلث عمره في العمل المخابراتي سوف يفصح عن كل شيء، وتحديدا مشاعره وهو يحادث الرئيس السابق تليفونيا ظهر الجمعة الحادي عشر من فبراير، ليطلب منه ما اتفق عليه المشير طنطاوي والفريق شفيق معه، وهو ضرورة التنحي عن منصب رئيس الجمهورية، بل وهو يقرأ عليه بيان التنحي الذي صاغوه معا.

لقد وجد عمر سليمان - كما يرى شهيب - نفسه أمام أقدار تسوق إليه مهمة بالغة الصعوبة، وهي مهمة حل أزمة سياسية عنيفة وخطيرة بأقل قدر من الخسائر للرئيس مبارك الذي كان جل أمله في الأيام الأخيرة هو الخروج الآمن وليس الخروج المشرف مثلما كان يأمل مع بداية شهر فبراير، وبعد أقل من أسبوع من اندلاع مظاهرات 25 يناير.

ويذكر شهيب عندما دعا سليمان رؤساء المؤسسات الصحفية ورؤساء تحرير كل الصحف المصرية يوم 8 فبراير، أن قال له بوضوح ردا على السؤال الذي طرحه على الجميع، وهو كيفية الخروج من الأزمة: لا يستطيع أحد حل هذه الأزمة الآن، ولكن يمكن إدارتها فقط.وكان شهيب يقصد أنه فات أوان الحل الذي ينشده نائب الرئيس.

كان شهيب وقبل اللقاء بيومين فقط قد كتب مقالا نشرته له جريدة الأخبار، قال فيه: «نحن الآن إزاء لحظة فارقة من حياتنا وتاريخنا، إزاء نظام سياسي ينسحب، بينما لم يتقدم لحل محله نظام سياسي آخر، وفي ظل هذا الوضع سينشب عادة على السلطة صراع محموم وحاد، تشارك فيه كل القوى السياسية الموجودة على الأرض، بل وتشارك فيه أيضا القوى الإقتصادية المؤثرة والفاعلة التي تريد الحفاظ على مصالحها حتى لا تفاجأ بنظام سياسي يطال هذه المصالح أو يضرها» ... وهو ما جعله يجزم أنه لا حل ممكن للأزمة التي دخلها نظام مبارك، ويريد عمر سليمان إنقاذه منها.

كان عبد القادر شهيب يثق في عمر سليمان ويشفق عليه في الوقت ذاته، عرفنا سبب الشفقة، أما الثقة فقد أكدها بمواقف سابقة جمعته بعمر سليمان، يقول عنه: أعرف عن قرب أن عمر سليمان كانت له مآخذ عديدة ومتنوعة على السياسات التي انتهجها نظام مبارك في السنوات الأخيرة، خاصة بحكم موقعه كرئيس للمخابرات العامة التي يتجمع لديها كم هائل من المعلومات الصادمة أحيانا عن سلوك ومواقف وتصرفات المسئولين في الحكومة وخارجها.

يضيف شهيب: كنت مضطرا خلال الفترة التي توليت فيها مسئولية رئاسة مجلس إدارة دار

الهلال أن ألجأ إليه مرات عديدة لإنقاذى أنا ودار الهلال من محاولات يوسف بطرس غالى وزير المالية هدم هذا الصرح الثقافى الكبير والاستيلاء على مطبعته الجديدة فى مدينة 6 أكتوبر، وأذكر فى إحدى المرات التى ذهبت إليه شاكيا من تصرفات عدائية جديدة لوزير المالية، وجلست معه فى بهو أحد فنادق أثينا، حيث كنت ضمن الوفد الإعلامى المرافق للرئيس السابق فى زيارته لها، وكان سليمان ضمن الوفد الرسمى.

امتدت الجلسة بين سليمان وشهيب لأكثر من نصف ساعة، تطرق فيها الحديث إلى نقد سياسات حكومية عامة، وفى هذه الجلسة تحدث سليمان عما يفعله بعض الوزراء الذين كانوا يديرون دفة الإقتصاد المصرى بأسلوب أرهق كاهل الفقراء وأصحاب الدخول المحدودة والمتوسطة أيضا، قال سليمان: إنهم شوية عيال وسوف يخربون البلد.

يجيب شهيب على سؤال أعتقد أنه مهم فى تعاملنا مع عمر سليمان، وهو: كيف كان هذا الرجل يفكر وهو فى قلب الأزمة؟ وهل كان يعتقد مثلا أنه يمكن أن يخرج منها هو ونظامه؟

يقول شهيب: حدد عمر سليمان عناصر الأزمة التى يتصدى لإيجاد حل لها بأقل الخسائر فى خمسة عناصر، أولا: مطالب الشباب بالتغيير، ثانيا: نقص قدرات الشرطة لحفظ الأمن، ثالثا: شلل فى خدمات المواطنين ونقص فى الموارد، رابعا: تدخلات أجنبية للوصول إلى الفوضى، خامسا: اهتزاز الاستقرار والأمن.

كيف تصرف عمر سليمان؟

بالنسبة لمطالب الشباب بالتغيير طرح عمر سليمان التجاوب معها بنسبة كبيرة وممكنة فى الإطار الزمنى المتاح وهو وقتها 200 يوم، أى حتى حلول موعد الإنتخابات الرئاسية، وكان هذا يعنى استبعاد مطلبين أساسيين للثوار، ربما كان عمر سليمان مستعدا للإستجابة لأحدهما وهو الخاص بحل مجلسى الشعب والثورة.

أما المطلب الثانى والخاص برحيل مبارك فقد ظل عمر سليمان حتى قبل بضع أيام من إعلان التنحى يراه صعب القبول به، لأنه كما قال إن مبارك هو أحد أبطال حرب أكتوبر والمؤسسة العسكرية حريصة على أبطال أكتوبر، فضلاِ عن أن كلمة الرحيل، وهو الشعار

الذى رفعه المتظاهرون منذ اليوم الرابع للمظاهرات، كلمة رآها نائب الرئيس السابق تتناقض مع أخلاق الشعب المصرى، ولذلك كان يؤكد أنه لا نية لخروج الرئيس السابق من مصر حتى لألمانيا لإجراء فحوصات طبيى تلبية لدعوة المستشار ميركل.

أما بقية العناصر الأخرى للأزمة فقد كان إيجاد علاج لها من وجهة نظر عمر سليمان ليس مستحيلا، فهو كان يرى إمكانية استعادة الشرطة لقدراتها فى غضون شهرين، وإن كان استعادة معنوياتها يحتاج لدور أكبر، وكان يرى أن التدخلات الأجنبية هناك قدرة على مواجهتها، رغم أن هدف هذه التدخلات، أو المؤامرات طبقا لوصفه أيضا، ليس إسقاط النظام السياسى، إنما إسقاط مصر و إضعافها و إفقارها، بينما مواجهة شلل الخدمات ونقص الموارد، فقد كان عمر سليمان يراها مرهونة بتوقف المظاهرات والإعتصامات وعودة الهدوء، لينتظم العمل وتستأنف المؤسسات والمصانع الإنتاج.

عمل عمر سليمان على حل هذه الأزمة بعد أن حدد عناصرها من خلال الحوار، الحوار مع القوى السياسية التقليدية، وأيضا الحوار مع من أمكنه الحديث معهم من الشباب المشاركين فى اعتصام التحرير، لكن المفاجأة الحقيقية فى هذا الحوار الذى سعى إليه نائب الرئيس السابق تمثلت فى دعوته للإخوان للمشاركة فيه، وهم الذين ظل النظام يتعامل معهم كجماعة محظورة، وعمل على اقصائهم وإبعادهم عن البرلمان فى انتخابات مجلس الشعب التى أثارت استهجانا شعبيا واسعا، وكانت هى القشة التى قصمت ظهر بعير النظام السياسى.

كان عمر سليمان يرى أيضا طبقا لمعلوماته وتقديراته أن الإخوان جزء من المشكلة والأزمة التى وقع فيها النظام خاصة بعد أن انخرط الإخوان بقوة فى المظاهرات وقدموا الحماية للشباب المعتصمين فى ميدان التحرير للتصدى للعدوان الذى تعرضوا له خلال موقعة الجمل الشهيرة، فالإخوان ترددوا فى البداية فى الإشتراك فى مظاهرات 25 يناير، لكنهم حزموا أمرهم بعدما رأوا زيادة أعداد المتظاهرين وقتها واشتركوا بكل قوتهم فى مظاهرات يوم 28 يناير، وبالتالى لابد أن يكون الإخوان جزءا من حل هذه المشكلة أو هذه الأزمة، لكن نائب الرئيس حرص على التأكيد أنه لا توجد صفقة مع الإخوان وكان صادقا بالفعل، إلا أن الإخوان أداروا ظهورهم لحوار عمر سليمان رغم التلويح لهم بأن هذا الحوار مكسب لهم، لأنهم راهنوا وكان

رهانهم صحيحا، على سقوط النظام، فهم كانوا ينظرون للمستقبل ولا يأسرون أنفسهم فى حاضر صارت نهايته واضحة وحتمية.

انسحب الإخوان من حوار عمر سليمان، ولم يكونوا وحدهم الذين انسحبوا، بل لحقت بهم الأحزاب الأخرى مثل الوفد والتجمع والناصرى، فقد رأوا نفس النهاية التى تنتظر مبارك، وانتهت كذلك لقاءات عمر سليمان مع عدد من الشباب بإصرارهم على المطلب الرئيسى وهو رحيل مبارك أو تنحيه عن الحكم، وعندما خيرهم سليمان بين استمرار مبارك ليتولى نقل السلطة سلميا فى شهر سبتمبر وبين أن يتولى الجيش إدارة شئون البلاد قبلوا الإختيار الثانى ورفضوا بقاء مبارك، كان الإصرار كاملا على اسقاط النظام ورحيل مبارك عن السلطة.

يصف عبد القادر شهيب عمر سليمان بعد فشل مهمته فى الحوار مع القوى السياسية بأنه مثل طبيب تم تكليفه بمحاولة إعادة الحياة لمريض مات بالفعل إكلينيكيا ولم يتبق أمامه من شئ سوى فصل الأجهزة الطبية التى تمنح أهله وهما كاذبا بإمكانية إفاقته.

كانت نهاية النظام تنتظر فقط قدرا من الشجاعة لإعلانها، ولم يكن عمر سليمان فيما يبدو يمتلك هذه الشجاعة، ولذلك وفى نهاية لقاءه بالإعلاميين صباح 8 فبراير تحدث بشكل عفوى تماما عن احتمال حدوث إنقلاب عسكرى إذا لم تحل الأزمة، ووصف هذا الإنقلاب بأنه خطير وغير مطلوب.

كانت دلالة تصريح عمر سليمان عن الإنقلاب العسكرى الضرورى أنه أصبح مقتنعا تماما أنه لا حل سوى تنحى مبارك ... ورغم أن عمر سليمان لم يفكر أبدا فى أن ينقلب على مبارك، بل ظل حارسا أمينا على نظامه وعرشه حتى اللحظة الأخيرة، إلا أنه وربما مازحا، رد على سؤال: ومن يمكنه أن يقوم بهذا الإنقلاب؟ فقال: من يدرى..ربما أنا من يقوم بهذا الإنقلاب.

* * *

الشهادة هذه المرة تأتى من عبد اللطيف المناوى، الرجل الذى أدار منظومة الأخبار الرسمية أيام الثورة من موقعه كرئيس لقطاع الأخبار، وهى منظومة كانت فى خدمة نظام مبارك إلا قليلا، فقد أدرك المناوى أن كفة مبارك ورجاله لن تكون الراجحة أبدا، فحاول أن يغازل

الجميع وعلى رأسهم المجلس العسكرى بالطبع، وهو ما ضمن له على الأقل خروجا آمنا وبعيدا عن أية محاكمات من أى نوع.

أصدر المناوى كتابه الشهير «18 يوم» يوثق فيه لأحداث الثورة من الزاوية التى اطلع عليها، تبدو انحيازاته واضحة جدا، ولذلك وقفت على المشهد الأخير الذى جمع بين عمر سليمان ومبارك، كما يصفه المناوى.

فما حدث فى 11 فبراير كان أكثر دلالة، يقول المناوى: «فى منتصف اليوم - الجمعة - عندما كان الشعب منهمكا فى صلاة الجمعة،استقل الرئيس طائرة هليوكوبتر من القصر الرئاسى إلى مطار النزهة، ومن هناك استقل طائرة رئاسية إلى مقر إقامته فى شرم الشيخ، وقبل أن يغادر، تحدث الرئيس مع نائبه عمر سليمان فى القصر الرئاسى.

سليمان: هل أنت بحاجة إلى أى ضمانات؟

مبارك: لا .

سليمان: هل أنت بحاجة للذهاب إلى الخارج ... إلى أى مكان؟

مبارك: لا ... أنا لم أرتكب أى خطأ ... وأنا أريد أن أعيش فى هذا البلد،وسوف أعيش فى هذا البلد حتى نهاية حياتى، أنا اخترت شرم الشيخ ليكون المكان الذى سأقضى فيه ما تبقى من حياتى، لقد تركت كل شئ ... السياسة والسلطة، كل شئ..أريد فقط أن أعيش هنا.

سليمان: لديك بعض الوقت للتفكير فى الأمر إذا كنت تريد أن تفعل أى شئ آخر ... بعض الوقت أيام.

يصل المناوى إلى الفقرة الأهم، فبعد أن وصل مبارك إلى شرم الشيخ، وفى الواحدة والنصف ظهرا اتصل وزير الدفاع المشير محمد حسين طنطاوى بالرئيس، وأعتقد أن هذه قد تكون المكالمة الأخيرة، كانت المكالمة كما قال عبد اللطيف قصيرة جدا ... دارت هكذا.

مبارك: حسين قررت أن أفوض المسئولية كاملة لك وللجيش،أنت صاحب السلطة الآن.

طنطاوى: لا يا سيادة الرئيس ... سنجد وسيلة أخرى لم يكن هذا ما نريده.

مبارك: لا ... هذا قرارى ... تحدث مع عمر سليمان ورتبوا كيفية إعلان هذا النبأ ... خللى بالك من نفسك يا حسين.

أعلن عمر سليمان بعد ذلك تخلى مبارك عن مهام منصبه ،لكن تبقى دلالة ما جرى وما قيل وما تردد ... فالجيش كما يبدو لم يكن يرغب فى أن يتنحى مبارك ... المشير طنطاوى قال له: لم يكن هذا ما نريده ... يبدو فقط أن الأقدار قادت الأمور إلى ما استقرت عليه ... دون أن تكون هناك نية لا لحماية الثورة ولا لإجبار مبارك على التنحى ... هذا ما نفهمه ... فهل كان المناوى يقصد شئيا آخر.

لكن الأهم من ذلك فيما أعتقد أن هذه الشهادة بتناقضاتها مع الشهادات الأخرى التى جعلت عمر سليمان اللاعب الأساسى فى إبلاغ مبارك بضرورة تنيحه، تأتى وكأنها عزاء لمبارك أو من يسيرون على طريقه حتى الآن، من أن عمر سليمان والآخرين فعلوا ما فعلوه مع مبارك رغما عنهم، كانوا يريدون أن يظلوا الرجل حتى النهاية، لكن الشعب هو من أرغمهم على آن يتخلوا عنه.

❁ ❁ ❁

الشهادة الأخيرة تأتى ضمن كتاب» الجيش والثورة ... قصة الأيام الأخيرة» الذى كتبه الكاتب الصحفى مصطفى بكرى على ضوء لقاءات عديدة جمعته مع المشير طنطاوى والفريق سامى عنان واللواء عمر سليمان أيضا، فكما يقول هو أنه قضى خمسة أشهر فى أعقاب انتصار الثورة يبحث ويدقق ويستمع إلى شهادات من كبار المسئولين الذين عايشوا هذه الفترة وكانوا شركاء فى صناعة القرار فيها، ولذلك كان كثيرا مما كتبه مصطفى بكرى دقيقا.

يقول بكرى: لم يكن جمال مبارك راضيا عن تعيين عمر سليمان فى منصب نائب الرئيس، وجد أن هذا القرار يمثل انقلابا على حلم التوريث، لقد وافق على تغيير الحكومة وأصر على بقاء أنس الفقى فيها وزيرا للإعلام، ولكنه لم يكن موافقا على تعيين عمر سليمان فى منصب نائب الرئيس، وكان يرى أن هذه التنازلات ستفتح الباب أمام انهيار الوضع بمجمله، وأن التصدى ومواجهة ما يجىء فى الشارع بجميع الطرق هو الخيار الأفضل لأن التنازلات لن تؤدى إلا إلى مزيد من التنازلات.

كان عمر سليمان صريحا مع الرئيس، أكد له فى لقاء جرى بعد تعيينه أن الجيش المصرى

لن يتورط أبدا فى مواجهة مع المتظاهرين، وأن انهيار الشرطة لن تتم معالجته بسهولة، وأنه لو كان هناك خيار بين هدم البلد وتغيير النظام فليكن تغيير النظام.

كانت المهمة الأساسية لعمر سليمان هى إجراء حوار مع القوى السياسية، وكان سليمان يراهن على أنه إذا ما تمكن من إنجاح الحوار، فإنه حتما سوف يجد مخرجا للأزمة الراهنة التى تعيشها البلاد، وكانت اتصالاته مع القوى السياسية والأحزاب والتيارات الإحتجاجية لا تتوقف،ولكنه توقف أمام ثلاث معضلات هامة واجهته منذ بداية الثورة وحتى توليه منصبه الجديد وهى:

أولا: لم يكن هناك وضوح للرؤية إزاء ما جرى فى 25 يناير، هل هو مظاهرة احتجاجية أم ثورة ستمضى على الطريقة التونسية؟ و إذا كان الأمر كذلك فمن وراءها، وما هو التقدير لتطوراتها، وكيف يمكن التعامل معها؟

ثانيا: لم يكن أحد يتوقع انهيار جهاز الشرطة المصرية وهروبه من الميدان سريعا وبهذه الطريقة وترك البلاد فى حالة فراغ أمنى كبير.

ثالثا: الرئيس مبارك لم يكن مصدقا أو مقتنعا بأن الأمور يمكن أن تؤدى إلى اسقاطه، وكانت لديه ثقة كبيرة فى أن الأمر سينتهى سريعا، وتعود الأوضاع إلى ما كانت عليه، خاصة إذا ما قام بتغيير الحكومة وتعيين نائب للرئيس و إجراء تعديلات على المادتين 76 و 77 من الدستور.

المشكلة الأكبر التى واجهت عمر سليمان بعد أن أصبح نائبا للرئيس، أنه عندما عرض على مبارك الأوضاع التى آلت إليها البلاد، وجده أكثر ثقة بنفسه وأكثر اقتناعا أنه سيخرج من الأزمة سريعا، ثم أن جمال مبارك كان يصر على المشاركة فى جميع القرارات التى كانت تصدر فى هذا الوقت.

لم يكن الحوار مع القوى السياسية هو مهمة عمر سليمان الأخيرة فى إنقاذ نظام مبارك، بذل جهودا كبيرة لإقناع مبارك بإصدار قرارت من شأنها أن تنزع فتيل الأزمة، لكن يبدو أن الأمر كان قد تأخر جدا.

عرض سليمان على مبارك ضرورة اتخاذ إجراءات تهدئ الشارع وتخفض من حدة

التظاهرات، واقترح أن يطلب الرئيس من هيئة مكتب الحزب الوطنى تقديم استقالتها فورا، لكن مبارك تردد فى القرار، إلا أن سليمان قال له: ليس أمامنا مخرج آخر، الحزب يتحمل قدرا كبيرا من المسئولية عن هذه الأحداث التى تشهدها البلاد، خاصة بعد إصراره على تزوير الإنتخابات البرلمانية الأخيرة ورفض الاستماع إلى صوت العقل.

طلب مبارك من معاونيه استدعاء صفوت الشريف لحضور لقاء عاجل معه وبحضور جمال مبارك وزكريا عزمى لبحث هذا الأمر، وبالفعل عقد اللقاء وأبلغهم الرئيس بقراره، كان جمال وزكريا على علم بما جرى خلال لقاء مبارك مع نائبه، حاول جمال تأجيل القرار أو إلغاءه تماما إلا أنه لم يفلح، فقد كان عمر سليمان حاسما، بل هدد أنه قد لا يستمر فى حال إصرار الرئيس على بقاء الوضع على ما هو عليه.

كانت هناك معوقات كثيرة وقفت حائلا أمام عمر سليمان وهو يحاول إنقاذ نظام مبارك، منها مثلا أنه لم يكن يعمل وحده، كان الآخرون يدسون أنوفهم فى عمله، من ذلك مثلا أنه عندما أعد البيان الذى سيلقيه فى اللقاء الأول من لقاءات الحوار الوطنى أمسك صفوت الشريف بالبيان وراح يعدل فى كلماته ومضمونه، ورغم أن عمر أبدى إمتعاضا شديدا مما يفعله صفوت إلا أن الشريف لم يتوقف.

لست أدرى هل شعر وقتها عمر سليمان أنه مجرد واجهة ... جاء به مبارك إعتقادا منه أن الرجل يحظى بارتياح شعبى ... أم أنه كان على يقين بأنه مبعوث العناية الإلهية لإنقاذ نظام مبارك الذى كان قد مات بالفعل قبل أن يصل إليه سليمان.

يعلق مصطفى بكرى فى هذا الجزء من شهادته على عمر سليمان، يقول: لقد بدا للجميع أن النظام يمارس لعبة الخداع مجددا على الجماهير، فهو قبل استقالة هيئة مكتب الحزب الوطنى، إلا أنه ظل معتمدا على قيادات الحزب الرئيسية (صفوت الشريف - جمال مبارك - زكريا عزمى) فى كل شئ، وكان مطلوبا من عمر سليمان أن يبقى كواجهة فقط، بينما سيبقى القرار الأساسى فى يد هؤلاء الكبار وبرعاية مباشرة من الرئيس.

فى القصر الجمهورى التقى عمر سليمان بشخصيات كثيرة بحثا عن الحل من بينها أحمد زويل الذى وضع أمام سليمان خطة كاملة لحل الأزمة والخروج من المأزق، وكان من بنودها:

قيام نائب الرئيس بمهمة الإصلاح السياسى، تكوين مجلس من القانونيين والشخصيات العامة من ذوى الثقل لتعديل الدستور (خاصة المواد 76 و77 و87 و139)، وإلغاء العمل بقانون الطوارئ، وتعديل قوانين الأحزاب ومباشرة العمل السياسى، والإفراج عن المعتقلين السياسيين، وإجراء إنتخابات حرة نزيهة تحت الإشراف القضائى الكامل، وإحداث تغيير جذرى فى منظومة الإعلام.

لكن ما قاله أحمد زويل كان بعيدا جدا، خاصة فيما يتعلق بقيام عمر سليمان بمهمة الإصلاح السياسى، فالرجل لم تكن لديه صلاحيات، ولم تكن فى يديه سلطات ... فجمال مبارك كان يحاصره من كل الإتجاهات.

كان جمال يحمل أملا كبيرا فى انتهاء الأحداث وفض المظاهرات وعودة الأمور جميعا إلى مسارها الصحيح، ومن بين ما نجح فيه تأجيل قرار والده بإصدار تفويض بنقل إختصاصاته كاملة إلى نائبه، فى محاولة أخيرة منه لإنقاذ النظام.

كان مبارك قد عقد العزم بعد موقعة الجمل تحديدا - حدثت فى 2 فبراير 2011 - على نقل اختصاصاته لعمر سليمان، لكن جمال وقبل أن يصدر القرار ربما بساعات، قدم لوالده معلومات خاطئة تشير إلى احتمال إنهاء المتظاهرين تجمعاتهم واعتصاماتهم فى أقرب وقت ممكن، وسيكون من الصعب أن يصدر الرئيس تفويضا لنائبه، لن يستطيع العودة فيه مرة أخرى.

ولأن الإجتماعات لم تكن تنتهى، فقد اجتمع مبارك فى 7 فبراير 2011 بأعضاء مجلس الأمن القومى، وكان سليمان موجودا فى الإجتماع، بل كان أول المتحدثين، حيث أشار إلى أن مطالب المتظاهرين لا تتوقف عند حد معين، بل هى فى تصاعد مستمر حتى وصلت إلى المطالبة برحيل الرئيس عن الحكم.

وكشف سليمان لمبارك أن الإخوان المسلمين والوفد والناصريين وشباب الثورة رفضوا الاستمرار فى الحوار دون رحيل الرئيس، لكنه على أية حال - كما قال- مستمر فى جهوده وإن كان غير متفاءل بالمرة من النتيجة.

تحدث عمر سليمان عن مواقف بعض القوى الدولية وخاصة الولايات المتحدة،

وأبدى دهشته الشديدة من تدخل الرئيس الأمريكى شخصيا فى الأزمة التى تعيشها مصر، وممارسته الضغوط وتحريضه بعض الدول الغربية والتنسيق مع عدد من دول المنطقة لتحقيق الهدف ذاته.

مراد موافى الذى أعقب عمر سليمان على كرسى مدير المخابرات والذى كان حاضرا الإجتماع أيضا أشار إلى أن الأوضاع تزداد تدهورا، وأكد على وجود دور لبعض الأطراف الإقليمية والدولية فى إشعال الموقف، ورصد تسلل بعض العناصر القادمة من الخارج إلى ميدان التحرير وبعض المناطق الأخرى.

اللواء محمود وجدى وزير الداخلية وقتها كان محددا فى كلامه، إذ كشف للموجودين فى الإجتماع عن تقرير تضمن عددا من الحقائق منها:

أولا: وجود مخاوف حقيقية من زحف المتظاهرين إلى القصر الجمهورى ومحاصرة المنشآت الحيوية فى البلاد.

ثانيا: استمرار أزمة انعدام الثقة بين الشعب والشرطة، وعدم قدرة الشرطة على القيام بمهمتها على الوجه الأكمل، فى ضوء الإعتداءات التى شهدتها الأقسام والسجون و إحراقها.

ثالثا: انتشار حالات الفوضى فى العديد من المناطق وانتشار البلطجة وقطع الطرق بسبب هروب أعداد كبيرة من السجناء.

رابعا: تحرك واسع لجماعة الإخوان المسلمين فى الشارع والسعى إلى تصعيد المواقف فى كل المحافظات للمطالبة بإسقاط النظام.

فى هذا الإجتماع حدث ما أغضب مبارك من المشير طنطاوى الرجل الذى كان وقتها صاحب الكلمة الأولى وربما الأخيرة فى الحفاظ على هذا النظام.

تحدث طنطاوى فقال: الأوضاع تزداد تدهورا فى البلاد، والتعامل لا يزال يتميز بالبطء الشديد، ولابد من اتخاذ قرارات صعبة تستجيب لمطالب المتظاهرين، وفى حال زحف المواطنين لمحاصرة مؤسسات الدولة بما فيها القصر الجمهورى، فالموقف سيزددا صعوبة وتعقيدا.

سأله مبارك: وماذا عن دور القوات المسلحة فى حماية الشرعية الدستورية؟

فرد طنطاوى: القوات المسلحة تبذل قصارى جهدها فى حماية منشآت الدولة والتصدى لأعمال البلطجة والانفلات الأمنى فى غياب الشرطة، ولكن الجيش لن يستطيع استخدام العنف أو إطلاق الرصاص ضد أبناء الشعب، مهما كان الثمن فى المقابل.

وختم طنطاوى كلامه بطلب بدا أقرب إلى النصيحة،قال: إننى أطالب بتقديم تنازلات سياسية كبيرة لإعادة الأمور إلى نصابها الصحيح وتهدئة الشارع.

بدا مبارك عصبيا فى هذ الإجتماع، أدرك أن طنطاوى لم يكن رجله الذى يمكن أن يعتمد عليه، وهنا ظهرت معركة فى الخفاء بين جمال مبارك وعمر سليمان.

اقترح جمال أن يتم تعيين الفريق حمدى وهيبة رئيس الأركان السابق ورئيس الهيئة العربية للتصنيع وزيرا للدفاع، وطرح كذلك اسم اللواء نجيب محمد عبد السلام قائد الحرس الجمهو رئيسا للأركان بديلا للفريق سامى عنان، اعتقادا منه أن ولا ء طنطاوى وعنان لم يعد لأبيه، وأنه بهذا التغيير يمكن أن يستعيد السيطرة على الجيش.

نسف عمر سليمان هذا الإقتراح على الفور، بل حذر مبارك من أى تغييرات فى الجيش، لأنها حتما ستأتى بنتائج عكسية، فاستجاب له مبارك رغم الضغوط الكبيرة والكثيرة التى مارسها عليه جمال ابنه.

يقول مصطفى بكرى أنه وفى الإجتماع الذى عقده عمر سليمان مع رؤساء التحرير صباح 8 فبراير 2011 طلب من نائب الرئيس أن ينصح الرئيس مبارك بالسفر إلى ألمانيا أو أى بلد غيرها ويترك السلطة؟

فقال له سليمان: أنت تعرف أن أخلاقنا تمنع ذلك، ولو أجرينا استفتاء بين الشعب حول ما إذا كان يريد بقاء الرئيس أو رحيله فسوف تكون النتيجة 80 بالمائة لصالح استمرار الرئيس فى الفترة المتبقية له فى الرئاسة ... ثم أن مبارك لن يترك البلد ولن يغادرها إلى ألمانيا أو إيطاليا أو أى مكان آخر، فهو باق فى بلده، وسوف يدير خارطة الطريق نحو التغيير إلى أن تنتهى ولايته.

فى الغالب لم يكن عمر سليمان يتحدث عن حقائق على الأرض، بل كان يتحدث عن أمنيات ربما ... أحلام ممكن ... لكنه كان يعرف أن كل شئ انتهى تماما.

ولذلك كان لابد أن ينزل الستار، ويصبح هو واحدا من الذين أنزلوه على مبارك الذى كان رافضا وبشدة أن يغادر مكانه ... وهنا رواية مصطفى بكرى عن اللحظات الأخيرة ... التى نضع أيدينا فيها على ثلاث مكالمات دارت بين مبارك وسليمان انتهى خلالها كل شئ.

كانت الساعة قد بلغت الثانية والنصف من بعد ظهر الجمعة 11 فبراير، اقترب عمر سليمان من الهاتف الأرضى بالصالون الملحق بمكتب المشير، جلس الثلاثة الكبار يتابعون إلى جواره وقائع أخطر عشر دقائق فى تاريخ الثورة المصرية.

كان الرئيس يجلس فى هذا الوقت داخل صالونه بفيلا شرم الشيخ، عندما قام اللواء حسين محمد بإبلاغه أن النائب عمر سليمان على الهاتف ويطلب محادثته على الفور.

ودار الحوار

سليمان: حمدا لله على سلامتك يا ريس.

مبارك: أهلا يا عمر إيه الأخبار خير إن شاء الله؟

سليمان: الأوضاع بتزداد سوء يا ريس لازم نشوف حل.

مبارك: فيه إيه تانى (يقصد مبارك ربما أنه ترك القاهرة إلى شرم الشيخ وتفويض صلاحياته لعمر)

سليمان: لأ الوضع صعب جدا.

مبارك: أنا قدمت كل ما عندى وفوضتك فى كل المسئوليات اتصرف انت ... البركة فيك.

سليمان: الناس رافضة التفويض يا ريس.

مبارك: ليه؟ عاوزين ايه؟ أنا تركت كل حاجة، وجيت على شرم الشيخ، إيه المطلوب منى أكتر من كده؟

سليمان: الناس مش مقتنعة وبتقول إن دى تمثيلية.

مبارك: تمثيلية إزاى يا عمر ... بالذمة ده كلام، أنا مش عاوز حاجة أنا خلاص حرتاح من المسئولية والحكم ومشاكله ... اتصرف انت.

سليمان: أتصرف إزاى يا ريس ... المتظاهرين بيرفضوا أى قرار وغير مقتنعين بأى كلام.

مبـارك: اطلع قول لهم بيان تانى، هو الجيش مش أعلن إنه بيتعهد بتنفيذ كل المطالب ... إيه المطلوب؟

سليمان: يا ريس الدنيا قايمة، الناس كلها ضدى وضدك، افتح التليفزيون وتقدر تشوف.

مبـارك: فى ايه فى التليفزيون؟

سليمان: ناس كتيرة، مئات الآلآف وصلت لقصر الإتحادية، الوضع صعب للغاية، ولابد من حل عاجل وسريع يهدئ الناس وينقذ البلد.

مبـارك: طيب الحرس الجمهورى يمنعهم، همه عاوزين ايه أكتر من كده؟

سليمان: أنا بنقل لك رغبتى ورغبة المشير فى ضرورة أن تأخذ قرار تاريخى لإنقاذ مصر.

مبـارك: إيه المطلوب منى؟

سليمان: تتنحى يا ريس.

مبـارك: ايه؟ اتنحى ... هى دى آخرتها يا عمر.. أمشى بالطريقة دى؟

سليمان: من أجل مصر ومن أجل شعب مصر لازم تتنحى يا ريس.

مبـارك: أيوه بس إزاى؟ أنا عملت كل اللى على، عينت نائب للرئيس، وشلت الحكومة، وقلت لا أنا ولا جمال حنترشح، أقلت كل قيادات الحزب، عملت التعديلات الدستورية، إيه المطلوب منى أكتر من كده؟

سليمان: أرجوك يا ريس افتح التليفزيون وأنت بنفسك حتقدر الموقف، وأنا واثق إنك حتاخد القرار الصحيح.

مبـارك: يا عمر أنت عارف أنا ولا تفرق معايا، أنا خايف على البلد من الفوضى، صدقنى أنا مش عاوز حاجة، كفاية على ستين سنة وأنا باخدم مصر، أنا بس خايف على البلد.

سليمان: الوضع فى البلد يستوجب تنحيك عن الحكم، علشان الناس تهدأ يا ريس.

مبارك: يعنى هو ده الحل الوحيد اللى عندك يا عمر.

سليمان: هذا الحل من أجل مصر يا ريس.

مبارك: طب والباقيين رأيهم إيه؟

سليمان: هذا ليس رأيى وحدى، هذا قرار جماعى أنا موجود وإلى جوارى الفريق أحمد شفيق والمشير طنطاوى ورئيس الأركان سامى عنان، كلنا متفقين على هذا القرار.

مبارك: طيب إذا كان مفيش غير كده، ابعت لى التليفزيون واكتب الصيغة علشان أقولها فى خطاب قصير للناس.

سليمان: مفيش وقت يا ريس إزاى ابعت تليفزيون لشرم الشيخ وانتظر والأوضاع بتتفاقم، وأنا خايف أحسن البلد تدخل فى بحور من الدم، أرجوك يا ريس عاوزين نخلص.

مبارك: طيب انت وضعك الدستورى ايه بعد التنحى؟

سليمان: أنا ميهمنيش هيكون وضعى ايه، المهم ننقذ البلد وبأقصى سرعة.

مبارك: طيب شوف انتو عاوزين صيغة التنحى إزاى وقولولى،وخلى بالك لازم تدرسوها كويس من الناحية الدستورية، حتى لا تقعوا فى حيص بيص.

سليمان: احنا بندرس الموقف من الناحية الدستورية وحنكلمك.

مبارك: وأنا فى الإنتظار.

كانت وجهة نظر عمر سليمان التى أخبر بها طنطاوى وأحمد شفيق أنه إذا كانت هناك رغبة حقيقية فى انقاذ البلاد من مخاطر الفوضى السياسية والدستورية والأمنية، فالقوات المسلحة وحدها هى القادرة على إنقاذ الأوضاع فى هذه الفترة التاريخية المهمة.

طلب المشير طنطاوى سؤال بعض الشخصيات الدستورية والقانونية حول الصيغة المثلى لنقل السلطة فى البلاد؟ فقال عمر سليمان: المسألة ليست فى حاجة إلى دستوريين أو غيرهم،

الخيار الدستورى الصحيح يقضى بنقل السلطة من الرئيس إلى القوات المسلحة استنادا إلى الشرعية الثورية.

فى ضوء ما رآه عمر سليمان تم الإنتهاء من الصيغة النهائية للتنحى، لتبدأ الكالمة الثانية بين الرئيس ونائبه، التى بدأها سليمان بقراءة بيان التنحى على مبارك.

مبارك: ماشى على بركة الله، بس أنا لى شرط واحد، لا تعلن هذا القرار إلا بعد رحيل الهانم وابنى جمال إلى شرم الشيخ، معلشى أنا عاوز أضمن إنه مفيش حد يتعرض لهم.

سليمان: ماشى يا ريس ... بس أرجوك خليهم يستعجلوا علشان الوضع صعب جدا حول القصر الجمهورى، وأنا كمان خايف عليهم.

مبارك: أنا حبلغهم دلوقتى، وأنت والمشير اعملوا كل الإجراءات.

سليمان: هل لك طلبات أخرى يا ريس؟

مبارك: لا أنا مش عاوز حاجة.

سليمان: موش عاوز ضمانات ... أى حاجة؟

مبارك: ضمانات إيه يا عمر وعلى ايه؟

سليمان: ضمانات بعدم الملاحقة القضائية مثلا؟

مبارك: ليه يا عمر وهو أنا عملت إيه علشان حد يلاحقنى قضائيا؟

سليمان: محدش ضامن الظروف يا ريس.

مبارك: يا راجل قول كلام غير كده، أنا معملتش حاجة عشان تقولى الكلام ده، وبعدين حيلاحقونى قضائيا على ايه؟ ده أنا لو وافقت على الكلام ده يبقى أنا عملت حاجة غلط، إنت عارف يا عمر، أنا طول عمرى بخدم البلد دى، قدمت لها حياتى كلها، ولم أؤذ أحدا أو أنهب حاجة، ما انت عارفنى، كل حاجة واضحة عندى.

سليمان: لكن يا ريس ... أنا من رأيى إن الإحتياط.

مبارك: لا أنا مش عاوز أى ضمانات أنا موش حسيب مصر، ولو كنت عملت حاجة غلط، فأنا مستعد للمحاكمة،لكن موش عاوز أى ضمانات من أى نوع، لأن ده موضوع مش كويس، وصورتى قدام الناس حتبقى زى اللى عامل عملة وخايف.

ألقى عمر سليمان بيان التنحى منهيا نظام مبارك فى كلمات قليلة، ولتكون المكالمة الأخيرة بين الرئيس ونائبه خلال هذا اليوم.

سليمان: يا سيادة الرئيس أتمنى عليك أن توافق على السفر إلى خارج البلاد خوفا من أى مشاكل.

مبارك: أنا لن أسافر، لماذا أسافر؟ أنا لست خائفا من شئ حتى أهرب، أنت تعرف أنا جندى مقاتل ولا أهرب من الميدان.

سليمان: هذا ليس هروبا يا سيادة الرئيس، أرجوك المجلس العسكرى عمليا سوف يتسلم السلطة بعد قليل، فلا داعى لإحراجهم.

مبارك: ولماذا أحرجهم، أنا تركت السلطة وكل شئ، وكل ما أريده هو أن أعيش ما تبقى لى من عمر هنا على أرض مصر وأدفن فى ترابها.

سليمان: إذن طالما أنت مصمم على ذلك، أرجو منك أن تسمح بسفر أسرتك إلى خارج البلاد، لقد عرضت عليك هذا الأمر قبل ذلك ورفضت، أظن أن الوقت بات مناسبا.

مبارك: نحن أسرة متماسكة والأسرة سوف ترفض السفر، وسيبقون إلى جوارى ولن يتركونى وحدى، لقد رفض كبار رجال النظام السفر وصمموا على البقاء إلى جوارى، فهل تظن أن أسرتى سوف تسمح لنفسها بالسفر إلى خارج البلاد وتركى وحدى، لقد تعاهدنا على البقاء على أرض مصر.

سليمان: ولكنى ما زلت أتخوف من ردود الأفعال.

مبارك: لا لن يحدث شئ، هذا شعبى وأنا أعرفه، نحن لن نهرب، قد نسافر فى يوم ما، لكننا سنعود مرة أخرى، ولن نهرب ونترك البلاد تحت أى ذريعة.

سليمان: لقد طلب منى المجلس العسكرى إبلاغك بأن أمامك فرصة لمدة أسبوع، إذا أردت خلالها السفر إلى خارج البلاد أنت وأسرتك، فهم جاهزون كما أنه ليس هناك ما يعوق سفرك فى أى وقت تريد.

مبارك: أرجو أن تشكر لى المجلس العسكرى،وأبلغهم أننى سأبقى هنا على أرض مصر، وسأقيم بشرم الشيخ إقامة دائمة.

هل بقى شئ؟

بقيت مكالمة رابعة جرت بين عمر سليمان وسوزان مبارك، التى كانت رافضة تماما للرحيل عن بيتها، هكذا قالت ... وهنا نسجل الحوار التليفونى كما دار بينهما.

سوزان:أنا مستغربة أنتم عاوزين مننا إيه؟

سليمان: الأوضاع حول القصر صعبة، وأنا والمشير خايفين على أمنك الشخصى انت وجمال.

سوزان: كل المشاكل اللى حصلت دى بسبب موقف المشير وتخليه عن الرئيس.

سليمان: مفيش وقت أرجوك الطيارة حتبقى جاهزة خلال نص ساعة وده وقت كافى علشان تجهزوا.

سوزان: لا أنا مش حسيب بيتى وأمشى، ده بيتى وملوش علاقة بالقصر ولا بالدولة.

سليمان: الناس حول البيت من كل اتجاه.

سوزان: قول للمشير مسئوليته أنه يحمى أسرة الرئيس.

سليمان: القوات المسلحة لن تسمح بالمساس بكم لكن أرجوك ساعدينا.

سوزان: أرجوكم أنتم كفاية بقى أنا مش حسيب بيتى.

سليمان: تقدرى ترجعى مرة تانية، لكن دلوقتى لازم تغادرى فورا،

سوزان: أنا لن أترك بيتى ومش رايحة شرم الشيخ، وحسنى مبارك لا يزال رئيس الجمهورية والحرس الجمهورى لازم يحمينا.

سليمان: خلى بالك هناك مئات الآلآف من المتظاهرين حول القصر ومقر الإقامة، كل دول لن يذهبوا إلا بعد أن يتأكدوا أنه لا يوجد أحد فى القصر أو المقر.

سوزان: دى مش مشكلتى، ده بيتى أنا والرياسة لا علاقة لها به من قريب أو بعيد، بلاش كونى قرينة الرئيس، أنا مواطنة مصرية، وهذا حقى.

سليمان: عندك حق، لكن الأوضاع صعبة، والرئيس غادر وأنت كمان لازم تغادرى، أنت وجمال فورا.

سوزان: لا أنا مش همشى.

فى النهاية انصرفت سوزان مبارك ... فلم يكن أمامها طريق آخر تسكله.

تحدث سليمان إلى جمال مبارك، أخبره أن القوات المسلحة لن تسمح ببقاء أحد داخل مقر الإقامة عند الخامسة مساء وأنه يحمله تبعات موقف والدته، وألح عليه سليمان: لا تحرجونا أكثر من هذا.

حاول جمال أن يقنع والدته بالرحيل، لكنها رفضت، تقدم نحوها، أمسك بذراعها بعنف لدفعها خارج المنزل، إلا أنها راحت تضربه على وجهه، وتقول له: أنا مش همشى انت خايف زى أبوك، لو سبنا بيتنا مش هنرجع تانى.

أصرت سوزان فلم يجد جمال أمامه إلا أن يجرها حتى باب البيت الرئيسى، وساعتها لم يكن أمامها إلا أن تمضى إلى الطائرة تاركة بيتها إلى المجهول.

❋ ❋ ❋

حتى الآن كلها شهادات عبر وسطاء، لكن ماذا قال عمر سليمان نفسه، تحديدا عن تنحى مبارك ودوره فى ذلك؟

كانت هناك ربما إنحيازات بأن عمر سليمان أجبر على تلاوة بيان التنحى من قبل المجلس العسكرى، وأنه ومبارك كان يرفضان تماما أن تنتهى المسألة بهذا الشكل المهين، لكن ما جرى ومن على لسان سليمان كان غير ذلك تماما.

يقول: أنا اتفقت مع الرئيس السابق أن يذهب إلى شرم الشيخ قبل صلاة الجمعة، وعندما اتصلت به وجدته لا يزال فى القاهرة، وقلت له إننا اتفقنا على أن تذهب إلى شرم الشيخ، وبعد مكالمتى تحرك بالفعل إلى هناك، ووقتها كان حجم التدفق نحو مقر الرئاسة يتزايد بشكل كبير، فقررنا أن ننتقل من قصر الإتحادية الرئاسى، ونذهب للعمل من مكان آمن، ثم غيرنا رأينا ودخلنا إلى قيادة الحرس الجمهورى لنتابع مع مركز عمليات القوات المسلحة ما يحدث حتى الساعة الثالثة والنصف، ثم ذهبنا إلى وزارة الدفاع أنا وأحمد شفيق، وقابلنا سيادة المشير هناك لنفكر فى الترتيبات والقرارات الواجب اتخاذها خاصة بعد تصاعد حجم المتظاهرين والاستنفار فى كل مكان، خاصة بعد البيان الأخير الذى تلاه الرئيس السابق، فقد كان رد الفعل فاشلا، وأدى البيان إلى تسخين الأجواء بطريقة كبيرة، وبدأت الهتافات تنتقل ضدى شخصيا فى الميادين، أى أن تفويضى بالسلطة سقط شعبيا بسبب هذا البيان، وخلال ذلك قال أحمد شفيق إن الرئيس يجب أن يعلن رحيله فورا حتى يهدأ الناس، فسأل المشير: من يخبره بذلك؟ فقلت: أنا سأكلمه.

يضيف سليمان: طلبته فى التليفون بعد ذلك، وقلت له أنت تشاهد التليفزيون والأمر ازداد صعوبة، وحتى تفويضى كنائب سقط شرعيا بعد الخطاب، وقلت له إنه من الأفضل أن يعلن الرحيل تماما، فلم يظهر أى معارضة، وقال لى: شوف مع المشير عايزين تعملوا إيه وأنا موافق، ففكرنا فى صياغة الموقف ثم طلبته مرة ثانية، وقلت له إنه يجب إعلان تنحيه، فقال: أرسلوا لى التليفزيون وجهزوا لى بيانا وأنا سأقول ما تريدون، فقلت له إننا ليس لدينا كل هذا الوقت لكى يخرج البيان منه شخصيا، فوافق على أن أجهز البيان وأتلوه على الناس كما حدث.

يستكمل سليمان روايته: مبارك كان يرى أن الأمر يجب أن يكون فى يد القوات المسلحة، لأنها عمود الخيمة فى هذا البلد، وكل ما طلبه منى هو أن أؤجل تلاوة البيان حتى يتحرك أبناؤه من القاهرة نحو شرم الشيخ خوفا عليهم واستجبنا لذلك، فقمت بتسجيل البيان وأرسلناه للتليفزيون، وأمر المشير بعدم إذاعة البيان حتى يصدر هو الأمر شخصيا حسب ما وعدنا به الرجل وقد كان.

وعن أسرة الرئيس يقول سليمان: لم ترحل السيدة سوزان مبارك مع زوجها، لم تكن تريد الرحيل نهائيا، وقد قاومت كثيرا ذهابه إلى شرم الشيخ، كانت تقول لماذا تريدوننى أن أترك بيتى؟ ولماذا نرحل؟ وماذا فعلنا حتى نرحل؟ وكانت تقاوم هذا الشعور بالرحيل عن الرئاسة، وكانت متمسكة حتى اللحظة الأخيرة، كان صعبان عليها الموقف إنسانيا، ولكننا لو تباطأنا فى اتخاذ هذا القرار، والإسراع فى صدور بيان التنحى، لكان الأمر سينتقل إلى الأسوأ، ولكن ربنا وفقنا فى إنقاذ البلد من أى تصعيد عنيف آخر محتمل.

❋ ❋ ❋

كل هذه الشهادات لا تضع أيدينا على كل ما فعله عمر سليمان خلال الأربعة عشر يوما التى قضاها نائبا للرئيس فى القصر الجمهورى، فقط تتعامل معنا على طريقة الفيل والعميان، كل أعمى يصف جانبا من جوانب الفيل، دون أن يتعرف على حقيقته.

وقد يكون مناسبا فى البداية أن أعلق على نصوص المكالمات التليفونية التى نشرها مصطفى بكرى، ودارت بين عمر سليمان والرئيس مبارك، وهى مكالمات دقيقة وتفصيلية، وقد شكك البعض فيها، وسخروا من مصطفى بكرى، على أساس أنه لا يمكن أن يحصل على هذه النصوص بشكلها هذا إلا إذا كان يقف فى منتصف الطريق خلال الأسلاك بين الرئيس ونائبه، ثم بين الرئيس وزوجته.

ومن يقولون ذلك لا يعرفون على وجه التحديد الطريقة التى يعمل بها الصحفيون، فالأمر لا يحتاج إلى قدرات خارقة على التجسس والتخفى، فهذه المكالمات موجودة بنصها ضمن التقارير التى تحتفظ بها الجهات الأمنية، وهى جهات تقوم بتفريغ المكالمات كما جرت تماما، وصحفى مثل مصطفى بكرى لا يكون عاجزا بأى حال من الأحوال عن الحصول على هذه المكالمات.

ثم أن كثيرا من تفاصيل الحوارات التى دارت بين مبارك وعمر سليمان وردت ضمن مصادر أخرى، صحيح أن هناك إختلافات فى الطريقة التى دارت بها الحوارات، فبينما يؤكد بكرى أن عرض سليمان على مبارك ضمانات كافية بعد تنحيه تم تليفونيا، يجزم عبد اللطيف المناوى أن الحوار تم وجها لوجه بين الرجلين، وهو ما يعنى أنه تم فى النهاية بصرف النظر عن الطريقة التى جرى بها.

قد يشكك الكثيرون فيما جرى على يد عمر سليمان خلال الأربعة عشر يوما، ولا يوجد مصدر حاكم حكم فى الأمر، خاصة أن عمر سليمان لم يتحدث إلا قليلا عما جرى منه وله، وهو ما يجعلنا نذهب إلى مساحة مختلفة تماما عن تفاصيل ما جرى إلى السؤال عن الكيفية والعلة.

والسؤال: هل نجح عمر سليمان فى المهمة التى من أجلها جاء به مبارك نائبا لرئيس الجمهورية؟

الحقيقة أن عمر سليمان نجح لكن فى المهمة التى لم يأت من أجلها.

كان عمر سليمان مكلفا بإدارة حوار وطنى مع القوى السياسية لإحتواء الأزمة، لكنه فشل تماما فى إدارة الحوار، ربما لأنه فشل فى تحديد الجهة الصحيحة التى كان يجب أن يجرى معها حواره، لقد استعان بالقوى السياسية التقليدية، وهى قوى لم تكن لها كلمة ولا تأثير فى الشارع.

وهو جاء كذلك من أجل الحفاظ على نظام مبارك من الزوال، لكنه فشل فى ذلك تماما، لينجح فقط فى المهمة التى لم تأت لمبارك على بال وهو يكلف صديقه بمنصب النائب، وهى إزاحة مبارك والتخلص منه، فقد كان هو من أخبر مبارك بضرورة أن يتنحى، وكان هو بنفسه من أذاع بيان التنحى المقتضب، وأعتقد أن هذه كانت اللحظة الأصعب فى حياة عمر سليمان كلها.

فشل عمر سليمان أيضا أن يقنع الشارع المصرى أنه يمكن أن يكون بديلا عن مبارك، فقد هتف المصريون بسقوطه هو أيضا، رغم أنه نفسه الرجل الذى رفع مصريون صوره فى خريف 2010 وقبل الثورة بشهور قليلة وطالبوا بأن يكون رئيسا، فلا الإخوان ولا جمال ولكن عمر سليمان.

لكن عندما جاءت الفرصة لم يصمد الرجل أمام غضب الشارع، وقد يكون السبب فى ذلك أن عمر سليمان ظل مخلصا لمبارك طوال الوقت، ولم يعلن إنحيازه للشارع فى الوقت المناسب، كان يحاول فقط أن ينقذ سفينة عرف الجميع أنها غارقة لا محالة إلا هذا الرجل الطيب ... ولا أقول الساذج.

الفصل السابع

7



ضد الإغتيال

خبر محاولة إغتيال مدير مخابرات مثل عمر سليمان فى حكم السياسة خبر أكثر من عادى ... فالرجل كان طوال عمله بالمخابرات مستهدفا من أكثر من جهة، وفى أرشيف سليمان عدد من محاولات الإغتيال، بعضها مجهول، وبعضها معروف وتناولته الصحف.

المحاولة الأولى كانت غامضة جدا، جرت فى نوفمبر 2009، وطبقا لما ذكرته شبكة الـ cnn الإخبارية وقتها أن رئيس المخابرات المصرية ووزير الخارجية أحمد أبو الغيط نجا من كارثة جوية محققة، وذلك أثناء توجههما إلى اثيوبيا، نتيجة إصابة الطائرة التى كانا يستقلانها بخلل فنى.

وطبقا للرواية السياسية للحادث فإن قائد الطائرة اكتشف الخلل الفنى فى الطائرة، بعد أن أقلعت من مطار القاهرة، فأبلغ سلطات المراقبة الجوية فى مطار الأقصر، وطلب الهبوط اضطراريا دون أن تتضح طبيعة العطل الفنى الذى أصاب الطائرة.

وطبقا لرواية الأهرام فإن وزير الخارجية ورئيس المخابرات العامة استقلا طائرة أخرى من مطار الأقصر وعادا بها إلى القاهرة، دون أن يكملا رحلتهما إلى أثيوبيا، فى زيارة لم يتم الكشف عن أسبابها.

المقربون من الحادث أشاروا إلى أن نافذة من نوافذ الطائرة تحطمت تماما، وأنه هذا ليس طبيعيا خاصة مع طائرة من المفروض أن مدير المخابرات العامة يستقلها، وهو ما ألقى بظلال من الشك على الحادث كله، وتم تفسيره على أنه محاولة إغتيال لم تنجح فى النهاية.

وقتها دخل عمر سليمان وأحمد أبو الغيط فى جملة مفيدة تتعلق بإسرائيل؟

فسليمان كان قد لعب دورا فى التقريب بين الفصائل الفلسطينية المختلفة، بهدف تحقيق مصالحة وطنية تنهى حالة الإنقسام فى الشارع الفلسطيني، كما توسط فى المفاوضات بين حركة حماس والحكومة الإسرائيلية حول تبادل الأسرى، بهدف تعزيز جهود التهدئة فى قطاع غزة.

أما أحمد أبو الغيط فقد التقى بمقر وزارة الخارجية بالقاهرة كل من رئيسى المفوضية الدولية لعدم الإنتشار ونزع السلاح النووى، حيث أكد رفض مصر فرض أية إلتزامات إضافية على الدول العربية «غير النووية» لحين انضمام إسرائيل إلى اتفاقية منع الإنتشار النووى ... أبو الغيط شدد فى هذا اللقاء أيضا على ضرورة أن يتضمن تقرير المفوضية المطالب العربية بإخلاء منطقة الشرق الأوسط.

وكان كل من عمر سليمان وأحمد أبو الغيط قد قاما قبل رحلتهما - التى لم تتم إلى أثيوبيا - بعدة جولات شملت العاصمة السودانية الخرطوم، والعاصمة الليبية طرابلس، ضمن سلسلة من الجهود لتجنب مثول الرئيس السودانى عمر البشير، أمام المحكمة الجنائية الدولية، على خلفية إرتكابه لجرائم حرب فى دارفور.

هذا فى النهاية نشاط لا يمكن لأحد أن يؤاخذ عمر سليمان أو أحمد أبو الغيط عليه، ولا يمكن أن يكون هناك من ترصد لهما بسبب هذا النشاط، لكن الحادث فى النهاية لم يكن عابرا، والحديث عن عطل فنى يمكن أن يكون ساذجا وسخيفا فى آن واحد.

كانت هناك محاولة ثانية، جرت بعد محاولة رحلة أثيوبيا بعدة شهور، حيث فوجئ عمر سليمان وهو يستقل الطائرة ضمن إحدى رحلاته الخارجية أن زجاج النافذة التى يجلس بجوارها يتحطم تماما، ورغم أن الأمر يمكن أن يكون بمحض الصدفة، إلا أن تكرار الحادث مع الرجل، ولم يمر على الحادث الأول شهور قليلة ... يجعلنا نتساءل، هل كانت أقدار سئية تطارده فقط، أم كان هناك من تسوقه الأقدار فى طريقه ليقتله.

المحاولة الثالثة ظلت غامضة لعدة أيام، فقد جرت أحداثها أيام الثورة وتحديدا 30 يناير 2010 أى بعد حلفه يمين تكليفه نائبا للرئيس بساعات قليلة.

من طرف خفى صرح أحمد أبو الغيط وزير الخارجية الذى يبدو أنه كانت تربطه علاقة قوية سياسيا وإنسانيا بعمر سليمان، أن نائب الرئيس تعرض لمحاولة لإغتيال فى أعقاب تعيين مبارك له نائبا، فقد قامت سيارة إسعاف بمهاجمة سيارة سليمان أثناء سيرها وقامت بفتح النيران عليها بشكل مكثف، ما أدى لمصرع أحد الحراس المرافقين له.

على الفور وكعادة مصر نفى مصدر أمنى التقارير الإخبارية التى تحدثت عن تعرض عمر سليمان لمحاولة إغتيال، المصدر بالطبع رفض ذكر اسمه، لكنه أشار أنه لا صحة على الإطلاق للتقرير الذى أوردته شبكة «فوكس نيوز» والذى أفاد بأن محاولة الإغتيال أسفرت عن مقتل اثنين من حراسه.

الواقعة كانت حقيقية، وربما كان أول كشف كامل عنها، ما ورد فى كتاب مصطفى بكرى عن الجيش والثورة، فقد حكى فيه القصة كاملة، وكان مصدرها فى الغالب عمر سليمان وآخرين ... وكان هذا بعض مما جرى، خاصة أن الحرس الجمهورى كان حاضرا ومؤثرا فى محاولة الإغتيال.

فعندما كانت الثورة دائرة.. وهتافات المتظاهرين فى كل مكان لا تكف عن مطالبة الرئيس مبارك بالرحيل.. كان حسام بدراوى الذى كان أمينًا للحزب الوطنى، وقتها يجلس إلى الرئيس فى مكتبه يطالبه بالتنحى حماية له ولأسرته.

سأله الرئيس بشكل واضح: ماذا تقصد.. «حيموتوني»؟

فرد حسام دون تردد: احتمال كبير.

أخبر بدراوى مبارك أنه يتخوف مما يمكن أن يحدث يوم الجمعة 11 فبراير.. فملايين المتظاهرين قررت أن تزحف إلى القصر الجمهورى لإخراج مبارك بالقوة، ولم يكن هذا خافيا على أحد.. فقد أعلن المتظاهرون هتافا شهيرًا: «يوم الجمعة بعد العصر.. هنروح نجيبه من جوه القصر».

كان رد فعل مبارك باردًا جدا، قال لحسام: الحرس الجمهورى وظيفته حماية القصر، ودول حيضربوا فى المليان ضد كل من سيحاول الاعتداء على قصر الرئاسة.

لم يكن ما قاله مبارك خبرًا مجردًا أو تخمينًا أو تعريفًا لحسام بدراوى بمهمة الحرس الجمهورى، بل كان أمرًا واقعًا بالفعل، كان الرئيس السابق قد أصدر أوامره لرئيس الحرس الجمهورى اللواء محمد نجيب بأن يضرب فى المليان أى متظاهر يقترب من القصر الجمهوري.

لكن ما حدث كان شيئًا مختلفًا تماما، فبعد أن ألقى مبارك خطابه مساء 10 فبراير، وهو الخطاب المخيب لآمال الجميع، انتظر المصريون تنحيه، فإذا به يخبرهم أنه باق وسيحقق فيما جرى وأنه لا يقبل أى تدخل أجنبى فى شئون مصر.. ساعتها وقبل أن ينهى مبارك خطابه، خرج المتظاهرون من ميدان التحرير إلى القصر الجمهورى، وعندما وصلوا وجدوا رجال الحرس الجمهورى فى انتظارهم، بل تعاملوا معهم بحنو بالغ، ووفروا لهم الماء والعصائر، وكأنهم يبعثون برسالة إلى أن المتظاهرين سيكونون فى أمان.. وأنهم لن يزعجوا أحدًا يأتى إلى القصر.

ما الذى حدث إذن؟

ما الذى جعل رجال الحرس الجمهورى يتمردون على أوامر مبارك.. الذى طلب منهم أن يحافظوا على القصر الجمهورى، وهو أمر لا يقبل تأويلًا.. ولا يمكن أن يقول قائد الحرس الجمهورى مثلًا إنه لم يتلق أوامر من مبارك بحماية القصر، التى تعنى أنه لابد أن يتصدى للمتظاهرين بكل الوسائل؟

ما حدث فعلا أن المشير طنطاوى الذى كان يتعامل بحذر فى الساعات الأخيرة قبل رحيل مبارك عن قصر الرئاسة، كان قد أصدر أوامر واضحة للفريق سامى عنان، بأن يسحب الذخيرة الحية من رجال الحرس الجمهوري.. وأن يقفوا فى حماية القصر لكن دون ذخيرة.

لم يكن أمر المشير للفريق سامى عنان مصادفة، بل حدث بعد أن كان فى زيارة للقصر صباح الخميس 10 فبراير، وهو فى طريقه إلى داخل القصر، أمسك بخزانة أحد رجال الحرس فوجد بها ذخيرة حية، فنادى على اللواء نجيب، وقال له إنه لا يريد ذخيرة حية مع أحد من رجاله، وأن أى رصاصة حية ستخرج ستكون مسئوليته.. ثم ترك مهمة تفريغ الحرس الجمهورى من الذخيرة الحية لرجله الفريق سامى عنان.

ما فعله المشير طنطاوى يحمل فى طياته دلالات كثيرة.. قد يكون سابقًا لأوانه أن نشير إليها أو نقدم لها قراءة من أى نوع.

لكن الدلالة الكبرى الآن هى فيما قام به الحرس الجمهورى من أدوار خلال الثورة، وهو ما يمكن أن نتعرف عليه من خلاله ما كتبه مصطفى بكرى فى كتابه «الجيش والثورة من الميدان إلى الانتصار» ... وهو كتاب تأتى أهميته أنه يقدم الحدث الذى لايزال ملتبسًا حتى الآن بلسان من صنعوه وصاغوه، صحيح أنهم لم يقولوا كل شيء، أو أنهم بالأدق قالوا ما يريدونه - حتى الآن على الأقل - لكنه على أى حال يمكن أن يضع أيدينا على الكثير.

فعندما تصاعد الخلاف بين الرئيس مبارك والمشير طنطاوى، كان من رأى جمال مبارك أن تتم الإطاحة بطنطاوى، وهى رغبة كانت قديمة لديه، لكنه رأى أن موقف المشير من الثورة، يمكن أن يكون داعمًا لأن تتم هذه الخطوة الآن وليس غدًا.. لكن زاد عليها أن جمال أراد أن يطيح بالفريق سامى عنان أيضًا.. وذلك لأنه كان داعمًا قويًا لموقف المشير من الثورة ولمظاهرات التحرير.

وبالفعل - كما يروى مصطفى بكرى - اقترح جمال على والده اسم الفريق حمدى وهيبة رئيس الأركان السابق، ورئيس الهيئة العربية للتصنيع، كما طرح اسم اللواء محمد نجيب عبدالسلام، قائد الحرس الجمهورى ليتولى منصب رئيس الأركان.

كانت وجهة نظر جمال مبارك - فيما يبدو - أن اختيار حمدى وهيبة، كرئيس أركان سابق سيجعل مبارك مسيطرًا على الجيش، لأن قائده الجديد تقطعت علاقاته بقيادات الجيش منذ خروجه منه، أما رئيس الحرس فإنه يعمل بعقيدة أنه يحمى الرئيس.. ولن يكون عقبة من أى نوع فى طريق ما يريده مبارك.. هذا على الأقل ما اعتقده جمال.

لكن الظهور القوى للحرس الجمهورى كان فى محاولة اغتيال عمر سليمان.. وهو الحدث الذى حاول الجميع إخفاءه أيام الثورة، ولما أعلن عنه ظل ملتبسًا وغامضًا ومراوغًا، ولا تتم الإشارة له حتى الآن إلا من خلال الألغاز والإيحاءات والأسماء المجهلة.

أورد مصطفى بكرى فى كتابه قصة محاولة اغتيال عمر سليمان يقول: فى صباح 30 يناير

اصطحب الرئيس معه نائبه عمر سليمان إلى مركز العمليات 66 التابع للقوات المسلحة، كان الرئيس قد طلب حضور حبيب العادلى غير أنه تأخر عن الحضور فى الوقت المحدد.

قرر الرئيس مغادرة مقر مركز العمليات، بعد أن طلب من نائبه أن ينتظر حبيب العادلى وأن يعقد اجتماعا مع المشير والعادلى لبحث آخر التطورات فى البلاد.

قال سليمان لمبارك إنه بعد أن ينتهى من الاجتماع سوف يذهب إلى جهاز المخابرات العامة ليجمع أوراقه، وفى أى وقت يطلبه سيجده أمامه على الفور، وبالفعل غادر عمر سليمان مركز العمليات 66 إلى مبنى المخابرات.. وفى نحو الساعة الرابعة والنصف عصرا، اتصل به اللواء جمال عبدالعزيز كبير سكرتارية الرئيس، وطلب منه الحضور لمقابلة الرئيس بقصر الاتحادية لأمر مهم.

كان عمر سليمان يركب سيارة مدرعة، لكنه قرر التوقف عن استخدامها وتركها لمدير المخابرات الجديد، ليركب هو سيارة x5 من سيارات الجهاز أيضا، أبلغ حرس سليمان أمن الرئاسة أن النائب سوف يأتى لمقابلة الرئيس بالسيارة x5 حتى يمكن فتح الطريق له للدخول إلى ساحة القصر.

لكن عندما هبط سليمان من مكتبه بمبنى المخابرات ركب السيارة المدرعة بشكل عفوى، وركب حراسه السيارة x5 ... ولم يبلغ حرس سليمان هذا التغيير لأمن الرئاسة.

مضى موكب سليمان المكون من ثلاث سيارات، السيارة x5 فى المقدمة.. ثم السيارة المدرعة التى يستقلها، ثم سيارة الحرس الجمهورى التى خصصت لحراسة النائب، وفى طريق الموكب إلى القصر وعندما وصل إلى مستشفى كوبرى القبة حتى انطلقت النيران من الجزيرة المواجهة لكوبرى القبة وتحديدًا بجوار مركز الأسنان.

كانت النيران موجهة إلى السيارة x5 التى أبلغ حرس سليمان الحرس الجمهورى أن النائب سيتحرك بها، ويجزم مصطفى بكرى بالقول: فوجئت سيارة الحرس الجمهورى بإطلاق الرصاص، فبادلهم جنود الحرس الرد على مصدر النيران، كانوا يعرفون كل شيء، وكانت لديهم معلومات وتعليمات بانتظار نائب رئيس الجمهورية فى موعد محدد لاغتياله فى هذا المكان قبيل أن يتوجه إلى مقر الرئاسة، ويبدأ فى ممارسة مهامه.

كانت حصيلة الهجوم على موكب عمر سليمان مقتل السائق وإصابة أحد الحراس، وعندما وصل عمر سليمان إلى مكتب الرئيس سأله مبارك: ماذا حدث؟، وعندما أخبره النائب بما جرى طلب الرئيس السابق من قائد الحرس الجمهورى اللواء نجيب معرفة تفاصيل ما جرى والتحرى حول من يقف وراء محاولة اغتيال نائبه؟

ما حدث فعلا أن قائد الحرس الجمهورى لم يهتم، وثبت فيما بعد أنه لم تكن هناك جدية فى التحريات التى أجريت، أو بالأحرى - كما يرى بكرى - لم تكن هناك نية حقيقية للكشف عن الشخص المجهول الذى أعطى التعليمات بالاغتيال.

انتهت الرواية كما جاءت فى كتاب «الجيش والثورة».. ولأننى أعرف أن هذا لم يكن كل شيء.. فقد سألت مصطفى بكرى، قلت له: لقد ألمحت إلى أن هناك دورًا ما للحرس الجمهورى فى محاولة اغتيال عمر سليمان.. لكنك وقفت عند حد التلميح.

مصطفى قال إن هناك شخصًا بعينه هو من أصدر الأوامر بقتل عمر سليمان.. ولا أحد يعرف على وجه التقريب من يكون، لكن وقائع الحال تشير إلى أن جمال مبارك كان هو المستفيد الوحيد من اختفاء نائب الرئيس الجديد، خاصة أن مبارك كان قد اتفق مع نائبه أنه سينقل له كل صلاحياته مبكرًا جدًا، وقد يكون هذا حدث لأول مرة مساء يوم 29 يناير.

ثم إن جمال مبارك كان يقوم بالفعل خلال السنوات الأخيرة للرئيس مبارك بدور مدير مكتب لوالده، ومن هذا الموقع كان على اتصال بكل الأجهزة العاملة فى الرئاسة.. ومنها أمن الرئاسة.. والحرس الجمهورى، والمنطق يقول إن أمن الرئاسة الذى تلقى خط سير عمر سليمان من مبنى المخابرات إلى قصر الرئاسة ونوع السيارة التى يركبها.. قد أخبر على الفور الحرس الجمهورى بالمعلومات التى لديه، والمنطق يقول أيضا إن هذه المعلومات مرت على جمال مبارك.

معلومة السيارة x5 لها أهميتها القصوي.. فمن أصدر الأوامر بالاغتيال يعرف جيدًا أن عمر سليمان يركبها، لذلك خرجت النيران ممن أطلقوها على هذه السيارة نفسها دون غيرها من سيارات الموكب الثلاث، لأنه كان يريد سليمان دون غيره.

* * *

عندما رشح عمر سليمان نفسه فى إنتخابات الرئاسة رأى أنه من الصواب أن يكشف عن محاولة إغتياله، فربما جذب إليه ذلك مزيدا من التعاطف، التقطت «الأهرام» الخيط وراحت تحقق فى محاولة الإغتيال التى يؤكدها سليمان ولا ينفيها، أو يرواغ فى تفاصيلها.

الأهرام بدأت تحقيقها من إعتراف سليمان بتعرضه لمحاولة إغتيال من قبل ونجاته من الموت المحقق، دون أن يكشف هوية مدبرى المحاولة أو من يقف وراءهم، ثم أن الحادث اكتنفه الغموض منذ وقوعه، لم يتم الكشف عن تفاصيله سوى ما تردد عن سقوط أحد حراس سليمان قتيلا و إصابة سائق السيارة التى كان يستقلها نائب الرئيس المخلوع، وهو ما كشفت عنه العديد من وسائل الإعلام الأجنبية بينما نفت جهات رسمية مصرية وقوع الحادث ... أضف إلى ذلك أن وزير الخارجية أحمد أبو الغيط كان قد قال أن الصدفة قادته لرؤية السيارة التى كانت تسبق عمر سليمان وتعرضت لاطلاق النيران أثناء مروره بعد وقوع الحادث مباشرة وهو فى طريقه إلى اجتماع مجلس الوزراء.

كان هناك دافع واقعى على الأرض دفع إلى التحقق من محاولة إغتيال سليمان، فقد تقدم خالد سليمان المحامى بالنقض ببلاغ إلى مكتب النائب العام ويحمل رقم 1159 اتهم فيه كل من جمال مبارك وصفوت الشريف وأحمد عز وزكريا عزمى بالتدبير لمحاولة اغتيال اللواء عمر سليمان أثناء أحداث الثورة.

خالد أشار إلى أنه تقدم بالبلاغ لأنه منذ حدوث الواقعة وحتى الآن تناولتها الكثير من وكالات الأنباء بما يؤكد حدوثها، لذلك وجب التحقيق فيها ولأن عودة اللواء عمر سليمان للعمل العام وترشيحه للانتخابات الرئاسية يفتح العديد من الملفات القديمة فمن المفترض أن تجرى تحقيقات فى الواقعة سواء توصلوا للجناة أم لا.

وأضاف المحامى أنه تقدم بالبلاغ بناء على العديد من الشواهد والتى تدين من أتهمهم فيه بالتدبير لمحاولة اغتيال عمر سليمان، إلى جانب ما لديه من شهادة وفاة لشرطى يدعى طلعت مصطفى وهو أحد ضحايا الحادث الذى تعرض له سليمان.

لم يكن هذا هو البلاغ الوحيد فى الواقعة، وإنما تقدم أسامة زين العابدين المحامى

بالنقض والإدارية العليا ببلاغ سابق يحمل رقم6594، ضم فيه سوزان مبارك وحبيب العادلى إلى قائمة المتهمين السابقين واتهمهم جميعا بمحاولة اغتيال سليمان.

من مصادر أمنية كانت قريبة من الحادث نشرت الأهرام أن السيارة التى قطعت طريق موكب عمر سليمان فى شارع الخليفة المأمون هى سيارة ميكروباص بها 4 أشخاص مسلحين، كان هدفهم تصفيته حيث فتحوا النيران بإتجاه سيارة الحراسة ظنا منهم أنه بداخلها إلا أن حراسة سليمان تعاملت مع الموقف وراح ضحية الحادث حارس من طاقم حراسة نائب الرئيس السابق وأصيب السائق، وجميع المعتدين قتلوا فى موقع الحادث ولم يكن معهم أى أوراق تثبت هويتهم.

المصادر الأمنية نفسها أشارت إلى أن محاولة اغتيال سليمان استغرقت أقل من10 دقائق، وذلك بسبب تدخل وحدة تأمين تابعة للحرس الجمهورى، كانت على مقربة من مكان الحادث للتأمين وعندما سمعت طلقات النيران تقدمت نحو الصوت وجاءت من خلف المعتدين على الموكب، حيث فوجئ المعتدون بقدوم وحدة من الجيش من خلفهم فأصابهم الارتباك، وتمكن الحرس الشخصى لعمر سليمان من اجهاض محاولة الاغتيال وقتل الجناة، رغم أن قوات الحرس الجمهورى لم تطلق رصاصة واحدة صوب الجناة لكن تقدمهم ووجودهم فى الخلف أربك الجناة وجعلهم يعودون إلى الخلف وأصبحوا محاصرين حتى تمكن طاقم الحراسة الخاص بعمر سليمان من السيطرة على الموقف.

لم يتمكن الجناة من الهرب، كان الحصار من حولهم محكما، ولذلك كان طبيعيا أن يتم التخلص منهم فى مكان الحادث ... ولم يتم فتح تحقيق فى هذا الإعتداء، بل تم إغلاقه تماما بسبب الظروف التى كانت تمر بها البلاد وقتها.

المصادر الأمنية أشارت إلى أن عمر سليمان كان يعرف جيدا من يريد التخلص منه فى هذه اللحظة، لكنه لم يهتم بسبب حرصه وانشغاله وقتها بالمهمة التى تولى أمرها منذ ساعات فقط ... وإن كانت المصادر التى تحدثت إلى الأهرام دون أن تكشف عن نفسها كالعادة، أشارت إلى حدوث مشادة بين عمر سليمان وجمال مبارك قبل هذه الواقعة ... صرخ خلالها سليمان فى وجه جمال قائلا له: انت اللى بهدلت الراجل ده فى إشارة إلى مبارك الأب الذى قتله طموح ابنه الصغير.

❋ ❋ ❋

بعد كثير من التكهنات كان أن تحدث عمر سليمان عن محاولة إغتياله بنفسه، حدث هذا فى حوار مطول نشرته جريدة اليوم السابع على حلقتين، فى إطار ترويج سليمان لنفسه كمرشح رئاسى، وهنا أنقل ما قاله الرجل، فهو صاحب الكلمة الأخيرة فى كل ما جرى له.

يقول سليمان: أنا ذهبت إلى مكتبى فى جهاز المخابرات لأجمع الأوراق، وأذهب إلى مكتبى فى رئاسة الجمهورية كنائب للرئيس، وخلال ذلك اتصل بى سكرتير الرئيس، وقال لى إن الرئيس يريدنى على نحو عاجل، ومن ثم سارعت إلى ترك المكتب والتحرك إلى مقر الرئاسة، وسألونى وقتها عن السيارة التى سأركبها إلى هناك، فقلت لهم إننى سأركب السيارة x5 وليس سيارة الجهاز المصفحة.

يكمل سليمان: كنت أنوى ركوب هذه السيارة فعلا، وليس السيارة المصفحة، وهى ملك الجهاز، وكنت أنوى أن أتركها فى الجهاز ثم أذهب للرئاسة، وأتنقل فى سيارات الرئاسة بعد ذلك، ولكن عندما نزلت من المكتب كانت السيارة x5 تقف فى الناحية الأخرى من مبنى المكتب، فركبت فى السيارة المصفحة بدلا من انتظار السيارة الثانية حتى تصل إلى المكان الذى أقف فيه».

يضيف عمر: بالفعل تحركنا من مقر الجهاز والبلاغ لديهم أننى كنت سأركب السيارة ال x5، وعندما وصلنا عند مستشفى كوبرى القبة فى الملف فوجئت بإطلاق النار على السيارة x5، واستشهد وقتها السائق، وهو موظف أمن مسلح ومحترف، وأصيب موظف الأمن الذى كان يجلس بجانبه، وهنا اشتبك الحرس الذى كان يسير خلف السيارة المصفحة مع مطلقى النار، وهرب الجناة من موقف الحادث، ثم خرج الناس من مستشفى كوبرى القبة إلى السيارة x5 فى محاولة لإنقاذ من فيها، أما السائق فى السيارة المصفحة فقد قطع الطريق مسرعا إلى مقر الرئاسة ليخرج بى من مكان الكمين، وبعد أن تحركنا بسرعة فوجئت بكمين آخر يطلق النار على السيارة المصفحة، لكننا انطلقنا بسرعة كبيرة حتى وصلنا إلى مقر الرئاسة.

عندما دخل عمر سليمان قصر الإتحادية أبلغ مبارك بما جرى، فاستدعى مبارك قائد الحرس الجمهورى، وأبلغه بما جرى ... لكن كما يقول سليمان: لم تكن هناك داخلية أو قسم شرطة، والدنيا كلها متوقفة وبالتالى لم يحدث أى تحقيق ومن الناحية السياسية لم يكن من الصواب أن نعلن عن هذه المحاولة فى هذا التوقيت، والبلد مشتعل على هذا النحو.

رفض عمر سليمان أن يوجه إتهاما لأحد بأنه كان وراء محاولة إغتياله، لكن كان فتحت السيرة مرة أخرى.

فقد كتب الكاتب العربي الكبير جهاد الخازن في زاويته بجريدة الحياة «عيوان وآذان» في 28 يوليو 2012 أن محاولة إغتيال عمر سليمان كان وراءها على الأرجح جمال مبارك، لأنه اعتقد أن اللواء سليمان سبب فشل فكرة أن يأتي رئيسا لمصر.

لم يكن ما كتبه جهاد الخازن محض خيال، كان قد جلس إلى عمر سليمان في جلسة مطولة بالقاهرة قبل وفاة سليمان بفترة وجيزة، ونشر كثيرا مما استمع إليه منه.

رحل عمر سليمان دون أن يقول شئيا، لكن الخازن أكد أنه سمع من سليمان اسم من يتهمه بالوقوف وراء المحاولة، فقد أخبره أن جمال مبارك هو الذى حاول تنفيذ محاولة إغتياله، لافتا إلى أنه استند في إتهامه إلى ما قاله له سليمان قبيل موته، حيث قال أنه شاهد سيارة مصفحة كانت تراقبه لحظة خروجه من مكتبه، وحاول المسلحون بداخلها اغتياله.

سليمان أخبر الخازن كذلك أن جمال مبارك كان غاضبا منه لتعيينه نائبا للرئيس مبارك، لذلك هو الذى حاول تنفيذ محاولة إغتياله للانتقام منه ... والدليل على ذلك أن الجهة الوحيدة التي كانت تعرف السيارة المصفحة التي كانت تتعقبه هي رئاسة الجمهورية، لأنها هي التي اختارت وكلفت سيارة جديدة ضمن موكب حراسته عقب تعيينه نائبا للرئيس.

❁ ❁ ❁

بعد ما نشر جهاد الخازن روايته، كان لابد للمصادر الأمنية التي لا تكشف عن هويتها أن تظهر، صحيح أنها تكتفي بالنفي ... لكنها لا تمضي إلا بعد أن تزيد الأمور غموضا وارتباكا ... إلا أن المصدر الأمني هذه المرة قال كلاما مختلفا تماما.

فكما نشرت جريدة الشروق فإن مصدر أمني رفيع قال أن ما نسبه جهاد الخازن إلى اللواء عمر سليمان من اتهام جمال مبارك بالتواطؤ لإغتياله عقب أداءه قسم نائب رئيس الجمهورية ليس مجرد كلام مرسل والدولة تحت يديها ما يثبت دقة هذا الكلام، ولكن اختيار عدم التحرك كان بالأساس اختيار عمر سليمان.

ما جرى بالفعل - طبقا للمصدر الأمنى الرفيع - أن عمر سليمان لم يرد أن يزيد الأمور تعقيدا وهو كان مخلصا جدا للرئيس مبارك ومدركا لحساسية الوضع فى مصر ليس فقط أثناء الثورة، ولكن بعدها وحتى أيام قليلة من موته ... فقد كان دائما ما يردد أن مصر فى خطر كبير.

لقد خاض عمر سليمان غمار الموت كثيرا، وقف أمامه وجها لوجه ... لكنه فى كل مرة كان ينجو، وكأنه رجل ضد الإغتيال ... قد يكون عمر سليمان وهو الذى يعرف تماما أن جمال مبارك هو من خطط لإغتياله، إلا أنه رفض أن يفصح عن ذلك أو يتهم، لأنه كان يقرأ بظهر الغيب أن النظام كله زائل، وعندما يزول النظام فإن جمال مبارك لن يكون فى حاجة إلى إتهامه بمحاولة إغتيال عمر سليمان، فستكون عنده من الجرائم ما يكفى ليظل فى السجن طويلا، وحتى لو لم تكن هناك أى تهمة تطارده، فإن الثورة عندما تنتصر ستنتقم منه ... وهذا يكفيه.

قد يكون عمر سليمان شعر ولو للحظة واحدة أن مبارك نفسه بارك عملية إغتياله، أو لنقل بدقة أنه عرف بما يدبر له ولم يتحرك أو يمنع، فعندما أخبره سليمان بما جرى له، لم يهتم، ولم ينفعل، ولم تبد عليه علامات الدهشة، اكتفى بأن طلب قائد حرسه ليكلفه بالبحث عمن وقف خلف المؤامرة ... ثم انتهى كل شئ.

❋ ❋ ❋

اتهام جمال مبارك بمحاولة إغتيال عمر سليمان - وهو الإتهام الذى سكت عنه الجميع - يجعلنا نشير إلى العلاقة التى ربطت الغلام بالجنرال، أو العلاقة التى ربطت بين نجل الرئيس وصديق الرئيس، خاصة أن جمال مبارك ومن وراءه والدته السيدة سوزان مبارك، كانا يشكلان رقما صعبا للغاية فى معادلة عمر سليمان السياسية.

فمن بين ما جرى أن مبارك كان معتادا على لقاء عمر سليمان - كمدير لمخابراته وكصديق مقرب منه - يوميا الساعة الحادية عشر صباحا فى حديقة منزله، إلا أنه وبعد دخول جمال مبارك معترك الحياة السياسية، وتقريبا منذ العام 2005 أصبح سليمان لا يأتى إلا نادرا، بل وتم إبعاده عن دائرة الرئيس الخاصة.

أحد مساعدى رجال زكريا عزمى وفى قصر عابدين بعد الثورة بشهور قليلة، كشف لى حكاية دائرة مبارك الخاصة هذه، قال أنها كانت معروفة بدائرة النار من يقترب منها يحترق تماما ولا يبقى له أثر، وكانت الدائرة تجمع بشكل أساسى زكريا عزمى رئيس ديوان رئيس الجمهورية، وجمال عبد العزيز سكرتير الرئيس الذى مات فى سجن طره، وعمر سليمان مدير المخابرات، وصفوت الشريف الرجل الذى كان مبارك يثق فيه وفى إخلاصه له ثقة مطلقة ... ثم انضم لهذه الدائرة جمال مبارك.

انضمام جمال مبارك لدائرة النار، جعله يتحكم فيمن يقترب ومن يبتعد، لدرجة أن المشير طنطاوى كان قد تعود لسنوات على أن يعرض على مبارك التقارير العسكرية بنفسه، لكنه وخلال السنوات الأخيرة من حكم الرئيس السابق وجد من يطلب منه أن يجلس إلى جمال مبارك ليعرض عليه التقارير العسكرية، ثم ينقلها الأخير بدوره إلى والده.

احتج المشير حسين طنطاوى ورفض أن يجلس مع جمال مبارك، واحتج على أن يطلعه على التقارير العسكرية من الأساس، وكان الحل الوسط الذى توصل إليه مع الرئيس أن يعين سكرتيرا للشئون العسكرية يتولى هو عرض التقارير العسكرية، بصرف النظر على من سيعرضها، على مبارك الأب ... أم على مبارك الابن.

اقتراب جمال مبارك جعل عمر سليمان يبتعد، صحيح أنه وقف أمام تطلعه لأن يلعب فى جهاز المخابرات، فقد طلب جمال من سليمان بالفعل أن يطلعه على تفاصيل عمل الجهاز، فاكتفى بأن تحدث معه عن المعلومات الشائعة عن عمل المخابرات ليس فى مصر فقط، ولكن فى العالم كله.

اكتشف جمال حيلة عمر سليمان فاشتكى إلى والده، الذى يبدو أنه كان ضعيفا جدا أمام ابنه وأكثر ضعفا أمام طموحه السياسى.

سأل مبارك عمر سليمان، لماذا فعل ما فعل؟ فكانت إجابة مدير المخابرات أن أسرار الجهاز ملك للدولة، ولا يحق لأحد معرفتها إلا بأمر من الرئيس، ثم وضع سليمان مبارك الأب فى خانة اليك، عندما قال له: لكن لو أمرت يا فندم أن أفتح له الملفات الخفية سأنفذ الأمر، فأنت صاحب الحق الوحيد.

رفض مبارك تماما أن يعرف ابنه ما فى بطون ملفات جهاز المخابرات من عمليات ومعلومات، وطلب بالإكتفاء بما هو مباح فقط.

كان عمر سليمان يعرف ومبكرا جدا أن الخطر الأول والأكبر على مبارك هو ابنه جمال، ولذلك فكر كثيرا فى ابعاده عن المسرح تماما، عندما اشتد الحديث عن التوريث، وأن مبارك يعد ابنه ليكون هو الرئيس القادم، تطوع عمر سليمان وطلب من مبارك أن يسافر ابنه إلى الخارج، يعيش عامين أو أكثر بين أوربا وأمريكا ولا يعلم أحد عنه شئيا، حتى ينساه الناس تماما، وبذلك يمكن أن تنهار أسطورة التوريث ... لكن مبارك فى النهاية لم يفعل، بل أطلق يد ابنه فى حكم مصر حتى لا يتركه ويسافر إلى الخارج.

مصادر مقربة من كواليس حكم مبارك فتحت قوسا كبيرا تحدثت خلاله عن العلاقة الخاصة بين عمر سليمان وجمال مبارك، فالعلاقة بينهما على حد تعبير هذه المصادر لم تكن ودية فى أى وقت من الأوقات، كان جمال ينظر إلى سليمان دوما على أنه معرقل لمشروعه، لأنه ينقل تقارير الرأى العام التى تؤكد عدم شعبية التوريث، ثم أن العلاقة الوثيقة التى كانت تربط بين مبارك وسليمان كانت تثير حفيظة جمال الذى كان يريد أو يخطط لأن يكون موضع الثقة الوحيد لدى والده.

لم يكن جمال مبارك متفاءلا بالآراء التى أبداها عمر سليمان فى الإجتماعات التى عقدها مبارك مع كبار معاونيه للتشاور حول الأوضاع بعد اليوم الثانى للثورة، فقد دعا سليمان إلى تقديم تنازلات واضحة وملموسة لاستيعاب غضب الشارع، بينما كان جمال ومن حوله يرون أنه لا يوجد أدنى سبب للتنازل، وهو ما دفع بجمال إلى الإستعانة بحبيب العادلى لإقناع الرئيس بأن الداخلية يمكن أن تسيطر على الموقف بأقل الخسائر.

مساء 28 يناير وقبل أن يظهر مبارك على الشعب المصرى متحدثا وكانت الشرطة قد انهارت تماما، عقد الرئيس اجتماعا مع كبار معاونيه حضره جمال مبارك، تحدث العادلى عن أن المتظاهرين «شوية عيال»، ويمكن أن تتم السيطرة عليهم بسهولة، وخاض جمال فى حديث مطول عن أنه يمكن إنهاء الموقف كله من خلال خطة أمنية وإعلامية متطورة ... وهو ما أكد عليه أيضا أنس الفقى وزير إعلام جمال.

لكن عمر سليمان خطا بالجميع خطوات بعيدة فى مساحة مختلفة، فقد أكد أن الأمر أعقد من أن يتم إحتواءه بحملة إعلامية، فأسباب الغضب عميقة، ثم أن الوقت قد حان بالأساس لإتخاذ إجراءات تطمئن الناس ولو بشكل مؤقت أن موضوع التوريث لن يستمر وأن الحكاية انتهت تماما، وكان أن اقترح عمر سليمان تعيين نائبا للرئيس.

وهنا كانت المواجهة التى كانت الأولى بين سليمان وجمال خلال أيام الثورة، احتد جمال وبان غضبه واتهم سليمان بالتخاذل والتآمر على الرئيس والحكم.

لم يتوقف الأمر عند هذا بل هناك من يؤكد أن جمال مبارك رفع سلاحه الشخصى فى وجه عمر سليمان وهدده، وينقل مصدر أمنى لجريدة الشروق أن القصة التى تم تناقلها عن إطلاق نار فى قصر رئيس الجمهورية وتدخل بعض من كبار معاونى مبارك فى ذلك الحين لوقف التشاحن كانت حقيقية تماما.

فما جرى أن عمر سليمان لم يتعامل مع غضب جمال على أنه غضب شاب يرى كل أحلامه تتبخر أمامه، بل خرج عن طبيعته شديدة التحكم، وتحدث بحدة، وقال أن الواقع يفرض نفسه وأن سيناريو التوريث أصبح مهددا لاستمرار نظام الحكم، ثم تطور التجاذب بين جمال وسليمان، فيما ظل مبارك صامتا، أخرج جمال مبارك مسدسه من جيبه وصوبه بإتجاه سليمان مهددا قبل أن يحول علاء مبارك وأنس الفقى بين الرجلين.

بعد أن تم تعيين عمر سليمان نائبا لمبارك، أقسم الصديق أمام صديقه، وقبل أن يذاع حلف النائب لليمين أمام الرئيس، حاول جمال مبارك أن يعيق إذاعة حلف اليمين من خلال صديقه أنس الفقى، لكن تطورات الأمور كانت أقوى منهما مجتمعين.

بعد تعيين عمر سليمان نائبا للرئيس اضطرب جمال بشدة وانكمش وقال: أنا تركت أمانة السياسات وسوف أبحث عن حالى بعيدا عن السياسة، لكنه سرعان ما استرد غطرسته وغروره وربما طموحه بتشجيع من صفوت الشريف وزكريا عزمى وسليمان عواد المتحدث باسم الرئاسة وقتها وأنس الفقى صديقه الذى كان يحلم بالصعود إلى جوار جمال.

لقد نجح عمر سليمان – طبقا لمصادر متعددة – فى إقناع مبارك بأن يتنازل عن الحكم يوم

7 فبراير، وهو اليوم الذى أعقب فشل جولات الحوار مع القوى الوطنية، وكان مبارك على وشك أن يوقع بيان التنحى، لكن قبل أن يفعلها أصيب جمال بحالة عصبية شديدة جعلته يسحب البيان من بين يدى والده ويمزقه.

هنا يمكن أن نستعين قليلا بوثائق ويكيليكس مرة أخرى، ففى إحدى الوثائق الصادرة عن السفارة الأمريكية فى القاهرة فى مايو 2007، أن عمر سليمان يعيش فترة من الإحباط بعد أن كسر مبارك تعهداته له بعد بروز طموحات نجله جمال الرئاسية.

لقد ظل عمر سليمان كارها لأن يصبح جمال مبارك رئيسا لمصر خلفا لأبيه - رغم أنه صديق الأسرة - وقد يكون هذا سببا فى عداء سوزان مبارك له، وطبقا لما ورد فى وثيقة أخرى من وثائق ويكليكس - صادرة هذه المرة فى إبريل 2006 - أن سوزان أقنعت مبارك بعدم تسمية نائب له، بل إنها سارعت بتمزيق قرار كان مبارك يستعد لإصداره بتعيين عمر سليمان نائبا له.

كانت سوزان مبارك تعلم جيدا أن عمر سليمان تحديدا يمثل خطرا على مستقبل ابنها، ولذلك وربما لكثير مما جرى أيام الثورة، لم يكن غريبا أبدا أن يتورط جمال مبارك فى محاولة إغتيال سليمان.

المفاجأة أن جمال كان يضر نفسه من حيث لا يدرى، فبعد محاولة إغتيال عمر سليمان، التى عرف المجلس العسكرى من وراءها تحديدا، قررت قيادات المجلس - بعد أن وصفت ما جرى بأنه كارثة - الوقوف إلى جانب الثورة، فقد قدرت أنها إذا وقفت إلى جانب مبارك، فإنها تقدم البلد كله إلى عابث اسمه جمال مبارك ... وهكذا كان عمر سليمان لعنة كاملة على جمال ... بل إنه كان كلمة السر فى إنهيار كل أحلامه.

الفصل الثامن

8



رجل بلا خيال

وهو فى مكتبه مديرا للمخابرات العامة، لم يكن الكثيرون يعرفون الطريقة التى يفكر بها عمر سليمان، كان التصور هو الحاكم، فمؤكد أن الرجل الذى يتولى هذه المهة الكبيرة يملك طاقة إبداعية هائلة فى حل كل ما يعوق طريقه من مشاكل.

لكن عندما خرج عمر سليمان إلى النور، وأصبح يباشر عمله كنائب للرئيس، بدا رجلا بلا خيال على الإطلاق، الأزمة التى جاء ليتصدى لها لم تكن أزمة تقليدية، شعب غاضب خرج بعد سنوات طويلة من الكبت والظلم وضياع الحقوق ليعزل رئيسه، انهارت الشرطة ووقف الجيش على الحياد أو هكذا يبدو، وأصبح مبارك ونائبه فى المواجهة.

لم يفعل عمر سليمان شئيا إلا اللجوء إلى الطريقة القديمة، الحوار مع القوى الوطنية، وليته اختار القوى الوطنية بشكل صحيح، فقد تعامل مع القوى التقليدية التى لم يكن لها تأثير مباشر فى الشارع، كانت الخريطة قد تغيرت دون أن يعرف الرجل الذى كان المسئول الأول عن المعلومات عن مصر داخليا وخارجيا، فلم يكن صحيحا أن عمر سليمان لم يكن يعرف شئيا عما يدور فى الداخل، وأنه كان يركز جهوده على ما يحدث خارج مصر فقط.

كان عمر سليمان يتفاءل عندما تبدو بادرة أمل فى نجاح حواره، دون يعرف أن الحوار لو كان نجح بالفعل، فلم يكن ذلك يعنى شئيا ذا بال، فالشباب الذى خرج يدافع عن وجوده

ما كان ليسمع لأحد على الإطلاق، وما كان ليثق فى أحد على الإطلاق ... خاصة إذا كان هذا الأحد هو مبارك الذى ظل طوال ثلاثين عاما يعد دون أن يفى بأى شئ من وعوده.

لقد اطلعنا على بعض ما فعله عمر سليمان خلال الأربعة عشر يوما التى قضاها نائبا للرئيس، لكن أعتقد أن هذا ليس كافيا، فالرجل تحدث كثيرا خلال هذه الأيام، واعتقد أن فى كلامه ما يمكن أن يدلنا على إجابة السؤال: لماذا أدار عمر سليمان أزمة نظام مبارك - الذى جاء لينقذه - بلا خيال؟

من بين ما نسب لسليمان تصريحا فى 2 فبراير 2011، نشرته جريدة الأهرام أولا، حول التوريث والاصلاح السياسى والدستورى، قال نصا: «جمال مبارك نجل الرئيس حسنى مبارك وأمين لجنة السياسات بالحزب الوطنى لن يرشح نفسة للرئاسة المقبلة ... وستتم محاسبة المسئوليين عن الاحداث الدامية فى مواجهات التحرير والانفلات الأمنى الذى شهدته البلاد وأنه سيتم الافراج فورا عن الشباب المعتقلين الذين لم يرتكبوا أية أعمال اجرامية، وسيتم تعديل المادتين 76، 77 ومواد أخرى بالدستور، وانه سيتم إجراء تعديلات دستورية لضمان تداول السلطة فى مصر» .

كان يمكن أن يكون تصريح عمر سليمان مهما للغاية لو أنه جاء قبل ذلك، ولو أنه جاء على لسان مبارك، لكن الإدارة المصرية كلها كانت متأخرة، ايقاعها أبطأ من ايقاع الشارع اللاهث كثيرا.

فى 2 فبراير كانت قد وقعت أحداث موقعة الجمل، وكان قد بدا للناس أن مبارك مخادع، وأنه ينوى الغدر بالثوار بمجرد أن ينفضوا من الميدان، ولذلك كان كل ما قاله عمر سليمان من قبيل اللغو لا أكثر ولا أقل، فلم يكن أحد مهتما بترشيح جمال مبارك لنفسه فى إنتخابات الرئاسة، لأن جمال مبارك نفسه كان قد انتهى تماما، ثم أن الحديث عن إصلاحات سياسية ودستورية لم يعد له قيمة لأن النظام نفسه قد انتهى.

كان عمر سليمان هو صاحب فكرة الإعلان عن خروج جمال مبارك من الصورة تماما، فعندما خرج مبارك فى خطابين إلى الشعب المصرى، الأول فى 28 يناير والثانى فى 1 فبراير، لم يأت على جمال مبارك بذكر، اكتفى بأن قال أنه لن يرشح نفسه لإنتخابات قادمة، لكنه صمت

عن ولده، ولأن ولده كان صاحب المشكلة والأزمة، فقد أعلنها عمر سليمان بنفسه قاطعة حاسمة، وليس بعيدا أن يكون الخلاف القديم بين الجنرال وابن الرئيس هو السبب فى الحدة التى أدار بها عمر سليمان الموقف مع جمال، فقد كان يراه سببا مباشرا فى كل الخراب الذى يعانى منه نظام عمل من أجله كثيرا، ثم ها هو لا يستطيع حتى الحفاظ على آخر ما تبقى منه.

* * *

فى 3 فبراير أذاع التليفزيون المصرى حوارا مع عمر سليمان أجراه عبد اللطيف المناوى رئيس قطاع الأخبار وقتها، فى هذا الحديث كان سليمان واضحا ومحددا وهذه نصوص إجاباته.

- إن حركة 25 يناير لم تكن حركة تخريبية، ولكن اندست بينها عناصر لها أجندات خارجية ،مشيرًا الى أن مطالبها مشروعة ومقبولة.
- اننا فى مرحلة دقيقة جدًا لان يوم 25يناير كان يوم حركة الشباب وكانت لهم مطالب ،ومطالبهم مشروعة ومقبولة وتمت دراستها وتم الالتقاء مع بعض عناصرهم ،والذين قدموا هذه المطالب وتم دراستها للاستجابة لها.
- للاسف الشديد اندس بين هذه العناصر الشريفة بعض العناصر الاخرى التى لها اجندات خاصة، قد تكون مرتبطة بأجندات خارجية أو أغراض خاصة داخلية، والهدف من هذا الموضوع هو إحداث اكبر قدر ممكن من عدم الاستقرار والترويع والفتنة بين شباب مصر.
- لم تكن حركة 25 يناير تخريبية او تدميرية، ولكنها كانت حركة مطالب»، وأن التاثير الذى تم نتيجة تدخل العناصر المشبوهة ضد جهاز الشرطة وضد وزارة العدل فى بعض المحاكم كان له تأثير كبير جدًا على قدرة الشرطة على ان تستمر فى مواجهة الحركة التخريبية، مما اضطر الرئيس محمد حسنى مبارك الى ان يطلب من القوات المسلحة ان تقوم بمهامها فى حماية الشرعية الدستورية، وهو ما تقوم به وتقوم بدور مع الشعب لحمايته ودرء المخاطر عن الشعب المصرى.

- إن الرئيس مبارك عندما وجد أن هذه المطالب التى طالب بها شباب 25 يناير مطالب مشروعة ومقبولة تم دراسة كيف يمكن تلبية هذه المطالب، بحيث تلبى كل احتياجات الوطن.
- إن الرئيس مبارك وضع ما تسمى خطة طريق لتنفيذ هذه المتطلبات واعلنها فى خطابه الاخير وكان واضحًا جدًا فى انه قد استجاب لكل المطالب المشروعة.
- إن كلمة «الرحيل» التى يرددها البعض الآن هى بمثابة «نداء للفوضى بالبلاد «فقصة الرحيل» هى غريبة على الشعب المصرى ،ولا اعتقد ان من يثير هذا الموضوع ينتمى الى هذا الشعب.
- قدم الرئيس حسنى مبارك لمصر الكثير منذ كان قائدا للقوات الجوية، وحتى توليه رئاسة الجمهورية فى مصر، والفترة المتبقية من فترة رئاسة الرئيس مبارك الحالية سيتم خلالها تنفيذ كل ما وعد به لإدخال الاصلاحات المطلوبة.
- تم الاتصال بجماعة الاخوان المسلمين، ووجهت الدعوة لهم من أجل المشاركة فى الحوار، ولكنهم مازالوا مترددين فى الحوار، فمن مصلحتهم ان يحضروا الحوار، وهذه فرصة ثمينة لهم.
- إن الجميع متفق تماما مع ما قدمه الرئيس مبار ك من خطة طريق للاصلاحات الدستورية والتشريعية ومحاسبة الفساد ومن تسبب فى هذه الازمة.
- بعض المشاركين فى الحوار طالبوا بالغاء الدستور بالكلية، ومنهم من طلب بحل مجلس الشعب والشورى، ولكنهم أثناء الحوار اقتنعوا أن الوقت قصير لاجراء كل هذه الموضوعات، وآمل ان يتم الوصول مع باقى القوى السياسية الى اتفاق من اجل تشكيل اللجان.
- لست انا من يحدد السقف الزمنى، ولكنه مرتبط بالموضوعات المطروحة مثل تعديل الدستور وإجراء تعديلات لمجلس الشعب وجلسات الحوار وغيرها، بحيث يتم الانتهاء من الاجراءات الخاصة بهذه الموضوعات قبل شهر يوليو القادم، حتى يتم

الاعلان عن الترشيح، لانه لكي يتم الاعلان عن الترشيح فنحن بحاجة الى 30 يوما، وايضا لكي يتقدم المرشحون باوراقهم وفقا للتعديل الجديد، وهذا بحاجة الى جدول زمني، ولذا فان الحوار يجب أن ينتهي خلال 5 أو 10 أيام على الاكثر حتى لا يضيع الوقت، لأنه اذا ضاع الوقت لن نستطيع القيام بهذه التعديلات.

لم يكن عمر سليمان رومانسيا حالما وهو يردد هذا الكلام بالطبع، لا يمكن أن أقول أن الرجل كان ساذجا فقد عركته التجارب وعركها جيدا، لكنه كان عاجزا أمام طوفان أحداث اكتشف فجأة أنه موجود دون أن يعرف عنها شئيا.

لم يقل عمر سليمان شئيا جديدا على الإطلاق عما ردده مبارك، لا كلام عن الرحيل، الرجل قدم لمصر الكثير، سينجز خلال الفترة المتبقية ما وعد من إنجازات و إصلاحات، الشباب شريف ومطالبه مشروعة لكن هناك من اندس بينه، وهؤلاء أصحاب أجندات خارجية.

عندما كان ثوار التحرير يسمعون كلام عمر سليمان كانوا يشعرون أن الرجل لا يعرف شئيا عما يجرى، فقد كانت هناك مجموعة من الإتهامات الساذجة والجاهزة فى الوقت نفسه واجه بها النظام الثوار والثورة، ولم يفكر فيها عمر سليمان، بل رددها كما هى، وأعتقد أن سليمان كان كلما تحدث بهذه الصورة، كان يبتعد كثيرا عن الشارع الذى صفق له من قبل، بل تحمس له وطالب به بديلا لمبارك، فإذا بهم يكتشفون أن الرجل يغوص فى وحل نظام سقط بالفعل، ولم يتبق إلا تلقينه الشهادة.

لم يكن عمر سليمان مبدعا، لأنه استخدم اللغة السياسية القديمة فى مواجهة شباب مختلف، تربى على أنه لا كبير، ولذلك فإن الكلام عن الإساءة إلى حسنى مبارك لن تؤتى معهم أكلها، ثم أن هؤلاء الشباب كانوا يعيشون بلا أمل على الإطلاق، وعرفوا جيدا أن مبارك كان وراء كل الخراب الذى لحق بهم، ولن يثقوا به، ولذلك استقبلوا كلام عمر سليمان بالسخرية التامة، فقد كان الرجل بكلامه بعيدا عنهم تماما.

❋ ❋ ❋

فى 3 فبراير أى فى نفس اليوم تحدث عمر سليمان إلى قناة «ايه بى سى» الأمريكية، ولأن الحديث مع الإعلام الغربى مختلف دائما، فقد كان سليمان مختلفا وأكثر أريحية فى التعبير عما لديه.

عن سؤال حول انتخابات الرئاسة، وموقف مبارك منها، قال سليمان: «الرئيس حسنى مبارك لا يسعى لإعادة الترشيح مرة أخرى للانتخابات الرئاسية القادمة، وانه عاش على ارض مصر ولن يغادرها».

وحول المحادثات التى أجراها مع الإدارة الامريكية حول انتقال السلطة، قال: « المكالمة كانت مع وزيرة الخارجية هيلارى كلينتون، ولكنها لم تطلب أن يتنحى الرئيس مبارك الآن، ولكنى أخبرتها أن هناك عملية تجرى وفى نهايتها سيغادر الرئيس، وان جزء صغير من الشعب المصرى يرغبون فى رحيل الرئيس مبارك على الفور، وهذا عدد قليل من الاشخاص يطالبون بذلك، وهذ الامر ضد ثقافتنا، نحن نحترم رئيسنا ونحترم أبانا ونحترم الشخص الذى يعمل لصالح بلده كما عمل مبارك».

كان السؤال مباشرا: هل شعرت أن الولايات المتحدة الامريكية خانت رئيسك؟

وأجاب سليمان: «ما أسمعه من أوباما انه يدعم الشعب المصرى ... الرئيس أوباما أبلغ رئيسنا أنه رجل شجاع».

وفيما يتعلق باندلاع مظاهرات مماثلة فى تونس أدت الى فرار رئيسها «زين العابدين بن على» وعائلته الى خارج البلاد، قال سليمان: هذا الامر لن يحدث فى مصر، وأن الرئيس مبارك ليس لديه نية لمغادرة بلاده، ومصر لن تكون تونس بأى شكل من الأشكال، وأن الأمر مختلف .. وأن رئيسنا مقاتل ..عاش على أرض مصر وسيموت على هذه الأرض».

كان سليمان مختلفا بعض الشئ، بدا أكثرا وفاءا وولاء لمبارك، وبدا أكثر صراحة فيما يخص رأيه فى الثوار الذين اعتبرهم فى التليفزيون المصرى أصحاب مطالب مشروعة لولا أن اندس بينهم بعض المخربين، فى الإعلام الأمريكى ذهب إلى أنهم قلة، والرئيس لن يترك الحكم بسبب مطالبة قلة من شعبه بذلك، لأن الشعب المصرى يريد الرئيس أن يبقى فى الحكم.

قد تعتبر أن كلام عمر سليمان بعد ساعات قليلة من موقعة الجمل، وهى الموقعة التى كسرت ظهر نظام مبارك تماما، عن أن مصر ليست تونس، نوع من الثقة المفرطة، فهو ينفى

أن يحدث فى مصر ما جرى فى تونس، وأن الرئيس مبارك لا يمكن أن يهرب بأى شكل من الأشكال، فقد عاش فى مصر وسيموت فيها، لأنه حارب من أجلها، لكنى أعتبر أن الرجل كان يتحدث بكثير من الغفلة وعدم اليقظة، وكأنه فقد لياقته الأمنية عندما خرج من مكتبه بمبنى المخابرات، فأصبحت كلماته بلا وزن.

لقد روج عمر سليمان إلى أنه أعد تقريرا عن حالة الغضب فى الشارع المصرى، وأنه رفع هذا التقرير للقيادة السياسية لكنها لم تأخذ به، ويغفل سليمان أنه فشل تماما فى أن يتوقع حجم المظاهرات التى يمكن أن تخرج إلى الشارع احتجاجا على مبارك وعصره ونظامه، واعتقد كما اعتقد آخرون أن الأعداد لن تتجاوز عشرات قليلة من الآلآف، ورغم أن سليمان نفسه أكد أنه لو تمكن مائة ألف مواطن من التظاهر والإعتصام فى ميدان التحرير فيمكن أن يسقط النظام، لكنه لم يتوقع أبدا، أو ربما لم يتخيل أن يحدث هذا على الإطلاق.

❋ ❋ ❋

بعد ثلاثة أيام فقط، وفى 6 فبراير تحدث عمر سليمان مع نفس القناة الأمريكية، لكن هده المرة كان أكثر صراحة، أفصح عن كثير مما أخفاه خلال الأيام الأولى للثورة ... أجرت الحوار القصير المذيعة الشهيرة «كريستيان أمانبور» ... وكان هذا ما جرى:

كريس: سيادتكم دعوتم لبدء حوار مع المعارضة؟

سليمان: نعم.

كريس: وهذا يشمل السيد البرادعى؟

سليمان: لا ... البرادعى ليس من المعارضة، ولكن له مجموعته الخاصة المتصلة بجماعة الإخوان المسلمين، ولكن الإخوان طلبوا منى الحوار المباشر بدون السيد البرادعى.

كريس: كيف تفهمون الإنتقال الواجب الآن كما دعت إليه الولايات المتحدة الأمريكية؟

سليمان: هى عملية تبدأ بالحوار القومى، الذى بدأ هذا الصباح، وسنستكمل غدا وبعد غد، حتى يتفهم شبابنا استجابتنا لجميع مطالبهم ووعودنا بتحقيقها كلها، مع تفهم احتياجنا الوقت الكافى لإنجاز هذه الوعود.

كريس: ما شعورك تجاه ما صرح به الرئيس: أنا أكتفيت من الخدمة العامة على مدى 62 عاما ويجب أن أذهب ولكن ليس الآن ... ما المخاوف المتعلقة برحيل الرئيس فورا؟

سليمان: لا نريد اضطرابات فى بلدنا، عندما يقول الرئيس أنه سيغادر الآن فمن سيتولى السلطة، عندما يقول الرئيس أنه سيغادر فمعناه أنه سيغادر، ولكن أعتقد أنه فى ظل هذه الأجواء سيقوم آخرون ممن لهم أجنداتهم الخاصة بشكل من عدم الاستقرار.

كريس: بإفتراض تغير الظروف هل سترشح للرئاسة؟

سليمان: لا أعتقد.

كريس: لماذا؟

سليمان: أنا أصبحت كبير فى السن، وفعلت الكثير لهذا البلد، وليس عندى أى طموح لتولى الرئاسة، فعندما طلبنى الرئيس لتولى منصب النائب وافقت لمساعدة الرئيس فى هذا الوقت الحرج.

كريس: عندما ترى ما يحدث فى شوارع مصر وتونس والأردن واليمن وسوريا بما تفكر، هؤلاء الشباب الذين يريدون الحرية؟

سليمان: التيار الإسلامى هو الذى يدفعهم.

كريس: تعتقد ذلك؟

سليمان: بالطبع.

كريس: لا تعتقد أنهم شباب يطالبون بحقوقهم وحريتهم؟

سليمان: لا أعتقد أن ذلك ما يحرك الشباب ولكن آخرين يحركونهم.

كريس: فى مناطق كثيرة من العالم العربى لا توجد ديمقراطية، ألا تعتقد أن كثيرا من الشباب يتصل بالنت ويرى العالم من حوله ألا يحركهم ذلك؟

سليمان: نعم يسهل عليهم التواصل مع بعضهم البعض، لكن هذه ليست أفكارهم ولكنها أفكار وافدة عليهم من الخارج؟

كريس: هل تؤمن بالديمقراطية؟

سليمان: مؤكد كلنا نؤمن بالديمقراطية ولكن متى نطبق ذلك، فى الوقت الذى يمتلك فيه الناس ثقافة الديمقراطية.

كريس: نحن نعلم ماذا تريد المعارضة ... ولكن ما الذى تريدونه أنتم من المعارضة؟

سليمان: أريد منهم أن يتفهموا أنه فى الوقت الضيق نستطيع إنجاز ما وعد به الرئيس ولا نستطيع أكثر من ذلك، وعندما يأتى رئيس جديد سيكون هناك الكثير من الوقت لفعل المزيد من التغييرات التى يريدونها.

كريس: ما الرسالة التى توجهها للشباب الذين لا يزالون حتى الآن فى ميدان التحرير؟

سليمان: لا نستطيع أن نقول إلا اذهبوا إلى منازلكم، لا نستطيع أن نفعل أكثر من هذا، لا نستطيع دفعهم إلى ذلك بالقوة، على الجميع أن يعودوا إلى منازلهم، نريد أن نعود إلى حياتنا الطبيعية، اذهبوا إلى أعمالكم وأعيدوا لنا السياحة وحافظوا على اقتصاد بلدكم.

أصبح نائب الرئيس هذه المرة واضحا، فالشباب الذين نزلوا الميادين بعد أن كانوا بالنسبة له أصحاب مطالب مشروعة، فجأة تحولوا إلى مدفوعين من التيارات الإسلامية التى تريد الفوضى، وأنه مع الديمقراطية التى يطالب بها هؤلاء الشباب، لكن متى ... لأن الشعب المصرى ببساطة من وجهة نظر عمر سليمان - هكذا كانت وجهة نظر نظام مبارك كله - ليس مستعدا لممارسة الديمقراطية.

ربما من أجل هذا وبسببه بدأ سليمان يفقد رصيده فى الشارع المصرى، فالرجل كان يتحرك بوجهين، فى مصر يتحدث برومانسية شديدة، وفى الخارج يتحدث مكشرا عن أنيابه، وكأن المصريين مجموعة من الجهلة الذين لن يصلهم ما قاله.

فى كل مرة تحدث عمر سليمان خلال الثورة خسر كثيرا، سحب من رصيده لدى الناس، لأن حديثه فى كل مرة كان يأتى متوافقا مع هوى مبارك، ومختلفا تماما مع الشارع الذى كشف الغطاء عن الجميع، وبعد أن كانوا يهتفون باسم عمر سليمان، أو على الأقل يتمنونه خلفا وخليفة لمبارك، بدأوا يعيدون النظر فى كل ما يمثله الرجل من الأساس.

❋ ❋ ❋

من بين الوثائق التى تظهر ما فعله عمر سليمان أيام الثورة أيضا، نص الإتفاق بينه وبين الأحزاب السياسية التى اشتركت فى الحوار الوطنى، وفيه كثير مما قاله نائب الرئيس وأعلنه عبر وسائل الإعلام.

فى هذه الوثيقة نجد:

أولًا: تنفيذ التعهدات الواردة فى كلمة الرئيس محمد حسنى مبارك أول فبراير وهي.

1- عدم الترشح لفترة رئاسية جديدة.

2- تحقيق الانتقال السلمى للسلطة وفقًا لأحكام الدستور.

3- إجراء تعديلات دستورية تشمل المواد (76) و(77) وما يلزم من تعديلات دستورية أخرى تتطلبها عملية الانتقال السلمى للسلطة.

4- إجراء ما يلزم من التعديلات التشريعية المترتبة على تعديلات الدستور.

5- تنفيذ قرارات محكمة النقض فى الطعون المقدمة على انتخابات مجلس الشعب.

6- ملاحقة الفاسدين والتحقيق مع المتسببين فى الانفلات الأمنى الذى أعقب انتفاضة الشباب، طبقا لأحكام القانون.

7- استعادة أمن واستقرار الوطن، وتكليف جهاز الشرطة بالاضطلاع بدوره فى خدمة الشعب وحماية المواطنين.

ثانيًا:تنفيذًا لهذه التعهدات يتم اتخاذ الاجراءات الاتية:

1- تشكيل لجنة تضم أعضاء من السلطة القضائية وبعضا من الشخصيات السياسية،

تتولى دراسة واقتراح التعديلات الدستورية، وما تتطلبه من تعديلات تشريعية لبعض القوانين المكملة للدستور فى ميعاد ينتهى فى الأسبوع الأول من مارس.

2- تعلن الحكومة عن فتح مكتب لتلقى الشكاوى عن معتقلى الرأى من كافة الانتماءات، والإفراج عنهم فورا، مع تعهد الحكومة بعدم ملاحقتهم أو التضييق عليهم فى ممارسة نشاطهم السياسى.

3- تحرير وسائل الإعلام والاتصالات، وعدم فرض أى قيود على أنشطتها تتجاوز أحكام القانون.

4- تكليف الأجهزة الرقابية والقضائية بمواصلة ملاحقة الفاسدين والمسئولين عما شهدته البلاد من انفلات أمنى خلال الأحداث الأخيرة ومحاسبتهم.

5- إنهاء حالة الطوارئ طبقا للظروف الأمنية، و إنهاء حالة التهديد الأمنى للمجتمع.

6- أكدت كل الأطياف رفضها التام للتدخل الأجنبى بكافة صوره وأشكاله فى الشأن الداخلى المصرى.

ثالثًا: تشكيل «لجنة وطنية للمتابعة» تضم شخصيات عامة ومستقلة من الخبراء والمتخصصين وممثلين عن الحركات الشبابية، تتولى متابعة التنفيذ الأمين لكافة ما تم التوافق عليه، مع رفع تقاريرها وتوصياتها لنائب رئيس الجمهورية.

وكأنه كان يدور فى فلك واحد، لم يخرج منه أبدا، وكأنه كان حافظا وليس فاهما أن النظام نفسه انتهى، وأن كل المحاولات التى يبذلها ليست إلا محاولة فاشلة لإنقاذ سفينة غارقة، لقد ذهب من ذهب من رجال الأحزاب وحتى الإخوان المسلمين إلى حوار عمر سليمان وهم يعرفون جيدا أن الأمر انتهى تماما، لكن لا مانع من تحقيق بعض المكاسب الصغيرة.

كان يمكن لهذا الإقتراحات والبنود أن تنجح فى الحفاظ على نظام مبارك، لو أجريت قبل الثورة ولو بأيام قليلة، لكن والدم أصبح بين الشعب والنظام، فلم يكن لأحد أن يتخيل أبدا أن هناك حل ... فالدماء تحسم الصراع، وقد سفك نظام مبارك – وكان سليمان أحد رجاله – دماء كثيرة فى أيام الثورة تجعل مما حاول أن يفعله سليمان مجرد لغو لا قيمة له على الإطلاق.

عندما اجتمع عمر سليمان مع رؤساء تحرير الصحف المصرية فى 8 فبراير 2011 توجه إليهم بكلمة مكتوبة كان هذا بعض مما جاء فيها فى نقاط محددة.

أولا: الرئيس حسنى مبارك باق فى مصر، ولن يغادرها وأن الخروج من الأزمة يكون بالحوار لأن البديل الآخر هو حدوث انقلاب.

ثانيا: مصر دولة قوية ولم تنهار ولن تنهار.

ثالثا: الحوار والتفاهم هو الطريقة الأولى لتحقيق الاستقرار فى مصر والخروج من الأزمة الحالية التى تمر بها البلاد بسلام فى إطار برنامج متواصل لحل جميع المشكلات.

رابعا: البديل الثانى للتعامل مع هذه الأزمة هو حدوث انقلاب، ونحن نريد أن نتجنب الوصول إلى هذا الانقلاب الذى يعنى خطوات غير محسومة ومتعجلة وبها المزيد من اللاعقلانية، وهو مالا نريد أن نصل إليه حفاظا على مصر وما تحقق من مكتسبات وانجازات.

خامسا: استمرار الحوار مع الشباب والقوى السياسية للخروج من الأزمة، فمصر لا تستطيع أن تتحمل استمرارها وقتا طويلا ولابد من إنهاء هذه الأزمة فى أقرب وقت ممكن.

سادسا: مطالب الشباب وهى تنحى الرئيس مبارك، وحل مجلسى الشعب والشورى، وتغيير الدستور تم التجاوب معها فى الإطار الزمنى المتاح.

سابعا: الرئيس مبارك كان متجاوبا، ولكن وفق الزمن المحسوب ولا يمكن الاستجابة الكاملة للمطالب، ولكن فيما يخص الدستور المصرى نهاية هذا الشهر سترفع اللجنة المشكلة برئاسة قاضى قضاة مصر وتضم فقهاء دستوريين مستقلين تقريرها إلى مجلسى الشعب والشورى، وهناك اتفاق كامل على تعديل المواد76 و77 و88 ولا توجد هناك مشكلة فى تنفيذ هذه المطالب.

ثامنا: مستقبل مصر لن يكون مرتبطا بالشخص وإنما نعمل على وضع نظام مستقر وتعديلات تحفظ هذا النظام.

تاسعا: الحرص على إعادة الروح المعنوية لجهاز الشرطة، التى تعانى من انخفاض كبير فى المعنويات بعد كل ما حدث، والهجوم الواضح من الفضائيات على ضباط الشرطة، ولن

نستطيع فى بلد مثل مصر قبل استعادة الشرطة لموقعها ومعنوياتها إجراء انتخابات برلمانية فى ظل القبلية والعصبيات الموجودة فى كثير من الدوائر الانتخابية.

عاشرا: الرئيس الجديد لمصر يجب أن يؤدى اليمين الدستورية يوم 14 أكتوبر المقبل، وأن ولاية الرئيس حسنى مبارك ستنتهى فى شهر سبتمبر المقبل.

حادى عشر: الرئيس هو أحد أبطال حرب أكتوبر، والمؤسسة العسكرية حريصة على أبطال أكتوبر، وكلمة الرحيل ضد أخلاق الشعب المصرى، وهى كلمة مهينة للشعب المصرى، والرئيس مبارك لن يترك البلد، وهو باق فى بلاده، وسيدير خريطة الطريق حتى تنتهى ولايته، وهو بصحة جيدة ولا يحتاج إلى علاج فى ألمانيا، ونحن نشكر المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل، ونعتبر كلامها تدخلا فى الشئون الداخلية.

ثانى عشر: الحكومة والرئاسة لا تريد أى مظاهر عنف مع الشباب أو وقوع المزيد من الضحايا، وأن الرئيس مبارك يبدى كامل استعداده لتقديم كل الضمانات التى تتعلق بعدم الملاحقة للشباب فى المستقبل، وأنه يلتزم بعدم الترشح أو أحد من أسرته فى الانتخابات الرئاسية المقبلة، ويضمن الرقابة القضائية والدولية على سير العملية الانتخابية، كما أن المؤسسة العسكرية والقوات المسلحة تحمى هذه الضمانات التى تعكسها مطالب الشباب والقوى السياسية.

ثالث عشر: مايردده البعض عن العصيان المدنى هو أمر خطير جدا على المجتمع، ومصر لا تتحمل ذلك على الاطلاق ولا نريد أن نتعامل مع المجتمع المصرى بالأداة الشرطية، وإنما يتم التعامل بالحوار والموضوعية والواقعية طبقا للقدرات المتاحة، فمصر مستهدفة، وهناك فرصة سانحة أمام بعض القوى الخارجية التى تحاول العمل على اضعاف دور مصر، وايجاد حالة من الفوضى لا يعلم مداها إلا الله سبحانه وتعالى، ولكن كنائب لرئيس الجمهورية أطمئن الجميع بأن مصر دولة مؤسسات، ولديها القدرات الكبيرة لاستعادة دورها وحماية المجتمع، والنظام المصرى لم ينهار ولن ينهار، وفى هذا السياق أطالب كل مؤسسة اعلامية بالحفاظ على الوطن والمواطن وعدم الجنوح الى الإثارة، والرئيس مبارك يطلب الحوار ويدعو له مع الشباب وكل القوى السياسية، ونحن مع كل رأى مفيد، والباب مفتوح أمام الجميع والرئيس مبارك وجه الحكومة بعدم ملاحقة الشباب، وتركهم أحرارا يعبرون عن آرائهم كما يشاءون.

رابع عشر: من يهدد الأمن فى مصر الآن بعض عتاة الإجرام والتنظيمات الجهادية، وتنظيم الجهاد لم يوافق من قبل على مبادرة وقف العنف، وهناك عناصر هربت من السجون، وقد بذلت خلال الفترة الماضية وأثناء تولى منصب مدير المخابرات العامة جهدا كبيرا من أجل استعادة هذه العناصر المتطرفة من الخارج، ولكن هم الآن خارج أسوار السجون، فى ظل معنويات متدنية لرجال الشرطة، ونحن نعرف أن المعنويات أهم من الامكانيات, ولذلك لابد من تعاون المجتمع للعمل على رفع معنويات الشرطة، حيث تقوم القوات المسلحة بتعويض النقص فى دور الشرطة.

خامس عشر: قوات الشرطة لم تطلق النيران على المتظاهرين إلا بعد إطلاق النيران عليها من عناصر مندسة، وهناك لجنة تقصى حقائق شكلها الرئيس برئاسة المستشار عادل قورة لمعرفة الحقيقة ونحن متعاطفون وننتظر بسرعة معرفة الحقيقة وستقدم تقريرها الى النائب.

سادس عشر: التدخلات الأجنبية برزت فيما يحدث فى محافظة شمال سيناء، ونحن قادرون على المواجهة السياسية، وعلى وقف من يدعم هذه العناصر، ويجب أن نوقف النار، نحن بدأنا التغيير، ويجب أن ننتهى الى تغيير حقيقى تضمنه القوات المسلحة.

سابع عشر: ثقافة الديمقراطية فى مصر ليست كبيرة، وهو أمر يعنى أن هناك رغبة لدى البعض فى السلطة، وفيما يخص جماعة الاخوان المسلمين لم نعقد معهم أى صفقة وهى قوة سياسية لها أجندة خاصة بها، ويجب أن تكون لها مساهمة فى حل الأزمة، وقد حققت مكسبا كبير الآن بالحوار السياسي.

ثامن عشر: مصر كانت تتوقع معدلات نحو 6 % لكن بعد هذه الأحداث نتوقع أن تنخفض الى 3 % بعد انحسار موارد الدولة، وتوقف الحركة السياحية تماما، والنقص اليومى فى الموارد المتحققة.

هل أضاف الرجل لما سبق وقاله أى جديد؟

لا شئ على الإطلاق، مجرد رغبة ملحة ومسعورة فى انقاذ نظام مبارك من السقوط، يسوق أمام ذلك كل المبررات التى يمكن أن تكون منطقية أو غير منطقية، لكن فاته أن الأزمة

على الأرض كانت قد تجاوزت كل ما قاله وفعله وسعى من أجله ... ولذلك كان الفشل حليفه الأول.

* * *

فى نفس اليوم الذى تحدث فيه عمر سليمان إلى رؤساء تحرير الصحف، أصدر بيانا رسميا قال فيه: عرضت على السيد الرئيس اجتماعات الحوار الوطنى مع كافة القوى السياسية بما فى ذلك شباب 25 يناير، وماخلص إليه الحوار من توافق مبدئى فى الآراء والمواقف.

وقد أبدى السيد الرئيس ترحيبه بهذا الوفاق الوطنى، مؤكدًا أنه يضع أقدامنا على بداية الطريق الصحيح للخروج من الأزمة الراهنة، والانتقال به من الخطوط العريضة لما تم الاتفاق عليه إلى خريطة طريق واضحة بجدول زمنى محدد تمضى بمصر على طريق الانتقال السلمى والمنظم للسلطة فى إطار احترام الشرعية الدستورية.

وتنفيذا لما تم التوافق عليه بين أطراف الحوار فقد وقع السيد الرئيس اليوم قرارا جمهوريا بتشكيل اللجنة الدستورية التى ستضطلع بتناول التعديلات المطلوبة فى الدستور، وما تقتضيه من تعديلات تشريعية مصاحبة.

كما أصدر السيد الرئيس تعليماته لرئيس مجلس الوزراء لتشكيل لجنة المتابعة التى ستضطلع بمتابعة التنفيذ الأمين لما تم التوافق عليه بين أطراف الحوار الوطنى، مع تعليمات موازية بتشكيل لجنة ثالثة لتقصى الحقائق حول أحداث ومواجهات يوم الأربعاء الماضى (يقصد موقعة الجمل) .. وإحالة ماتتوصل إليه إلى النائب العام ليتخذ بشأنه ما يلزم من إجراءات.

وسوف تبدأ اللجنة الدستورية ولجنة المتابعة أعمالها اعتبارا من اليوم، كما ستشرع لجنة تقصى الحقائق فى مباشرة مهامها فور تشكيلها فى غضون الأيام القليلة المقبلة.

وقد شدد السيد الرئيس على أن شباب مصر يستحقون تقدير الوطن .. وأصدر تعليماته بالإمتناع عن ملاحقتهم أو التضييق عليهم أو مصادرة حقهم فى حرية الرأى والتعبير.

هذا وقد كلفنى السيد الرئيس بمواصلة اجتماعات الحوار الوطنى .. وتلقى تقارير اللجان الثلاثة المشار إليها .. وإحاطة سيادته بما تتوصل إليه أولًا بأول.

يوم 10 فبراير تحدث عمر سليمان بلسانه هو للمرة الأخيرة، كان مبارك قد انتهى لتوه من خطاب مخيب للآمال، لم يعلن فيه تنيحه، اكتفى فقط بأن أشار أنه فوض صلاحياته لنائبه السيد عمر سليمان، وكان للأخير أن يتكلم بعد أن آلت الصلاحيات إليه.

قال سليمان فى حديث مسجل أذاعه التليفزيون المصرى: أيها الإخوة المواطنون ... هذه ساعة فاصلة فى تاريخ الوطن تتطلب من كل الشرفاء الحريصين على أمن وأستقرار مصر، أن يتحدوا ويحكموا العقل وينظروا إلى المستقبل.

إن حركة شباب 25 يناير نجحت فى إحداث تغيير هام فى مسار الديمقراطية، ولقد بدأ التغيير واتخذت القرارات الدستورية وشكلت اللجان لتنفيذه ما اتخذه الرئيس من قرارات فى خطابه فى الأول من فبراير.

إن ما أعلنه السيد الرئيس اليوم يؤكد من جديد حسه الوطنى الرفيع، وانحيازه للمطالب المشروعة للشعب، وإلتزامه بما تعهد به من تعهدات، كما يبرهن على إدراكه لخطورة المرحلة الدقيقة التى تمر بها مصر فى الوقت الراهن.

لقد وضع السيد الرئيس المصالح العليا للبلاد فوق كل اعتبار.

وبعد ان فوضنى السيد الرئيس بتحمل مسئولية العمل الوطنى للحفاظ على امن واستقرار مصر ومكتسباتها ودورها ودرء المخاطر عن أبنائها، وإعادة الطمأنينة إلى قلوب المصريين وإعادة الحياة إلى طبيعتها، فأنا أطلب من الجميع الوصول إلى هذا الهدف، وليس لدى شكًا أن الشعب قادر على حماية مصالحة.

لقد فتحنا باب الحوار وتوصلنا إلى التفاهمات، ووضعت خريطة طريق لتنفيذ معظم المطالب وفقا للزمن المتاح ومازال الباب مفتوحا لمزيد من الحوار.

وفى هذا الإطار أوكد على الآتى: أننى ملتزم بإجراء كل ما يلزم لتحقيق الإنتقال السلمى للسلطة وفقا لأحكام الدستور، وأعلن تمسكى بتنفيذ كل ما تعهدت به من إجراءات فى الحوار الوطنى وما يتم الإتفاق عليه لاحقاً، والحفاظ على ثورة الشباب ومكتسباتها، والعمل على إستعادة الثقة واحترام الدستور والقانون، وأن احقق مطالب الشعب بالحوار الواعى المتحضر.

ومن هذا المنطلق فأنا أطالب كل المواطنين أن ينظروا إلى المستقبل، وبأيدينا نجعل هذا المستقبل مشرقا وزاخرا بالحرية والديمقراطية.

إن هذا الشعب البطل لن ينجرف إلى مخاطر الفوضى، لن يسمح لأصحاب أجندات التخريب بأن يكون لهم وجود بيننا.

دعونا نسير معا على طريق جديد يحقق أمل الشباب وكل الأجيال لحياة آمنة ومستقرة يسودها حب الوطن الذى يستحق منا أن نحفظه ونضحى بكل غالى ونفيس.

ياشباب مصر وأبطالها، عودوا إلى دياركم وأعمالكم، فالوطن يحتاج إلى سواعدكم لنبنى وننمى ونبدع، لا تنصتوا إلى الفضائيات المغرضة التى لا هدف لها إلا إشعال الفتن والعمل على إضعاف مصر وتشويه صورتها .. استمعوا فورا إلى ما تمليه عليه ضمائركم وحسن تقديركم ووعيكم للمخاطر المحيطة بنا.

لقد بدأنا العمل معتمدين على الله وعلى مؤساساتنا وعلى رأسها القوات المسلحة الباسلة التى حمت ثورة الشباب وشرعيته الدستورية وحافظت على أمن المواطن وممتلكاته.

لقد دقت ساعة العمل، ولنسر على بركة الله مؤمنين بصلابة هذا الشعب ومواجهة التحديات والمحن .. سنعمل بروح الفريق الواحد وبعزيمة المصريين التى لا تلين.

لقد عاهدت الله وأعاهدكم أن أعمل بكل قوة لهذا الوطن للحفاظ على أمنه ورخاء شعبه.

وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنين.

❋ ❋ ❋

ولأن ما قاله عمر سليمان كان مجرد إمتداد لكلام فارغ كثير قاله خلال الثورة، فقد رفع شباب ميدان التحرير الأحذية فى وجهه، كما رفعوها فى وجه مبارك قبل دقائق، كان عمر سليمان قد فقد كل قيمة له، أحس المصريون أنه مجرد موظف لدى نظام مبارك، يحاول الحفاظ على نظامه ومصالحه ومكاسبه، ولذلك أسقطوه ربما قبل أن يسقطوا مبارك.

كان يمكن لعمر سليمان أن ينحاز إلى الشعب من اللحظة الأولى ... لكنه اختار أن ينحاز لنظام مبارك - وهنا لن أقول مبارك نفسه - وحتى الحل الذى توصل إليه وهو أن يتولى الجيش شئون البلاد، كان فيه حفاظ على نظام مبارك، فالجيش حتى هذه اللحظة هو جيش مبارك، ولم يكن عمر سليمان ليتوقع على الإطلاق أن يدير المجلس العسكرى الأمور حتى تسقط مصر كلها فى حجر الإخوان والتيارات الإسلامية.

كان عمر سليمان الرجل الذى جاء به مبارك من أجل إنقاذه و إنقاذ نظامه سببا مباشرا فى التعجيل بإسقاط هذا النظام، كانت أفكاره كلها تقليدية، وطرحه عتيق للغاية، لم يقتنع أن الأزمة أبدعها الشباب من فرط حماسهم وغضبهم و إحباطهم، وكان لابد أن يكون هناك رجل له خيال ليستوعب ما جرى ... أما سليمان ورغم تاريخه المخابراتى والعسكرى، فهو لم يكن صاحب خيال على الإطلاق.

الفصل التاسع

9



مبارك وسليمان من طريق النجاة إلى طريق الغرق

قبل الثورة بأيام قليلة – تحديدا فى 16 يناير 2011 - كان عمر سليمان يحضر واحدة من المناسبات الإجتماعية، اقترب منه صديق قديم عمل إلى جواره فى جهاز المخابرات، وسأله عن رد فعل مبارك على خروج زين العابدين بن على هاربا من بلاده التى ثارت ضده.

قال سليمان: أنا أبلغته بأن زين العابدين فى طائرته يهرب من تونس – حدث هذا يوم 14 يناير 2011 - وعدد من الدول يرفض استضافته، وفوجئت به يقول لى: ده راجل عبيط إزاى عمل كده...إزاى يمشى بالشكل ده.

وفى لحظة ربما تكون إلى اليأس أقرب، سأل صديق سليمان: هل يدرك معنى كلامه...ليه مش عاوز يحسبها صح؟

وفى نبرة أقرب إلى السخرية قال سليمان: أصله "حسيب " قوى... وهى جملة تشير إلى أن عمر سليمان وقبل الثورة بأيام قليلة كان يدرك أن مبارك فى ورطة، لكن يبدو أن تشابك المشهد السياسى فى البيت الرئاسى والحزب الحاكم والقصر الجمهورى، جعله يبتعد عن الأمر تماما، مشيعا مبارك فقط بجملة ساخرة.

قد يكون هذا تفسير يعلى من حسن نية عمر سليمان تجاه مبارك، لكن التفسير الذى يهمنى هنا يتجه إلى معرفة عمر سليمان بمبارك الرئيس والإنسان.

فعلى السطح كان يبدو أن عمر سليمان صديق مقرب من مبارك، يثق فيه الرئيس و يعطيه أذنيه، وربما قاربت الأقدار بينهما، عندما كان سليمان صاحب اقتراح أن يصطحب مبارك

سيارة مصفحة معه خلال زيارته إلى أثيوبيا عام 1993، وهى السيارة التى كانت سببا فى نجاته.

عمر سليمان فى حياة مبارك كان طوق نجاة إذن، لكنه فى نهاية الطريق كان طوق الغرق... فلم تكن النهاية التى انتهى إليها مبارك إلا بتوقيع سليمان وشهادته، وهذه قصة تطول لابد أن نرويها من بدايتها... على الأقل من أطراف أمسكت بها بنفسى.

* * *

فى 30 مارس 2005، همس لى أحد مصادرى المقربين من مؤسسة الرئاسة أن هناك عددا من السيناريوهات التى يتم التفكير فيها، لتمرير سيناريو التوريث ورفع جمال مبارك رئيسا لمصر.

كان من بين هذه السيناريوهات أن يخوض مبارك إنتخابات الرئاسة فى 2005، وبعد أقل من عامين يتخلى عن موقعه تاركا المسئولية لنائبه الذى سيختاره مباشرة بعد نجاحه فى الإنتخابات، وهذا النائب هو السيد عمر سليمان مدير جهاز المخابرات، على أن يعين سليمان نائبا له مباشرة، وليس هناك أفضل من جمال مبارك لتولى هذا المنصب، وسيكون فى هذا تمهيد جيد ليتقبله الشارع المصرى.

يومها أشار المصدر بأن هذا السيناريو معقول لأنه يعكس حالة الرئيس مبارك الذى أبلغ معاونيه بأنه يريد أن يستريح، لكنه لا يريد أن يترك الا عينة قبل أن تستقر.

المفاجأة أنه كان هناك سيناريو آخر تماما بطله عمر سليمان، وهو أن يرشح نفسه بديلا لمبارك فى الإنتخابات من بدايتها، وساعتها - كما قال المصدر - لن تكون هناك معارضة لمرشح الحزب الوطنى فالرجل يحظى بتقدير وتأييد الشارع، ثم أنه سيخفف الضغط على الرئاسة بورقة جمال مبارك، الذى سيعلن لو قبل أن يرشح سليمان نفسه أنه لن يترشح للرئاسة.

لم يحدث شئ من هذا بالطبع، ظل الأمر مجرد مجموعة من السيناريوهات التى لم تفعل، لكن هذا الحديث فتح لى نافذة أطل منها على عمر سليمان.

ومن بين ما كتبته عنه وقتها:

لا يعرف أحد الكثير عن عمر سليمان، من أين جاء وكيف صعد؟

لقد ولد عمر سليمان فى محافظة قنا عام 1935، قضى تسعة عشر عاما فى مسقط رأسه، حيث رحل إلى القاهرة فى العام 1954، أى بعد ثورة يوليو بعامين فقط، وذلك ليلتحق بالأكاديمية العسكرية.

عندما تخرج عمر سليمان فى الأكاديمية العسكرية سافر فى بعثة إلى الإتحاد السوفيتى، وهناك تلقى تدريبا عسكريا عالى المستوى فى أكاديمية «فرونزى».

لم يركن عمر سليمان إلى العلوم العسكرية، فبعد عودته من موسكو درس الإقتصاد والعلوم السياسية، وحصل على البكالوريس ودرجة الماجستير فيهما،وبعد ذلك بدأ العمل فى المخابرات العسكرية، وكان ذلك فى العام 1991.

من المخابرات العسكرية كانت نقطة الإنطلاق، فى إحدى الندوات التى حضرها الراحل الدكتور مصطفى خليل رئيس وزراء مصر الأسبق فى مقر المخابرات العسكرية، وقف عمر سليمان ليتحدث، أعجب به مصطفى خليل، واهتم بأفكاره وآراءه خاصة فيما يتعلق بملفات مصر الخارجية، على الفور رشحه للرئيس مبارك ليكون مقربا منه... كان ذلك فى العام 1991، وعلى الفور جاء به الرئيس مبارك من المخابرات العسكرية مديرًا للمخابرات العامة المصرية.

قبل عمر سليمان لم يكن اسم مدير المخابرات المصرية معروفا ، لكن الدور الذى قام به كان أكبر من حجم منصبه فى المخابرات، رآه المصريون للمرة الأولى فى يونيو 2000، وهو يقف إلى جوار الرئيس مبارك فى جنازة حافظ الأسد، وبعد أن أصبح ملف القضية الفلسطينية بين يديه بديلا للدكتور أسامة الباز، أصبح يظهر كثيرا خلال رحلاته المكوكية إلى إسرائيل لإصلاح ذات البين بين الإسرائيليين والفلسطينين.

ختمت ما كتبته بأن أهمية عمر سليمان فى هذه اللحظة أنه بالفعل الوجه المقبول ليشغل منصب الرئيس، فهو خبير بمعظم ملفات مصر الخارجية، وهى صفة من أهم صفات الرئيس فى مصر، كما أنه ينتمى إلى المؤسسة العسكرية، التى لن تسمح على الأقل فى الوقت الراهن بأن يصل مدنى إلى منصب الرئيس.

لم يعلق أحد من مؤسسة الرئاسة على ما نشر، كانت الرئاسة تتعامل مع ما تكتبه الصحف على أنه والعدم سواء، لكن الملاحظة التى وصلتنى من مصدرى هى أن عمر سليمان مستاء بشدة من التسريبات التى تخص صعوده السياسى و إمكانية أن يكون هو المرشح للرئاسة القادمة، وكانت حجته فى ذلك أنه لا يريد أن يغضب الرئيس مبارك، فالعلاقة التى تربط بينهما لا تسمح له بأن يكون هو تحديدا سببا فى إغضاب الرجل.

❋ ❋ ❋

اسم عمر سليمان لم يكن مطروحا كبديل لمبارك لدى النخبة السياسية فقط، ولكنه كان بديلا له لدى النخبة المثقفة أيضا، ففى العام 2009 كان الدكتور محمد عفيفى أستاذ التاريخ بجامعة القاهرة قد حصل على جائزة التفوق فى العلوم الإجتماعية عن كتابه «المستبد العادل».

وعبر حوار معه وجدته يلقى لى بتصور اعتبرته معقولًا وقتها، قال أن مصر لابد أن تمر بفترة إنتقالية من عصر مبارك إلى عصر آخر أكثر حرية وديمقراطية، ولن يستطيع أحد أن يفعل ذلك إلا شخص يكون منتميا إلى نظام مبارك لكنه لا يحمل أمراض هذا النظام من الفساد.

سألته عمن يكون هذا الشخص من وجهة نظرك، قال: ليس هناك إلا عمر سليمان، فتجربته مثل تجربة محمد نجيب الذى كان ينتمى إلى نظام الملك فاروق لكنه لم يكن فاسدا، وقد استطاع أن يكون جسرًا عبرت عليه مصر من النظام الملكى إلى النظام الجمهورى بصرف النظر عن مصيره، ولا يوجد شخص مؤهل لهذه المهمة أكثر من عمر سليمان.

❋ ❋ ❋

الجميع كان يفكر فى عمر سليمان...ولم يكن عمر سليمان يفكر إلا فى مبارك، وعلى هامش ذلك كتبت مرة أخرى عن رجل مبارك الوفى، ضمن سلسلة عن رجال الرئيس نشرتها عبر موقع الأزمة الإلكترونى...وكان التوصيف الحاضر لعمر سليمان هو مايسترو النظام، فليس صحيحا أنه بعيد عن الصورة، فهو متورط فيها حتى أذنيه، لكن نحن الذين لا نريد أن نرى.

❋ ❋ ❋

وكان ذلك قبل الثورة بشهور قليلة.

عندما تكتب اسم عمر سليمان على محرك البحث جوجل (وهو من أهم وأشهر محركات البحث على شبكة الإنترنت) ستحصل على 9700 نتيجة، و2900 صورة (هذه الإحصائية تغيرت كثيرا بعد وفاته، فقد تجاوزت النتائج أكثر من 30000 نتيجة) وهى نتيجة أعتقد أنها ليست هينة، بل تتناسب مع الدور الذى يقوم به، والمكان الذى يشغله، والمكانة التى يحتلها واحد من أهم الرجال فى نظام الرئيس مبارك.

لكن المفاجأة أن كل هذه النتائج لا تضع يدك على حقيقة الرجل، لا تشفى ظمأ المعرفة والبحث عنه، الذى هو فعليا الرجل الثانى فى مصر، فهو مدير جهاز المخابرات العامة المصرية، وهو منصب له جلاله وقوته وسيطرته.

على عكس مدراء الجهاز السابقين - لم يكن المصريون يعرفون عنهم شئيا على الإطلاق - يأتى عمر سليمان ليمثل ما يمكن أن نطلق عليه «رجل المخابرات الشعبى»، فالشارع المصرى يعرفه، بل ويلم بأطراف عديدة من وعن حياته.

كان أول ظهور علنى لعمر سليمان فى مؤتمر لندن الأول للسلام الذى رعاه تونى بلير رئيس وزراء بريطانيا السابق فى العام 2003، ورغم أن أحدا لم يستمع له وهو يتحدث فى هذا المؤتمر، إلا أن من تعاملوا معه أشاروا إلى أنه رجل يتصف بالذكاء والدراية التامة بالشئون الدولية.

أما أول إعلان رسمى عن صوت عمر سليمان، فكان بعد ذلك بسنوات، عندما ألقى كلمة أمام أحد إجتماعات حوار الفصائل الفلسطينية، وهى الكلمة التى نقلتها وسائل الإعلام، وكانت المرة الأولى التى يسمع فيها الشارع المصرى لصوته، ولم يكن الفارق بين صوته وملامحه كبيرا، فهو رجل جاد وكذلك صوته، وهو رجل غامض وكذلك صوته عميق لا ينبئ عما يفكر فيه بسهولة.

لكن كيف صعد عمر سليمان ليحتل المساحة التى لا تكاد ترى بينه وبين الرئيس مبارك، للدرجة التى تخرجه من درجة رجل الرئيس،إلى درجة أنه الرجل الثانى إلى جوار الرئيس؟

الأقدار وحدها من أرادت ذلك وصنعته.

كان الرئيس مبارك فى طريقه إلى أديس أبابا لحضور القمة الإفريقية رقم 31 فى العام 1995،

وكانت قد توفرت لجهاز المخابرات العامة المصرية، معلومات عن إحتمال تعرض الرئيس مبارك لهجوم مسلح، طلب سليمان من الرئيس أن يصطحب معه السيارة المصفحة تجنبا لأى طارئ، لكن رجال الخارجية اعترضوا بشدة،على أساس أن إصطحاب السيارة المصفحة يمكن أن يثير غضب أجهزة الأمن الأثيوبية، ولا أعرف هل كان رجال الخارجية المصرية يعرفون وقتها، أن كل الأسحلة التى صرح بها الأمن الأثيوبي للحراسة المصرية هى خمس قطع سلاح دون تحديد لنوعها ودون تحديد لعدد الطلقات بها.

بين الشد والجذب، عمر سليمان يصر، ورجال الخارجية يعترضون، وافق الرئيس مبارك على أن يصطحب معه السيارة المصفحة، وهى سيارة ليموزين سوداء موديل 560، وكان معها من القاهرة سائق وميكانيكى وخبير مفرقعات، على الكرسى الخلفى للسيارة كان عمر سليمان يركب إلى جوار الرئيس، وعندما بدأ الهجوم على الموكب، قيل أن عمر سليمان هو من أمر السائق بأن يعود إلى المطار مرة أخرى،وهو ما حدث بالفعل، لتكتب النجاة للرئيس.

كانت خطة إغتيال مبارك محكمة للغاية.

كان سيناريو العملية يقوم على وجود 3 أكمنة، و3 نقاط للتنفيذ، كانت الأكمنة الثلاثة هى:

الأول: كمين متحرك وهو السيارة التويوتا لاندكروز التى أوقفت الموكب، وفصلت بين سيارة الشرطة الأثيوبية، وسيارة الرئيس وباقى سيارات الموكب، وقد نزل منها 3 أفراد يطلقون الرصاص من بنادقهم الآلية (كلاشينكوف) عيار 7.92*39، وهى روسية الصنع، وكان هؤلاء يطلقون النار على سيارة الرئيس، وقد استداروا معها عندما أخذت الطريق العكسى متجهة إلى المطار، مما جعل ظهورهم مكشوفة للحرس المصرى الذى أطلق عليهم النار، وقتل اثنين منهم وجرح الثالث.

الثانى: كمين ثابت على الطريق فى نفس النقطة، وهو عبارة عن فيللا صغيرة من دور واحد تحمل رقم 2143 وتملكها سيدة أثيوبية تدعى «فنتاى قبرتنس» وقد أجرتها إلى شخص يدعى سراج محمد، ثبت فيما بعد أنه الشخص الذى جرح، وقد اختفى من مكان الحادث بعد إصابته.

الثالث: كمين متحرك عبارة عن سيارة مفخخة كانت تقف على بعد عدة أمتار بالقرب من بيت يستعمله وزير الدفاع الأثيوبي كمخزن للأثاث، وقد شاهد رجلان من الشرطة الأثيوبية الإرهابيين الذين يقفون بالقرب منه، لكن الإرهابيين أطلقوا عليهما الرصاص فقتلا فى الحال، وكان ذلك قبل ساعة الصفر، أى قبل إطلاق الرصاص على سيارة الرئيس.

بجانب هذه السيارة المفخخة، كان هناك إثنان يحملان جهازين لإطلاق قذائف آر. بى. جى، وكان فى حوزتهما 4 قذائف قادرة على اختراق الدروع الحديدية وصهرها، فانفجار هذه القذائف يسبب درجة حرارة تزيد على 3000 درجة مئوية.

وبعيدا عن هذه الأكمنة كانت هناك فيلتان استأجرهما مدبرو العملية، امتلأت حجراتهما بالأسلحة والمفرقعات، وعثر فيهما على أجهزة اتصالات وتنصت، اتضح أنها نجحت فى رصد وصول طائرة الرئيس، كما أن بعضها كان فى الشاليه المخصص للرئيس فى قصر الرؤساء.

كان مخططا أن يبدأ المهاجمون بإطلاق النار على سيارة الرئيس عند نقطة الكمين الأول، فإذا فشلوا وانطلقت السيارة إلى الأمام تعامل معها من فى الكمين الثانى بإطلاق قذائف آر. بى. جى، و إذا فشلت المحاولة تتدخل السيارة المفخخة.

كانت الخطة تتسم بالإحتراف والخطورة إذن، لكنها كانت تفترض أن ركب الرئيس سيواصل تقدمه، ولن تقفز سيارته على الجزيرة الوسطى وتعود إلى المطار، ومن ثم كانت عبارة الرئيس للسائق: لف وارجع هى مفتاح النجاة.

كان لدى الإرهابيين سيناريو آخر، وهو خطف مبارك عند نقطة الكمين الأول، ليصبح رهينة، يمكن المساومة عليها، للإفراج عن المتطرفين المعتقلين فى مصر، ولفرض الكثير من الأمور التى يريدونها.

سيناريو الإختطاف لم يكن خيالا، فبعد أيام من محاولة الإغتيال تلقى الرئيس مبارك تقريرا مفصلا عن الحادث، ومن بين ما جاء فيه أن المقصود من عملية أديس أبابا لم يكن إغتيال الرئيس، بل اختطافه مع عدد من المسئولين المرافقين له والتوجه إلى مطار أديس أبابا للسفر بالمختطفين إلى مكان غير ملعوم، ثم المساومة على حياة الرئيس وربط عودته لمصر

بالإفراج الفورى عن المسجونين والمعتقلين كافة، وإسقاط كافة الأحكام القضائية الصادرة بحق قيادات الجهاد والجماعة الإسلامية وعلى رأسهم عمر عبد الرحمن وعبود الزمر ونبيل المغربى وترحيلهم إلى جهة يحددها منفذو حادث أديس أبابا.

دخل عمر سليمان حياة مبارك بعد هذا الحادث دخولا جديدا ومختلفا، فقد كان هو سبب - بل السبب الأول وربما الوحيد - فى نجاة مبارك، وأعتقد أن هذه الواقعة، قربت بينهما، وهو أمر طبيعى للغاية، للدرجة التى أصبح فيها سليمان الرجل الذى يحظى بثقة مبارك المطلقة، فما يقوله لا يرقى إليه شك لدى الرئيس.

لم يكن ما فعله سليمان مع مبارك فى أديس أبابا هو السبب فقط، بل لأنه تقريبا الرجل الوحيد فى النظام المصرى، الذى يقول لمبارك ما يحدث فعلا على أرض الواقع، ولا يفعل مثل رجال الرئيس الآخرين، الذين يقولون له ما يريد أن يسمعه، لا ما يجب أن يعرفه.

الطريق إلى مكانة الرجل الثانى، كان طويلا وشاقا ومجهدا أيضا.

لقد ولد عمر محمود سليمان فى الثانى من يوليو العام 1935، أى أنه يحمل على كتفيه خمسة وسبعين عاما - تاريخ الكتابة يعود إلى 2010 - ، دون أن ينوء بها، وبعد أن قضى تسعة عشر عاما فى مسقط رأسه بمدينة قنا، جاء إلى القاهرة فى العام 1954 أى بعد الثورة بعامين فقط، ليلتحق بالكلية الحربية، التى كانت وقتها حلم كل الشباب، بعد أن أصبح خريجوها من يحكمون بعد قيامهم بالثورة.

بعد أن تخرج سليمان من الكلية الحربية أرسله الرئيس جمال عبد الناصر فى دورة تدريبية متقدمة فى أكاديمية «فرونز» العسكرية بموسكو، وكانت المفارقة كما حكى أحد زملاء سليمان فى هذه الدورة أن عبد الناصر استدعاهما هو وعمر سليمان قبل أن يسافرا إلى موسكو، وقال لهما: إننى أريدكما أن تعودا كارهين للشيوعية..ويعلق الزميل على ذلك: وقد فعلها سليمان .

ما بين عودته من موسكو إلى منتصف الثمانينات، شغل سليمان عدة مناصب،منها قائد لواء، وقائد فرقة، ورئيس فرع التخطيط العام فى هئية القوات المسلحة، ورئيس أركان منطقة، وقد أثبت فى كل المناصب التى تولاها تفوقه كخبير استراتيجى عسكرى، خاصة أنه دعم

دراسته وثقافته العسكرية بحصوله على درجتى البكالوريس والماجستير فى العلوم السياسية من جامعتى عين شمس والقاهرة.

حملته هذه الخبرات إلى أن يكون نائبا لمدير المخابرات الحربية، ثم مديرا لها، وفى العام 1991 يصبح عمر سليمان رئيسا لجهاز المخابرات العامة المصرية، ليصبح بذلك الرجل على رأس واحد من أقوى أجهزة المخابرات فى العالم، فطبقا للتصنيفات العالمية، فإن المخابرات الأمريكية تأتى فى المرتبة الأولى من حيث الإمكانيات والنجاحات، ثم المخابرات الروسية التى بنيت على بقايا المخابرات السوفيتية السابقة الكى جى بى، ثم المخابرات الفرنسية (دو زييم بيرو)، وبعد ذلك تتنافس كل من المخابرات المصرية والإسرائيلية (الموساد) على المركزين الرابع والخامس، حيث يتبادلان المراكز من فترة لأخرى.

ما يزعج فى الأمر بالفعل، أنه لا توجد صحيفة مصرية على الإطلاق أجرت حوارا مع اللواء عمر سليمان، ولا أقدم صحفى مصرى على أن يكتب عنه من تلقاء نفسه، بل كل ما نشر عن عمر سليمان فى الصحف المصرية منقول عن الصحف الإسرائيلية أو الأمريكية.

وقد يكون منطقيا بعد ذلك أن أحدد ملامح صورته ممن كتبوا عنه ونقلنا عنهم.

الصحفية الأمريكية «مارى ويفر» اهتمت بشخصية عمر سليمان، وقضت سنوات طويلة تجمع عنه المعلومات، تقول: «رغم أن اللعبة السياسة لا تجرى فى دمائه، إلا أنه يذكرها بالرئيس السادات، فهو طويل ونحيف، له ملامح أهل الصعيد والنوبة كما السادات، بشرته شديدة السمار، وقسمات وجهه لا توحى بالهم كما معظم المصريين، شعره داكن، شبه أصلع ويعوض الصلع شارب رمادى داكن».

لكن الأهم من الملامح الشكلية التى يدركها الجميع بعد أن أصبح نشر صور سليمان أمرا معتادا فى الصحف، كانت آراءه السياسية التى كشفت «مارى ويفر» عن بعضها تقول: «أحيانا يقف مع المتشددين، وفى أحيان أخرى يكون معتدلا، اعترض دائما على تعذيب الإسلاميين لأنه أدرك أن التعذيب يهزم النفس فى النهاية».

الهيرالد تريبيون الأمريكية أشارت فى تقرير مطول لها عن سليمان، بأن نجمه لمع فى

العام 1995، بعد أن أشار على الرئيس مبارك أن يصحب معه سيارته الليموزين المصفحة ضد الرصاص والقنابل، وهو فى طريقه لزيارة العاصمة الأثيوبية أديس أبابا، وكما - تشير الصحيفة - فإن سليمان نفسه كان مع الرئيس مبارك داخل السيارة على الأرجح، عند تعرضها للهجوم بالنيران من مجموعة من الأصوليين المتطرفين، بعد مغادرتها مطار أديس أبابا بقليل، وقد فشلت المحاولة ولكن صدقت نصيحة سليمان لمبارك،وأصبح الرئيس مدركا بعدها أن أمنه يستقر فى أيد أمينة، وأن الرجل موضع ثقة لا حدود لها.

الصحافة الإسرائيلية هى الأكثر إهتماما بعمر سليمان، تحديدا بعد أن أصبح الرجل مسئولا عن ملف النزاع العربى الإسرائيلى، وتحديدا قضية فلسطين و إسرائيل.

فى ملف خاص نشرته صحيفة ها آرتس الإسرائيلية أشارت إلى أن اللواء عمر سليمان يبدو للوهلة الأولى ضابط مخابرات تقليدى، أصلع الشعر، متوسط الطول، لا يثير الإنتباه بصورة خاصة، لكن الذين التقوه يقولون إن المرء يلاحظ عينيه السوداوين ونظرته الثاقبة، وأنه لا يميل إلى الكلام كثيرا، وعندما يتحدث فصوته هادئ ومنضبط وكلماته متزنة، و يترك إنطباعا قويا يملك ما يسميه العرب الوقار أو السمو، ويتمتع بحضور قوى ومصداقية واضحة.

وكما ذهبت الصحيفة الإسرائيلية فإن سليمان يتصرف بطريقة رئاسية، ويعبر عن إعتداد بالنفس، ندر مثيله فى أوساط كبار الموظفين فى العالم العربى، ويبدو أنه اعتاد على أن يتعامل الناس معه بوقار واحترام، والمحيطون به يعرفون ما يريد وما هى حاجته حتى قبل أن يطلبها، وتقدم له حاجاته فى وقتها بالضبط، فالقهوة أو الطعام أو المشروبات غير الكحولية أو السجائر، كلها تصل إلى مكتبه فى مواعيد دقيقة، ودون أن يصدر تعليمات أو يطلب، فهذه أمور بديهية كما يراها هو.

ويصف دبلوماسى إسرائيلى سابق التقى بعمر سليمان فى مكتبه بالقاهرة ما رآه، يقول: «مكتبه يتسم بتدين واضح، وبفخامة غير مألوفة، حتى يكاد المرء يظن أنه فى قصر ملكى، يجمع بين الفخامة والذوق الرفيع».

لم يكتف الدبلوماسى الإسرائيلى بما قاله، بل نقل لها آرتس ما قاله له رجل مخابرات أمريكى عن إنطباعه عن مكتب عمر سليمان يقول رجل المخابرات: «إنه حتى على مستوى

الرؤساء العرب فمكتبه ملفت للنظر، ويشير بوضوح إلى مكانته الرفيعة، وإلى الطريقة التى ينظر الناس بها إليه فى مصر، وإلى رؤيته شخصيا لنفسه، إن مكانته أعلى من مجرد مكانة رئيس جهاز مخابرات، إنها أعلى بكثير».

وتكشف الصحيفة الإسرائيلية عن جانب آخر من شخصية وعمل عمر سليمان، فهو طبقا لما تراه لا يقتصر عمله على منطقة الشرق الأوسط فقط،لكنه يقيم علاقات وثيقة مع أجهزة مخابرات غربية على رأسها السى آى إيه، وقد وجه لها تحذيرا بأن بن لادن ينوى توجيه ضربة لم يسبق لها مثيل داخل الأراضى الأمريكية.

وهو ما أشار إليه الصحفى الأمريكى «جوردون توماس»، فقد قال أنه وقبل ثمانية أيام من هجمات 11 سبتمبر أخبر عمر سليمان رئيس السى آى إيه فى القاهرة أن مصدرا موثوقا به أخبره بأن أسامة بن لادن سوف يقوم بتنفيذ عمليات ضد أهداف أمريكية.

وقد فسرت الصحيفة الإسرائيلية ذلك بأن تحذير سليمان للمخابرات الأمريكية لم يكن مستغربا، لأن الجناح العسكرى لبن لادن يتألف من عناصر تنتمى لتنظيمات مصرية، كانت تسعى للإطاحة بالنظام فى مصر، وقد نجح سليمان وجهاز المخابرات العامة فى إختراق تلك المنظمات خارج حدود مصر مرارا.

ولم يكن غريبا بعد كل ذلك أن تختم ها آرتس ملفها عن عمر سليمان بقول الدبلوماسى الإسرائيلى السابق: «لا أعتقد أن مدير أى جهاز آخر يعرف أدق التفاصيل عن خصمه كما يعرفها هو، كما أن تحليله عن نوايا بن لادن وخططه لا ينبغى التهوين من أهميته أو التشكيك فيه، أضف إلى ذلك تمتعه بحكمة بالغة فى حل الأزمات والتعامل مع الفرقاء».

إن اللواء عمر سليمان فيما أعتقد لم يقابل أى صحفى أو إعلامى مصرى، اللهم إلا الإعلامية جميلة إسماعيل، ولم يقابلها بوصفها إعلامية مصرية، ولكن بوصفها مراسلة مجلة النيوزويك الأمريكية فى القاهرة - وهذا قبل أن تصبح لها طبعة عربية تصدر من الكويت أغلقت بعد ذلك أيضًا -، ويحسب لجميلة اسماعيل الإعلامية وليس السياسية أنها الوحيدة التى كتبت عن عمر سليمان دون أن تنقل عن الآخرين، لأنها من الأساس كانت تكتب للآخرين.

ولأن المعلومات تأتينا دائما من الإعلام الخارجى، فليس أمامنا هنا إلا التحليل.

إننى أذهب إلى أن سر عمر سليمان يكمن فى أنه ليس رجل معلومات فقط، ولكنه رجل قادر على الإمساك بأطراف النبوّات، شئ من هذا فعله مع الرئيس مبارك، وأعتقد أن هذا هو سر حياته الأكبر، الذى دفع به ليس إلى أن يكون صديقا ومقربا من الرئيس فقط، ولكن إلى أن يكون رمانة الميزان فى النظام المصرى، أو يكون بالأدق المايسترو الذى يعزف اللحن الذى يغنى عليه الجميع، دون أن يسمح بأى نشاز أو شذوذ.

لقد تولى اللواء عمر سليمان عدة ملفات كان يشرف عليها سياسيون كبار، منها مثلا ملف القضية الفلسطينية الذى كان يشرف عليه أسامة الباز المستشار السياسى للرئيس لسنوات طويلة، ومنها كذلك ملفات العلاقات مع إفريقيا، والأوضاع فى العراق واليمن وليبيا والسودان.

لقد أصبح الرجل إذن يمسك بخيوط كل الملفات الشائكة مرة واحدة، وقد يكون فوزه بلقب «مطفئ الحرائق» لأنه يدير كل هذه الملفات بهدوء، ودون اللجوء إلى العنف أو الحلول الباترة، إنه يصل إلى عمق القلب دون أن يجرح، أو يجعل خصمه ينزف حتى الموت، يبقى على بعض حياة فيه، لعل وعسى أن يصل إلى ما يريده منه، ولذلك فلا فائدة من التخلص منه نهائيا.

إن إسرائيل تعرف جيدا قوة سليمان، لأنه من يدير ملفها مع فلسطين، قريب جدا من ملف الفصائل، فالرجل الهادئ الوديع، الذى تشى ملامحه بالطيبة الشديدة، تؤكد مصادر إسرائيلية وفلسطينية معا أن الوضع يصبح مختلفا تماما فى القاعات المغلقة، حيث يظهر الوجه الحقيقى للواء سليمان، فهو يتحدث بطلاقة وبشكل موجز، يعرف كيف يصل إلى النقطة التى يريدها بشكل مباشر وحاسم فى الوقت نفسه.

يبقى ملف واحد صنعه المصريون على أعينهم، وهو النظر إلى عمر سليمان على أنه يمكن أن يكون الرئيس القادم لمصر، خاصة أن الرئيس مبارك جعل منه موفده إلى كثير من الدول فى الملفات الخاصة والساخنة، بل إن المخابرات الإسرائيلية تحديدا تتعامل معه على أنه نائب الرئيس المصرى بالفعل، وهو ما جعل المخيلة الشعبية المصرية تبدع، وكان نتيجة إبداعها عددا من السيناريوهات منها:

أولا: أن عمر سليمان سيعين نائبا للرئيس مبارك لأنه الأقرب إليه والرجل الذى يحظى بثقته، وبذلك يصبح الرجل الرئيس القادم دون الدخول فى حوارات علنية أو سرية عن مرشح الحزب الوطنى فى الإنتخابات الرئاسية القادمة، لأن الرئيس مبارك يكون قد حسم الأمر، كما فعلها معه الرئيس السادات قبل ذلك.

ثانيا: الدفع باسم عمر سليمان بما له من قامة وقيمة فى أمور الرئاسة القادمة من شأنه أن يساهم فى إنتقال السلطة إلى جمال مبارك دون أن يعترض المصريون على التوريث، فهو سيكون الحل والمحلل السياسى، حيث يتولى الحكم لفترة ثم يأتى جمال مبارك بعد ذلك فى إنتخابات حرة نزيهة.

ثالثا: ما قامت به مجموعات مجهولة الهوية من نشر لافتات تحمل صورة عمر سليمان على أنه البديل الحقيقى بعيدا عن الحزب الوطنى، وهو ما تم التعامل معه بقوة وحذر حتى الآن.

هذه كلها مجرد سيناريوهات عابرة قد يكون لها أساس، وقد تكون نتاج نوع من العجز الشعبى، الذى لا يعرف بالفعل من سيكون بعد مبارك.

لم يحدث شئ من هذا، فقد أتى عمر سليمان بمبارك نائبا له، ليس حبا وكرامة، ولكن من أجل انقاذه وانقاذ نظامه.

كان مبارك محبا لعمر سليمان وواثقا فيه لأنه كان يعرف أنه بلا أطماع ولا طموح فى السلطة على الإطلاق، كان يقنع بدور الرجل الثانى، كانت الصورة الثابتة لدى مبارك عن مدير مخابراته أنه أقل الناس رغبة فى الحكم،وأنه زاهد فى السلطة تماما.

وربما لذلك لم يلتفت مبارك إلى مطالبات البعض بأن يتولى عمر سليمان منصب نائب الرئيس، وبالمناسبة كانت هذه المطالبات مبكرة، ففى العام 2005 أرسل الوزير السابق حسب الله الكفراوى رسالة إلى مبارك، قال له فيها أنه يخاف من الأيام القادمة، وأن المسرح الذى يقف عليه تحيط به الزبالة من كل مكان، وياريت ينضفه، وكانت أمنية الكفراوى الوحيدة أن يأتى مبارك بعمر سليمان نائبا للرئيس.

لم يهتز مبارك لهذه الطلبات كثيرا، لكنه مرة واحدة وكانت فى مارس 2010، عندما ظهرت

لافتات فى الشوارع تطالب بعمر سليمان نائبا للرئيس، وقتها كانت اللافتات مجهولة، لم يعرف أحد مصدرها، طلب مبارك شخصيا التحقيق فى أمر هده اللافتات، كان الشك بدأ يتسرب إليه من أن سليمان يمكن أن يكون وراءها، ولهذا تم التحقيق مع الشاب الذى أتهم بتعليق هذه اللافتات فى المخابرات الحربية، حتى يكون التحقيق بعيدا عن سلطة سليمان، لكن ما جرى فعليا أن الشباب الذين تم القبض عليهم لم تكن لهم أية علاقة بعمر سليمان، ولم يجلسوا معه، فخرجوا وعاد اليقين لمبارك مرة أخرى فى رجله المقرب والوفى.

* * *

المفاجأة أن عمر سليمان الذى كان طوق نجاة لمبارك فى أديس أبابا، كان هو طوق غرقه فى نهاية عهده، ليس لأنه فشل فى الحوار الوطنى أيام الثورة، وليس لأنه ضغط على مبارك من أجل أن يتنحى، ولكن لأنه وفى شهادته على أيام الثورة أمام النيابة ورط مبارك دون أن يقصد، وهذه قصة لابد أن نأتى لها، لكن قبل ذلك، ما رأيكم أن أضع أمامكم هذه الوثيقة، نص شهادة عمر سليمان كاملة عما جرى فى الثورة، تلك الثورة التى قامت على مبارك، فإذا بها تحرق جميع من حوله.

■ **اسمك وسنك ووظيفتك؟**

❑ اسمى عمر محمود سليمان «75 سنة» ... نائب رئيس الجمهورية السابق.

■ **ما هو التدرج الوظيفى لك والمناصب التى تقلدتها؟**

❑ تخرجت فى الكلية الحربية عام 1955 وتوليت الوظائف القيادية بالقوات المسلحة، من قائد فصيلة حتى قائد فرقة ومديراً للمخابرات الحربية، وكانت الوظائف القيادية فى سلاح المشاة، وتوليت رئاسة المخابرات الحربية من شهر يوليو 1989 حتى 4 مارس 1991، حيث تم تعيينى من قبل السيد رئيس الجمهورية رئيساً لجهاز المخابرات العامة، واستمررت فى هذا المنصب حتى يوم 29 يناير 2011، حيث تمت إحالتى للتقاعد وتعيينى نائباً لرئيس الجمهورية، وانتهت وظيفتى فى يوم 11 فبراير 2011، مع تخلى الرئيس حسنى مبارك عن منصب رئيس الجمهورية.

■ ما طبيعة عمل جهاز المخابرات العامة والاختصاصات المنوطة به؟

□ جهاز المخابرات العامة هو الجهاز الرئيسى فى الدولة المسئول عن الحصول على المعلومات السياسية والاقتصادية والعسكرية من جميع الجهات خارج الدولة، ويقوم بتجميعها وتحليلها وعمل التقديرات لرفعها للقيادة السياسية المتمثلة فى رئيس الدولة، كما يقوم الجهاز بنشاط تجميع المعلومات عن النشاط المناهض لأمن الدولة وسلامتها المتمثل فى مكافحة الجاسوسية والنشاط الهدام المؤثر على أمن وسلامة الدولة، ويقوم أيضاً الجهاز بالقيام بنشاطات سياسية غايتها تأمين مصالح مصر القومية وتحسين علاقتها بجميع الدول.

■ هل يلعب جهاز المخابرات العامة دوراً فيما يتعلق بداخل الدولة؟

□ نعم، يقوم جهاز المخابرات بالتعاون مع الأجهزة الأمنية فى الدولة «وزارتى الدفاع والداخلية»، فى مسائل حماية الأجانب والنشاط المناهض للأمن القومى المصرى، الذى يتم داخل الدولة وحماية المعلومات السرية للدولة.

■ هل قام جهاز المخابرات العامة بتجميع معلومات وأخبار عن حالة الجبهة الداخلية قبل 25 يناير 2011، وما هى هذه المعلومات والأخبار إن كانت؟

□ نعم تم تجميع معلومات من خلال المندوبين الذين يعملون لصالح الجهاز، بأن هناك حالة غضب شديدة لدى الشعب المصرى نتيجة تردى الأحوال الاقتصادية والبطالة والفساد الكبير والصغير، وزادت من هذا الغضب نتائج الانتخابات التشريعية لمجلس الشعب ومجلس الشورى، خاصة بعد المرحلة الأولى فى انتخابات مجلس الشعب، بالإضافة إلى ذلك أيضاً تم تجميع بعض المعلومات عن نشاط السفارة الأمريكية من خلال المعهد الديمقراطى والمعهد الجمهورى للديمقراطية الموجودين فى أمريكا عن طريق مندوبيهما داخل البلاد ومن خلال السفارة لإعطاء منح دراسية سواء فى أمريكا أو فى دول قريبة مثل الأردن، لتدريب هؤلاء الشباب على الحكم الرشيد والديمقراطية وأساليب فرض الواقع من خلال الاحتجاجات والتجمعات والمظاهرات، كما تضمنت المعلومات العديد من الاتصالات مع الحركات المعارضة مثل حركة كفاية وحركة 6 أبريل وحركة « كلنا خالد سعيد»، واتصالات من خلال «فيس بوك» و«تويتر» يعبرون فيها

عن ضرورة عمل شيء لتغيير الوضع الحالى للإفراج عن المعتقلين السياسيين ومحاربة الفساد و إنهاء العمل بحالة الطوارئ، واستمر الجهاز فى متابعة هذا النشاط منذ شهر أكتوبر 2010، تاريخ بدء هذه الاحتجاجات، والتى تصاعدت بشدة فى نهاية شهر نوفمبر، وأعقاب انتخابات مجلس الشعب وازدادت صعوبةً وشدةً بعد الأحداث التى حصلت فى تونس، وبدأ وقتها التخطيط لعمل مسيرات كبيرة فى المدن الرئيسية فى مصر يوم 25 يناير 2011، يوم عيد الشرطة.

■ **هل رصدت المعلومات بدقة حجم هذه المظاهرات وفئات المتظاهرين وطريقة التظاهر وأسباب التظاهر والاحتجاجات؟**

❑ المعلومات التى تم جمعها رصدت أن عدد المتظاهرين فى كل مدينة من المدن الرئيسية لن يزيد على 30 ألفاً، وأن الفئات التى ستقوم بهذا التظاهر هى الحركات السياسية التى ذكرتها من قبل فقط، وكانت المعلومات تؤكد أن هذه المظاهرات مثل المظاهرات السابقة، ستكون سلمية لتحقيق مطالبها ثم تقوم بالانصراف فى نهاية اليوم وأسباب الاحتجاج والتظاهر والمطالب كانت تنحصر فى إنهاء حالة الطوارئ والإفراج عن المعتقلين السياسيين كمطلب أساسى ثم محاربة الفساد و إقالة الحكومة، وهذه المطالب كانت حتى يوم 25 يناير، وزادت عليها فى ذلك اليوم والأيام التالية مجموعة طلبات متصاعدة بحل مجلسى الشعب والشورى وتعديل الدستور للقضاء على فكرة التوريث، وأضيف إليها بعد جمعة الغضب يوم 28 يناير إسقاط النظام.

■ **ما الإجراء الذى اتخذه الجهاز إزاء توافر هذه المعلومات لديه؟**

❑ تم إخطار وزارة الداخلية بما لدينا من معلومات فى إطار التنسيق معها ومع المخابرات الحربية، وتم إخطار السيد الرئيس أيضاً الذى أمر بعقد اجتماع وزارى برئاسة السيد رئيس الوزراء يوم 22 يناير 2011، والذى حضره كل من المشير حسين طنطاوى واللواء حبيب العادلى وأنس الفقى، وزير الإعلام السابق، وطارق كامل، وزير الاتصالات السابق، وأنا كرئيس للمخابرات العامة.. وتم عقد هذا الاجتماع خصيصاً لوضع سيناريوهات للتعامل مع الأحداث على ضوء تطورها فيما لو تصاعدت الأمور كنموذج تونس، وفى هذا الاجتماع تم استعراض كل المعلومات المتوفرة لدى الأجهزة الأمنية والسيناريوهات المحتملة والإجراءات التى يجب أن تتخذ.

■ ما الخطط التى قررت اللجنة الوزارية المذكورة وضعها للتعامل مع الأحداث وما الإجراءات التى اتفق على اتخاذها؟

❑ تم الاتفاق على المتابعة المستمرة للاتصالات بين شباب المتظاهرين والعلاقات الخارجية أو الاتصالات الخارجية التى تأتى لهم من الخارج وعدم التعرض للمتظاهرين وتم تحديد مسارات لهم وتأمين المنشآت الحيوية والعامة بواسطة الشرطة حتى لا يتم التعرض لها، والتدخل فى موضوع الاتصالات حتى نحد من حجم التنسيق بين المتظاهرين فى مدن معينة وليس على مستوى الجمهورية.

والسيناريو الثانى فى حالة تدخل أو مشاركة الإخوان المسلمين فى هذه المظاهرات من المحتمل ألا تكون فى بعض أوقاتها سلمية، وبالتالى اتفق على اتخاذ الإجراءات القانونية قبل مستخدمى العنف من المتظاهرين، والسيناريو الأخير فى حالة التدخل الأجنبى لدعم المتظاهرين أو خلافه يتم اتخاذ إجراءات سياسية وإعلامية قبل الدول التى تنتمى إليها هذه العناصر للتدخل فى الشؤون الداخلية.

■ ما معلوماتك بشأن أحداث التظاهر التى بدأت يوم 25 يناير والتى استمرت حتى يوم 11 فبراير 2011؟

❑ باختصار يوم 25 كانت مظاهرات سلمية وانتهت بتفريق المتظاهرين منتصف الليل تقريباً، وكذلك الأمر يوم 26 و27 يناير 2011، إلا أنه فى يوم 27 رصدت معلومات الجهاز وجود اتصالات بين عناصر من الإخوان المسلمين وعناصر من حركة حماس بغزة، وفهم من هذه الاتصالات أن جماعة الإخوان المسلمين ستشارك فى مظاهرات يوم 28 التى سميت جمعة الغضب، كما رصدت عناصر الجهاز وصول مجموعات إلى مصر يوم 28 وشوهدت بعد صلاة الجمعة يوم 28 فى ميدان التحرير.

■ هل تم تقديم توصيات ومشورة لرئيس الجمهورية ووزير الداخلية بشأن طريقة التعامل مع المتظاهرين اعتباراً من يوم 28 يناير 2011؟

❑ نعم وكانت التوصية والمشورة أن ننفذ السيناريوهات التى خلصت إليها اللجنة

الوزارية يوم 22 يناير وأن تكون القوات المسلحة على أهبة الاستعداد للنزول ببعض الوحدات العسكرية لحماية المنشآت الحيوية فى المدن الرئيسية لو تفاقمت الأمور.

■ **وما الأحداث التى وقعت بدءًا من يوم 28 يناير؟**

□ تجمعت أعداد ضخمة جداً لم تكن فى الحسبان ولا فى التقدير عقب صلاة الجمعة فى ميدان التحرير وبعض المدن الرئيسية فى عدة محافظات، وكانت تطالب بتحقيق مطالبها بإسقاط النظام وتغييره وحوالى الساعة الرابعة تقريباً انضمت إلى هذه المظاهرات مجموعة عناصر إجرامية وبدأت فى الاحتكاك بقوات الشرطة بهدف إنهاكها وإلحاق خسائر بها لجرها إلى الاشتباك معها مما أدى إلى حدوث هذا الاشتباك بالفعل بين قوات الشرطة المتواجدة بالميادين وتلك العناصر، وخرج الأمر عن السيطرة بعد أن قامت العناصر الإجرامية فى البدء فى اقتحام الأقسام والسجون وتهريب المساجين والمعتقلين، وأصبحت قوات الشرطة عاجزة عن الصمود وحفظ الأمن، وانقطعت الاتصالات بين وزير الداخلية وقواته وبين القوات ومساعدى الوزير، فأصدر الرئيس قراره حوالى الساعة 4 مساءً بنزول القوات المسلحة لتنفيذ مخطط حماية الشرعية فى البلاد وحفظ الأمن بها.

استمرت الاشتباكات طوال اليوم ما بين قوات الشرطة وبعض العناصر من المتظاهرين حتى أصدر الرئيس قراراً فى الساعات الأولى من صباح يوم 29/1 بإقالة حكومة الدكتور نظيف، وفى حوالى الساعة الرابعة ظهر ذلك اليوم صدر قرار بتعييني نائباً لرئيس الجمهورية وتكليف الفريق أحمد شفيق بتشكيل الحكومة الجديدة، وكان فى ذلك الوقت انتهت الاشتباكات وأقام المتظاهرون بأعداد أقل فى الميدان، وبدأ التفكير فى كيفية التجاوب مع مطالب المتظاهرين.

فى يوم 30/1/2011 توجهت صحبة الرئيس إلى مركز عمليات القوات المسلحة، وتم عرض خطة انتشار القوات المسلحة لتحقيق الأمن فى المدن الرئيسية بالجمهورية، وتم طلب وزير الداخلية حبيب العادلى، ولكنه لم يتمكن من الحضور بسبب الهجوم على وزارة الداخلية، وحينما تمكن من الحضور كان الرئيس قد غادر مركز العمليات للقوات المسلحة، فالتقيت باللواء حبيب العادلى وتعرفت منه على موقف جهاز الشرطة، والذى فهمته منه أن جهاز

الشرطة فى حالة انكسار ولن يستطيع مواجهة المتظاهرين وضرورة أن تقوم القوات المسلحة بأعمال التأمين مع الشرطة وأخطرت الرئيس بهذا وأوصيته بضرورة اتخاذ موقف سياسى يذكر فيه للشعب استجابته لمطالب تغيير الدستور وعدم ترشحه هو أو نجله جمال للرئاسة فى الفترة المقبلة، واستعداده لإجراء الدولة حواراً مع جميع القوى السياسية فى الدولة ووافق الرئيس على ذلك، وأعد خطاباً بهذا المعنى يوم الأحد 30 يناير 2011، ولكنه ألقاه مساء يوم 1/2/2011 حيث لاقى هذا الخطاب ارتياحاً لدى غالبية الشعب، ولوحظ أن أعداد المتظاهرين فى جميع الميادين قلت كثيراً فى أعقاب هذا الخطاب ونزول بعض المواطنين تلقائياً مؤيدين للرئيس فى بعض الميادين.

فى ذات اليوم، وفى حوالى منتصف الليل كلفنى الرئيس بإلقاء بيان لدعوة القوى السياسية للحوار للاتفاق على كيفية تحقيق المطالب والخروج من هذه الأزمة فألقيت البيان وأجريت اتصالاتى مع جميع القوى السياسية للاجتماع بهم فرادى يوم الأربعاء 2 فبراير 2011، حيث بدأت الاجتماع مع الدكتور أحمد زويل صباح يوم الأربعاء وأثناء اجتماعى معه علمت بحصول الاشتباكات فى ميدان التحرير بين المتظاهرين وبين عناصر أخرى لا أعرف هويتهم والتى سميت بموقعة الجمل، حيث أفسدت هذه الواقعة ما قدمه الرئيس استجابة لمطالب المتظاهرين، وفقد المتظاهرون الثقة فى الرئيس والنظام ثم ازداد حجم المتظاهرين بصورة أكبر بكثير وأصبح هناك إصرار من جميع الطوائف المتظاهرة بأعداد ضخمة جداً على ضرورة عمل تفويض باختصاصات رئيس الجمهورية إلىّ كنائب للرئيس.

كان هذا المطلب من يوم 3 فبراير 2011 إلا أن السيد الرئيس لم يستجب إلا يوم 10 فبراير 2011 وطوال هذه الفترة فشلت جميع محاولات الحوار مع القوى الوطنية بسبب موقعة الجمل التى حدثت يوم 2 فبراير 2011، وفى يوم 10 فبراير 2011 قبل منتصف الليل ألقى الرئيس بياناً فوضنى فيه فى اختصاصاته مع تشكيل لجنة لتقصى الحقائق فى موقعة الجمل ولجنة أخرى لإجراء تعديلات دستورية ولجنة ثالثة لتقصى الحقائق فى قتل المتظاهرين، ولكن هذا البيان لم يلق قبولاً شعبياً، وكان هناك إصرار على رحيل الرئيس وتخليه عن السلطة فاختار الرئيس يوم الجمعة 11 فبراير 2011 أن يتخلى عن منصب رئيس الجمهورية، وتكليف المجلس الأعلى للقوات المسلحة لإدارة شئون البلاد بناءً على طلب منى لتدهور الموقف الأمنى فى كل ميادين

جمهورية مصر العربية على أن تتم إذاعة نبأ التخلي بعد سفره إلى شرم الشيخ صباح يوم الجمعة وفى حوالى الساعة الخامسة قرأت عليه فى التليفون بيان التخلي، فوافق عليه وقمت بإذاعته من خلال التليفزيون، حيث لاقى قبولاً شعبياً عارماً، وفى يوم 12 فبراير 2011 قمت بتوقيع قرار التخلي عن الرئاسة بصفتى نائب رئيس الجمهورية فى ذلك الوقت.

■ **هل صدرت أى أوامر أو تكليفات إلى قوات الشرطة بإطلاق النار على المتظاهرين وفقًا لما توافر لديكم؟**

❑ لم تصدر أى أوامر أو تكليفات من أى جهة، حسب معلوماتى لقوات الشرطة بإطلاق أعيرة نارية على المتظاهرين لأن تفريق التظاهر يتم من خلال استخدام وضع الحواجز والمصدات أو دفع المتظاهرين فى اتجاه معاكس والضرب بالعصا واستخدام غازات مسيلة للدموع أو المياه فإذا فشلت هذه الوسائل يتم إطلاق أعيرة خرطوش فى الهواء أو فى الأرض بجوار المتظاهرين لعمل الرعب وحملهم على التفرق، فإذا فشلت هذه الوسائل فى تفريق المتظاهرين تعين الوقوف عند هذا الحد وترك المتظاهرين فى أماكنهم.

■ **هل وقفت المعلومات لدى جهاز المخابرات العامة على تزويد قوات الشرطة القائمة بتأمين تلك المظاهرات بأسلحة نارية وخرطوش؟**

❑ ليست لدينا معلومات عن هذا الأمر وهو ليس من اختصاصات الجهاز.

■ **بحكم منصبكم وخبرتكم العسكرية هل يمكن استخدام السلاح بإطلاق أعيرة نارية أثناء العمليات دون موافقة القادة أو الرؤساء؟**

❑ فى حالة الدفاع عن النفس ضد المخاطر فقط أو استخدام سلاح نارى، أما فى غير هذه الحالة فلا يمكن استخدام القوات الأسلحة النارية دون موافقة القائد فى الميدان مرورًا إلى القائد العام فى القوات المسلحة.

■ **هل يصدق ذلك على تعامل قوات الشرطة بالأسلحة النارية؟**

❑ نعم، فلا يمكن لرجل الشرطة إطلاق أعيرة نارية أثناء العمليات لفض المظاهرات إلا بتعليمات وأوامر من أعلى سلطة فى جهاز الشرطة وهى وزير الداخلية.

■ **هل رصدت المعلومات عدد القتلى والمصابين فى تلك المظاهرات وأسباب القتل؟**

□ المعلومات التى كانت متوافرة أثناء الأحداث أفادت بوجود قتلى أثناء اقتحام السجون والأقسام ووزارة الداخلية من العناصر الإجرامية من الشرطة نتيجة الاشتباك بينهما، ولكن لم ترد إلينا معلومات بوقوع قتلى من المتظاهرين سلميًا نتيجة إطلاق النار، ولكن كان هناك قتلى نتيجة التزاحم داخل المظاهرة.

■ **ما تفسيرك لتزويد بعض قوات الشرطة المكلفة بتأمين المظاهرات بأسلحة نارية وخرطوش حسبما ثبت من الاطلاع على بعض الدفاتر بوزارة الداخلية؟**

□ معرفش، لكن أعتقد أن هؤلاء ليسوا من قوات فض الشغب.

■ **بماذا تفسر ما ثبت من خلال التحقيقات من قتل بعض المتظاهرين والشروع فى قتل البعض الآخر من جراء إطلاق أعيرة نارية وخرطوش عليهم أثناء مظاهراتهم السلمية؟**

□ معرفش وممكن يكون من العناصر الإجرامية.

■ **بماذا تفسر تنفيذ نفس الطريقة والمنهج فى المحافظات التى اندلعت فيها المظاهرات؟**

□ أعتقد أن هذا خطأ فى تنفيذ الأوامر أو دفاعًا عن النفس.

■ **فى تقديرك هل يمكن لقوات الشرطة إطلاق النار صوب المتظاهرين دون أن تصدر بذلك أوامر أو تكليفات من وزير الداخلية السابق أو رئيس الجمهورية السابق؟**

□ معلوماتى أن رئيس الجمهورية ووزير الداخلية لم يصدرا أمرًا بإطلاق النار صوب المتظاهرين وكانت التعليمات فض المظاهرة بالطرق الاعتيادية التى ذكرتها من قبل.

■ **ما تقييمك للطريقة التى تم التعامل بها من قبل قوات الشرطة تجاه المتظاهرين، رغم ضخامة أعداد المتظاهرين على شكل يشكل ثورة شعبية؟**

□ فى يوم 28 الذى سمى جمعة الغضب كان حجم المتظاهرين بأعداد ضخمة تفوق كثيرًا قدرات الشرطة بصورة تعجز معها عن المواجهة. وبالتالى كان يتعين على قوات الشرطة

أن تنصرف ولا تواجه هذه الحشود الضخمة لاستحالة نجاحها وبالتالى أعتقد أن هناك سوء تقدير فى هذا التصرف.

■ **ما المعلومات التى توافرت لديك بصفتك نائباً لرئيس الجمهورية عن أحداث الاعتداء على المتظاهرين يومى 2 و3 فبراير والتى سميت «موقعة الجمل» والمخطط لها والمسؤول عنها؟**

❑ المعلومات ذكرتها من قبل، أما المخطط لها والمسؤول عنها فلم تصلنى فى ذلك الوقت أى معلومات من الوزارات المعنية، ومن أجل هذا شكلت لجنة لتقصى الحقائق.

■ **ما معلوماتك بشأن إبرام صفقات السلاح لصالح الدولة؟**

❑ هناك ثلاث جهات تعمل فى صفقات السلاح هى القوات المسلحة والشرطة والهيئة العربية للتصنيع، وتقوم القوات المسلحة بإجراء عمليات الشراء والبيع، بينما تقوم الشرطة بشراء الأسلحة فقط، أما الهيئة العربية للتصنيع فتقوم بعمليات البيع فقط وتتم عمليات شراء السلاح سواء للقوات المسلحة أو الشرطة من خلال اتفاقيات وعقود مع الدول المصنعة للسلاح.

أما عمليات بيع السلاح سواء من القوات المسلحة أو الهيئة العربية للتصنيع فتتم من خلال مرحلتين الأولى الموافقة السياسية أى أن يوافق جهاز المخابرات العامة على البيع لهذه الدولة، وكذلك القوات المسلحة ثم يتم أخذ موافقة الرئيس على البيع لهذه الدولة وفقاً لمقتضيات المصالح القومية للبلاد.

المرحلة الثانية تنفيذ عملية البيع والنقل، حيث يتم التفاوض ما بين طرفى البائع والمشترى على السعر والنقل الآمن، وهذا هو النظام المتبع فى مصر، وبالنسبة للشرطة فهناك لجان يتم تشكيلها من هيئة الإمداد والتموين بوزارة الداخلية لتحديد الاحتياجات من السلاح والحصول على عروض من الداخل والخارج ثم تعرض على وزير الداخلية، وفى حالة الموافقة تقوم اللجان المختصة بإبرام العقود ثم يتم التصديق عليها من وزير الداخلية.

■ **كيف يتم اختيار الدول والشركات التى تبرم معها صفقات السلاح؟**

❑ حسب نوع السلاح والدول المنتجة لهذا النوع يتم طلب عروض من الجميع ويتم اختيار أفضلها بمعرفة اللجان المشكلة.

■ **كيف يتم نقل الأسلحة المتعاقد عليها؟**

❑ من خلال شركات خاصة تتبع الدول المصنعة.

■ **هل هناك شركات وطنية يعهد إليها بنقل تلك الأسلحة؟**

❑ توجد بعض الشركات المصرية التى يعهد إليها بذلك من كل دول العالم عدا الولايات المتحدة، لأنها تشترط أن يتم النقل من خلال شركات أمريكية.

■ **ما هى طريقة وكيفية اختيار تلك الشركات؟**

❑ من خلال مناقصة تجريها الجهة المشترية.

■ **كيف يتم تقدير الثمن وطريقة سداده؟**

❑ بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، الإدارة الأمريكية هى التى تتولى التقدير ويتم سداد الثمن خصمًا من المعونة الأمريكية وفقًا لاتفاقية التعاون مع أمريكا، أما بالنسبة لباقى دول العالم فيتم تحديد الثمن من خلال العروض ويتم السداد عادة بتسهيلات فى الدفع على أقساط أو بطريق المقابل العينى سواء سلع أو خدمات.

■ **هل تعرض عقود اتفاقيات السلاح على أى جهة خلاف الجهة المشترية لاعتمادها؟**

❑ لا.

■ **هل تخضع تلك العقود والاتفاقيات لفحص ومراجعة أى جهة رقابية؟**

❑ لا مفيش غير الجهات المشترية بسبب الحفاظ على سرية صفقات السلاح لما لها من خطورة على الأمن القومى.

■ **هل لرئيس الجمهورية دور فى صفقات السلاح؟**

❑ الدور الوحيد هو تمثيل الدولة فى اتفاقيات التسليح مع الدول، والحصول على موافقته السياسية على بيع الأسلحة للدول الصديقة.

■ **بحكم صفتك رئيساً لجهاز المخابرات العامة هل توافرت معلومات بوجود شركات عهد إليها بنقل الأسلحة لها صلة برئيس الجمهورية السابق أو أحد من أسرته أو أصهاره أو معارفه المقربين أو أحد من المسؤولين بالقوات المسلحة أو الحكومة؟**

❑ خلال رئاستى جهاز المخابرات لمدة عشرين عامًا لم تتوافر أى معلومات فى هذا الشأن.

■ **هل رصد جهاز المخابرات خلال فترة توليك رئاسته وجود مخالفات أو انتهاكات للقانون بشأن صفقات السلاح؟**

❑ لا ولم يحدث أى اختراق للقوانين أو تجاوز فيما يتعلق بصفقات السلاح.

■ **ما المعلومات المتوافرة لدى جهاز المخابرات بشأن تعاقدات بيع الغاز المصرى إلى إسرائيل؟**

❑ يوجد التزام فى اتفاقية السلام مع إسرائيل المبرمة عام 1979 بأن تقوم مصر بتصدير 2 مليون طن بترول إلى إسرائيل بالسعر العالمى عوضاً لهم عن انسحابهم من سيناء، وتم تفعيل هذا الالتزام عام 1984 بعد انسحابهم عام 1982، وظل الأمر هكذا حتى عام 1998، حيث أصبحنا نستهلك معظم إنتاجنا وعجزنا عن الوفاء بهذا الالتزام.

فبدأت الدولة تفكر فى تصدير الغاز إلى إسرائيل بدلاً من البترول، الذى توقف تصديره إليها، وفى سبيل تنمية العلاقات معها تجنباً للحرب والإبقاء على حالة السلام، وظل التفكير فى هذا الأمر لمدة خمس سنوات تقريباً حتى عام 2003، استقر رأى رئيس الجمهورية على تنفيذ تصدير الغاز إلى إسرائيل بعد أن تشاور مع وزير البترول ورئيس الوزراء فى ذلك الوقت الدكتور عاطف عبيد، لمعرفة مدى الإمكانيات المتوافرة للتصدير، وكيفية تنفيذ التصدير هل بطريقة مباشرة من الهيئة العامة للبترول أم عن طريق شركات خاصة تقوم بالتصدير على غرار الشركات التى تقوم بتصدير الغاز إلى فرنسا و إسبانيا و إيطاليا من وزارة البترول.

استقر الرأى على اختيار القطاع الخاص لتصدير الغاز إلى إسرائيل، كى لا يفهم أنه خطوة فى طريق التطبيع بين الدولتين، وأن يكون التطبيع من خلال القطاع الخاص، وقد تزامن فى الوقت نفسه طلب الأردن الغاز المصرى فوافقت مصر على التصدير للأردن من خلال

القطاع الخاص، وتم تكوين وإنشاء شركة خاصة لتصدير الغاز للأردن عام 2003، وسميت شركة غاز الشرق، وهى شركة قام بتأسيسها حسين سالم والهيئة العامة للبترول بتكليف من رئيس الجمهورية.

بعد تأسيسها لم تقم بالتصدير للأردن، وطلب الرئيس من حسين سالم التنازل عن هذه الشركة للقطاع الحكومى، ويقوم بتأسيس شركة أخرى مع مساهمين آخرين والهيئة العامة للبترول للتصدير لإسرائيل، وسميت الشركة «شركة شرق البحر الأبيض المتوسط للغاز»، ولم يكن حسين سالم سعيداً بهذا التكليف لأنه يسىء إلى شخصه لدى الرأى العام باعتباره مطبعاً مع إسرائيل رغم أن اختيار الرئيس له لهذا التكليف لسبق تعامله مع بعض (العناصر) من المستثمرين الإسرائيليين فى إنشاء مصفاة شركة ميدور، التى صارت بعد ذلك مملوكة بالكامل للهيئة العامة للبترول، وبدأ تصدير الغاز لإسرائيل من خلال الشركة المساهم فيها حسين سالم منذ عام 2008 حتى تخارج منها تقريباً فى عام 2009، وهذا كل ما لدى من معلومات فى هذا الشأن.

■ ما تفاصيل إبرام العقد بين شركة شرق البحر الأبيض المتوسط للغاز والجانب الإسرائيلى؟

❑ فى عام 2003 تقريبًا تم إبرام مذكرة تفاهم بين الحكومتين المصرية والإسرائيلية لإمداد إسرائيل بالغاز من خلال القطاع الخاص، ثم أبرم العقد بين شركة شرق البحر الأبيض المتوسط وشركة الكهرباء الإسرائيلية على أن يتم بيع 7 بلايين طن وحدة حرارية بريطانية للشركة الإسرائيلية سنويًا ولمدة 15 سنة على أن يكون ثمن الوحدة 2.25 دولار تقريبًا، على ما أذكر.

■ ما الثمن الذى اشترت به شركة شرق البحر الأبيض المتوسط من الهيئة العامة للبترول؟

❑ على ما أذكر 1.25 دولار أو 1.50 دولار.

■ هل هذا السعر هو السعر السائد فى سوق بيع الغاز آنذاك؟

❑ تقريبًا إن لم يكن أزيد.

■ من الذى وافق على هذا السعر؟

☐ لجنة التقدير فى الهيئة العامة للبترول هى التى قامت بتقدير هذا السعر فى ضوء العقود المماثلة، ثم رفعته لوزير البترول للموافقة عليه، فقام برفعه لمجلس الوزراء، نظرًا لحساسية التصدير لإسرائيل، فصدرت الموافقة من مجلس الوزراء.

■ ما صلة الرئيس السابق بحسين سالم؟

☐ على حد علمى أنها صداقة منذ أكثر من عشرين عامًا.

■ ما سبب تكليف الرئيس له بتكوين شركة لتصدير الغاز إلى إسرائيل؟

☐ لسبق تعامله مع الإسرائيليين فى مشروع شركة ميدور.

■ ولماذا لم يعهد الرئيس إلى شركة مصرية خالصة تساهم فيها أشخاص اعتبارية عامة بهذا الأمر؟

☐ الرئيس كان تفكيره أن تتم مثل هذه المشروعات بين القطاع الخاص.

■ هل تدخل جهاز المخابرات العامة فى المفاوضات بين الحكومتين المصرية والإسرائيلية لتصدير الغاز؟

☐ قبل توقيع مذكرة التفاهم قمت بدور فى تسهيل تنفيذ هذا القرار من حيث المبدأ من خلال الاتصالات مع الجانب الإسرائيلى، وكان فى ذلك الوقت يتولى رئاسة الوزراء إريل شارون، وكان الدور التفاوضى من ناحيتى فى الحصول على تسهيلات من الجانب الإسرائيلى كتحديد الأرض، وتوفير الحماية، والإعفاء من الرسوم والجمارك، وذلك دون الدخول فى تفاصيل العقد، وبعد إبرام العقد فى عام 2005 قمت بدور فى عام 2007 بناءً على تكليف من رئيس الجمهورية بالتفاوض مع الجانب الإسرائيلى لرفع السعر المتعاقد عليه إلى 3 دولارات، وإلا لن تقوم مصر بتصدير الغاز إلى إسرائيل، وبالفعل طلبت من إيهود أولمرت، رئيس الوزراء، فوافق عليه بصعوبة بالغة، وتم تعديل العقد برفع السعر إلى 3 دولارات.

■ **هل رصد الجهاز ثمة مخالفات شابت إجراءات بيع الغاز لإسرائيل؟**

❑ مفيش أي مخالفات رصدها الجهاز.

■ **ما معلوماتك بشأن حساب مكتبة الإسكندرية بالبنك الأهلي فرع مصر الجديدة؟**

❑ ليس لدي ولا لدى الجهاز معلومات بهذا الشأن.

■ **ما معلوماتك عن حجم ثروة الرئيس السابق وحرمه ونجليه؟**

❑ الجهاز ليس لديه معلومات عن هذا الأمر، وليس من اختصاصه هذه الموضوعات.

■ **هل لديك معلومات بحكم منصبك عن أنشطة نجلي الرئيس السابق وأعمالهما والوظائف التي كان يشغلانها؟**

❑ ليس لدي ولا لدى الجهاز أي معلومات في هذا الشأن.

■ **هل هناك معلومات عن أنشطة وأعمال صهري الرئيس وحجم ثروتيهما ومصادرها؟**

❑ لا والجهاز غير مختص بهذا الأمر.

■ **ألم يرصد جهاز المخابرات العامة وجود علاقة بين أعمال وأنشطة أسرة الرئيس وأصهاره بالحكومة وتصرفاتها وقراراتها؟**

❑ لا لأن الجهاز لا يتابع مثل هذه الموضوعات.

■ **هل لديك أقوال أخرى؟**

❑ لا.

* * *

هل قال عمر سليمان الحقيقة فى أقواله أمام النيابة، أم قال ما الذى يمكن أن يخدم مبارك وعائلته؟

للوهلة الأولى تشعر أن سليمان متعاطف مع مبارك، فالرجل لم يصدر أوامر بقتل المتظاهرين، والرجل لم يخالف القانون فى شراء السلاح أو بيع الغاز لإسرائيل، كما أن ثروته وأنشطة أولاده لا يعرف سليمان عنهما شئيا، قد يكون أخفى، قد يكون ناور من أجل أن يحمى صديق قديم، قد يكون تحفظ لأن كثيرا مما لديه من حق جهاز المخابرات فقط، ولا يجوز له الحديث فيه.

لكن ما قاله سليمان فى المحكمة التى طلبت شهادته، وألقاها هناك بالفعل فى 13 سبتمبر 2011 كانت قاصمة لظهر الرئيس الصديق... فى وقتها حظرت المحكمة نشر هذه الشهادة، لكنها تسربت رغما عن الجميع، وفيهاأكد سليمان أن الرئيس السابق لم يصدر تعليمات صريحة بقتل المتظاهرين أو التعامل معهم بعنف، وأن إصداره تعليمات بتشكيل لجنة لتقصى الحقائق يعنى معرفته بوجود إصابات ووفيات، موضحًا أن جهاز المخابرات مهمته جمع المعلومات عن الخارج، وأن الأمور الداخلية لها هيئة مخابراتية لتبادل المعلومات مع الجهات الداخلية.

أشار اللواء عمر سليمان فى نص شهادته، إلى أنه وفق خبراته العسكرية فإن تسليح الجنود بالخرطوش يعنى أن هناك توقيتًا لاستخدامه، وإلا ما جدوى تسليحهم من البداية.

توجه القاضى المستشار أحمد رفعت رئيس المحكمة إلى سليمان بالسؤال، قائلا: هل تستطيع أن تقول أمام المحكمة، إن الرئيس السابق كان على يقين بما يحدث فى التظاهرات فى عموم مصر من تظاهرات وإصابات؟

فأجابه عمر سليمان: موافقة الرئيس على تشكيل لجنة تقصى حقائق يدل على علمه بوجود إصابات ووفيات.

فعاد القاضى ليسأل: وبحكم خبرتك العسكرية هل يمكن لرجال الشرطة إطلاق الأسلحة النارية «الخرطوش» فى غير حالات الدفاع الشرعى، دون تعليمات، أو أوامر من القيادات، ومن وزير الداخلية؟

فأجاب سليمان: طالما أن الجنود مسلحون بأسلحة خرطوش، يبقى التعليمات أنه فى توقيت لاستخدامه، أما إذا كان مفيش نية لاستخدامه مش هيتسلح الجنود بالخرطوش، ولا يمكن استخدام هذه البنادق إلا من غير تعليمات من القيادات، ويضرب فى الرجل أو الهواء، أما السلاح النارى فلا يستخدم إلا فى حالة الدفاع الشرعى عن النفس.

أوضح سليمان فى شهادته أيضا أن جهاز المخابرات مهمته جمع معلومات عن الخارج، مما يمكن الجهة السيادية من اتخاذ القرارات، و«بالنسبة للشأن الداخلى فإن هناك هيئة مخابراتية لتبادل المعلومات مع الجهات الداخلية، مهمتها حماية الأجانب ومقاومة الجاسوسية».

وأضاف: طبقًا للمعلومات الاقتصادية كان لدينا معلومات بأن الاقتصاد المصرى لديه خطط مستقبلية للتحسن، لكن ذلك التحسن لا يصل إلى محدودى الدخل، وبالتالى نتجت بطالة وشكوى مستمرة من ارتفاع الأسعار، وبدأت المطالب تتزايد برفع المرتبات، وظهرت عناصر مناهضة للنظام تعمل من أجل إثارة الجماهير، وفى عام 2005 كان هناك نشاط أجنبى مع منظمات غير حكومية فى الساحة، تعمل على إثارة المجتمع المصرى، وظهر برنامج أمريكى يسمى الديمقراطية والحكم الرشيد.

وتابع سليمان: تم تخصيص أموال، وكان هناك اتفاق لهذا البرنامج مع الحكومة المصرية، لكن الطرف الأمريكى خالف الاتفاق. وبدأ فى منح بعض هذه المنظمات من وراء ظهر الحكومة، وعلى ضوء هذا تقدم الجانب المصرى بشكاوى عدة لنظيره الأمريكى، لكنه لم يعرها أى اهتمام، وبدأ الأمريكان فى تدريب وحشد بعض العناصر للعصيان المدنى والإضرابات وخلافه، واستمر هذا النمط حتى عام 2010، وحال انتخابات مجلسى الشعب والشورى فى عهد مبارك انسحبت القوى السياسية، وأصبح مجلس الشعب لا يشكل جميع التيارات، وأدى ذلك إلى الغضب الشعبى.

وقال سليمان، إنه كان يتم عمل تقارير بشكل شهرى ورفعها لرئاسة الجمهورية عن الحالة الأمنية والأوضاع فى مصر أو طرحها فى الاجتماعات، وكان مبارك يكلف الحكومة بعمل التوصيات الواردة فى التقارير.

وعن أحداث 25 يناير 2011، أكد سليمان أنه اعتبارًا من شهر أكتوبر 2010 رصد جهاز

المخابرات العديد من الاتصالات، التى تدور بين الحركات المعارضة وعناصر خارجية، دارت حول تدريب المصريين على دورات تدريبية لكيفية حشد المتظاهرين، والاحتجاج ومواجهة الشرطة، من بينها دورة بولندا، وفى غضون يناير 2011 رصد الجهاز دورة أخرى بالقاهرة لمدة 3 أيام لنفس الهدف، وتوقعنا أن تحدث مظاهرة يوم 25 يناير.

وأضاف سليمان أنه فى شرم الشيخ، خلال المؤتمر الاقتصادى الذى انتهى فى 9 يناير 2011، طلب من مبارك ضرورة عقد اجتماع لبحث الموقف، وأنه تبادل معلوماته، التى حصل عليها مع هيئة الأمن القومى ومباحث جهاز أمن الدولة ، مشيرا إلى أن هذا يعد عملا روتينيا يوميًا - على حد وصفه.

وجهت المحكمة للواء عمر سليمان سؤالا كان نصه: هل حددت معلومات المخابرات أسباب التظاهرات وفئات المتظاهرين يوم 25 يناير الماضى؟

فأجاب سليمان: «فى متابعة الجهاز للفيس بوك تعرفنا على أن المتظاهرين من فئات مختلفة، ومعظمهم من حركة كفاية و6 أبريل، وكلنا خالد سعيد، وبعض التيارات السياسية الأخرى، ولكن هذه التظاهرات تعودنا عليها فى المرات السابقة.

حدد سليمان فى شهادته أمام المحكمة الأشخاص الذين حضروا اجتماع القرية الذكية يوم 20 يناير 2011، وهم الدكتور أحمد نظيف، رئيس مجلس الوزراء، وعدد من رؤساء الأجهزة الأمنية، وحبيب العادلى، وزير الداخلية ، وأنس الفقى وزير الإعلام ، وحضره أيضًا وزير الاتصالات ورئيس المخابرات العامة، وقال للمحكمة إنه طرح وجهة نظره بأن يوم 25 سوف تكون تظاهرات، ولابد من الاستعداد جيدًا، وكان لحسن الحظ أن جميع المعلومات تؤكد عدم مشاركة جماعة الإخوان المسلمين فى التظاهرات، وبالتالى توقعوا أن تمر كسابقاتها، وأفصح العادلى فى الاجتماع عن بعض المعلومات عن التظاهرات، وقدرة الشرطة على التصدى لها بالطرق المعتادة، وتحدث وزير الإعلام عن المحطات الأجنبية وتدخلاتها وكيفية الرد عليها، وتمت دراسة الأمر فى حالة تطوره، وإنه فى حالة اشتراك الإخوان المسلمين، أكد العادلى أنه سوف يجهض هذا بالقبض على عدد من قيادات الجماعة.

شهد سليمان بأن الشرطة كانت تؤمن التظاهرات حتى تمام الساعة الثامنة من مساء يوم

25 يناير، ثم صدرت تعليمات بفض التظاهرات، باستخدام العصى والمصدات وخراطيم المياه، ومن خلال متابعته للأحداث من يوم 25 حتى 28 يناير الماضى، قال إنه فى يومى 26 و27 لم تكن هناك أحداث جسيمة.

وأضاف: إنه أثناء متابعة النشاط الفلسطيني "تبين وجود اتصالات بين حركة حماس وبدو سيناء، وخروج بعض المجموعات من خلال الأنفاق الموجودة بين غزة والحدود المصرية، وإنه تم الاتفاق على مد البدو بالأسلحة والذخائر، فى مقابل معاونتهم على إخراج عناصر من حركة حماس من السجون، وكان ذلك تحديدا يوم 27، وبالفعل قام البدو بتهيئة المناخ لعملية التهريب بضرب نقطة شرطة الشيخ زويد، وضرب عشوائى فى جميع المناطق المحيطة بالأنفاق عن طريق الأسلحة النارية، حتى لا تقترب الشرطة أو حرس الحدود، وتمت عمليات التهريب للأسلحة والذخائر والمفرقعات والألغام، وقامت كتائب عز الدين القسام فى الاتجاه الآخر من الحدود المصرية بنشاط عسكرى حتى لا تتدخل قوات حرس الحدود".

شهد سليمان بأن العادلى أبلغ مبارك بتفاقم الوضع يوم جمعة الغضب، وطلب مساعدته بالقوات المسلحة، وأنه لم يتوقع أحد هذا الحجم من البشر الذى شارك فى التظاهرات، ولا يمكن لجهاز الشرطة منفردًا أن يقوم بحماية التظاهرات والممتلكات العامة.

وردا على سؤال للمحكمة حول ما إذا كان الرئيس السابق أصدر أمرًا بالتعامل مع المتظاهرين؟

قال سليمان: لم يصدر أمرًا، ولا علم لى باتصال حدث من الرئيس بوزير الداخلية، وطبقا لمعلومات المخابرات فإن قوات فض الشغب لا تتسلح بالأسلحة النارية، وأن الإصابات التى حدثت للمتظاهرين قد تكون من قوات أخرى غير قوات فض الشغب.

وعن الخطة التى وضعها للتعامل مع الأحداث، عقب يوم 28 يناير 2011، قال إنه سادت حالة من الانفلات الأمنى، وأكد أنه تعرض لمحاولة اغتيال، ونتيجة لصعوبة الموقف طلب من مبارك تشكيل لجنة تقصى حقائق، ولم تصل إلى نتيجة حاسمة لمعرفة قتلة الثوار، وأن سلاح الخرطوش يكون عادة مع جهاز الشرطة، لكن الإصابات بالسلاح النارى أمر غريب.

وأضاف: «أعتقد أنه حدث للدفاع عن النفس»، ونفى قدرته على تحديد مسئولية حبيب العادلي، عما حدث، وقال إنه كقارئ للأحداث يرى أن ما حدث فى مصر أكبر من إمكانيات وقدرات الشرطة، ومن الممكن أن تكون الإصابات والوفيات نتجت عن الفوضى.

ما الذى قاله عمر سليمان فى شهادته أمام المحكمة حتى نقول أنه من أضاع مبارك؟

قبل الإجابة ضرورى أن نقرأ بعضا مما ورد فى حيثيات الحكم بسجن مبارك 25 عاما بتهمة قتل المتظاهرين.

جاء فى الحيثيات أن مبارك اشترك بطريق الإتفاق مع وزير الداخلية وقتئذ "حبيب العادلي" فى قتل المتظاهرين السلميين عمدا مع سبق الإصرار والمقترنة بها جنايات أخرى، بأن عقدا العزم و النية على قتل عدد من المتظاهرين فى المظاهرات السلمية التى اندلعت فى المحافظات احتجاجا على تردى الأوضاع السياسية والأقتصادية والإجتماعية والأمنية فى البلاد والمطالبة بإصلاحها عن طريق تنحيه و إسقاط نظامه المتسبب فى تردى هذه الأوضاع.

وسمح باستخدام الأسلحة النارية والمركبات التى تعين الشرطة على تنفيذ الجريمة ،وتابع عمليات إطلاق ضباط وأفراد الشرطة للأعيرة النارية على هؤلاء المتظاهرين فى مواضع قاتلة من أجسامهم ودهس بعضهم بالمركبات ووافق على الاستمرار فى الأعتداء عليهم دون أن يتدخل بما يملكه من سلطات وصلاحيات لمنعهم أو وقفهم عن ذلك، قاصدا إزهاق أرواح عدد من المتظاهرين لحمل الباقين على التفرق و إثنائهم عن مطلبهم وحماية منصبه، واستمراره فى الحكم، فأطلق أحد ضباط الشرطة أعيرة نارية من سلاحه على المجنى عليه «معاذ السيد كامل» المشارك فى إحدى هذه المظاهرات فأحدث به الإصابة الموصوفة فى التقرير الطبى المرفق والتى أودت بحياته.

وقد وقعت الجريمة بناء على هذا الإتفاق على النحو المبين بالتحقيقات وقد اقترنت هذه الجناية وتلتها العديد من الجنايات الأخرى.. كما أنه وافق على الإستمرار فى الإعتداء عليهم دون أن يتدخل بما يملكه من سلطات وصلاحيات لمنعهم أو وقفهم عن ذلك، قاصدا من ذلك إزهاق أرواح عدد من المتظاهرين لحمل الباقين على التفرق و إثنائهم عن مطالبهم وحماية منصبه واستمراره فى الحكم فقامت بعض قوات الشرطة باطلاق الأعيرة النارية من أسلحتهم

على المجنى عليهم ودهسهم فأحدثوا بهم الإصابات الموصوفة فى التقارير الطبية الأخرى والتى أودت بحياتهم حال كون بعضهم أطفال، وقد وقعت الجرائم المذكورة بناء على هذا الإتفاق على النحو المبين بالتحقيقات.

كما جاء فى الحيثيات: لقد تناولت كافة وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والسمعية والإلكترونية تلك الأحداث بالصوت والصورة وتناولتها كافة وسائل الإعلام العالمية والمحلية وعلم بها الكافة صغيرا وكبيرا ومن كان فى موضع المسؤلية أو متفرجا من عامة الناس.. واعيا مدركا لما يدور حوله من أحداث و حتى فاقدا لإدراك أو ضريرا أو أبكما.. فالعلم بواقعات التظاهر وسقوط القتلى منهم والمصابين كانت من الوقائع المتعلقة بالعلم العام لايقدر أحد مهما كان موقعه أو يستطيع بكافة الممكنات العقلية أن ينكر أو يكفى علمه بما حدث من وقائع فما الحال بكبار المسؤلين عن إدارة وحماية الدولة.

من ذلك المنطق السوى المعتبر فى حق ضمير المجتمع تؤكد المحكمة من واقع ماجرى من تحقيقات ومن جلسات وشهادة من إستمعت إليهم المحكمة بما لايدع مجالا للشك أو الريبة أن كلا من المتهمين الأول «مبارك» والثانى «العادلي» وقد علم كل منهما بالأحداث فأحجم أولهما عمدا بصفته رئيسا لجمهورية مصر عن إتيان أفعال إيجابية فى توقيتات مناسبة تقضيها الحماية القانونية المتمثلة فى إمتناعه عمدا عن إصدار القرارات والأوامر والتعليمات والتوجيهات التى تحتمها عليه وظيفته والمنوط به الحفاظ على مصالح الوطن ورعاية المواطنين وحماية أرواحهم رغم علمه يقينا بما وقع من أحداث وأفعال وتدخلات من جهات وعناصر إجرامية وكان ذلك الإحجام والإمتناع عما يفرضه عليه الواجب القانونى للحماية القانونية للوطن والمواطنين ابتغاء استمرار سلطاته والسيطرة لنفسه على مقاليد الحكم.

لم تقدم النيابة للمحكمة دليلا واحدا على أن مبارك أصدر قرارا بقتل المتظاهرين، لكنها من شهادة عمر سليمان توصلت إلى توصيف إتهام مبارك بأنه امتنع بما له من سلطة عن حماية المتظاهرين السلميين، وهى تهمة أبدع فيها القاضى وخلص ضميره دون أن يظلم أحد، وأعتقد أنه لولا تأكيد عمر سليمان على أن الرجل كان يعلم بما جرى ويجرى، والدليل تشكيله الفورى للجنة تقصى حقائق أيام الثورة الأولى، ما كان توصل القاضى إلى حكمه بالسجن المؤبد.

أنقذ عمر سليمان مبارك مرة...وقضى عليه مرة...لكنها المرة الأخيرة التى لن يقوم الرجل منها، تعشم مبارك أن يقف سليمان إلى جواره، قال لأولاده فى المحكمة أنه يثق فى سليمان، وأنه لا يمكن أن يقول ما يورطه، وهو ما جرى بالفعل، لقد نفى عنه تهمة القتل العمد، لكنه لم يستطع أن ينفى عنه تهمة الإمتناع عن استخدام صلاحياته لحماية أبناء شعبه من القتل..

* * *

لقد لخص عمر سليمان رأيه فى نظام مبارك فى كلمات محددة، قالها بعد أن انفض مولد النظام كله، كان يستعد لترشيح نفسه للرئاسة، كان يمكن أن يهاجم مبارك ونظامه ويغسل يديه منه تماما، لكنه حاول أن يكون موضوعيا قدر الإمكان.

قال سليمان عن عصر مبارك: «هناك سلبيات وإيجابيات فى فترة الرئيس السابق، فمبارك خدم مصر كثيرا طوال عشرين سنة من حكمه، وفى السنوات العشر الأخيرة كانت هناك بداية تفكير فى تطوير الحزب الوطنى وإنشاء لجنة السياسات وتمهيد الأرض للتوريث، ومبارك لم يكن متحسبا لنتائجها على نحو كاف، فقد تم تعديل الدستور رغم رفض مبارك شخصيا لهذا التعديل، لكن الحزب أقنعه بهذا التعديل، وقالوا له أن هذا جزء من التحول الديمقراطى، لأنه لا يوجد سوى بلدين فقط يتم فيهما انتخاب الرئيس من البرلمان هما كوريا الشمالية وسوريا».

يضيف سليمان: «الحزب أقنعه بضرورة تغيير الدستور للإنتخاب الحر، وأنا شخصيا قلت له إن أردت التغيير والتحول للديمقراطية فيجب أن يكون هذا فى عدم وجودك، أى أن يتم الأمر من بعده أو أن يمتنع هو عن ترشيح نفسه، وألا يكون جمال، لكن تعديل الدستور ثم خوض الإنتخابات وأنت فى السلطة، فالأمر كله سيظهر على نحو صورى، لكن الحزب استطاع أن يؤثر على موقفه بالتغيير».

وينتهى سليمان إلى أنه: «فى 2007 ظهر تفصيل التوريث، وقلت له حينها بأنه منح المعارضين مادة للهجوم على النظام، والناس ستفهم أن مصر لن تصبح ديمقراطية أبدا، ووقتها كان يشعر بالضيق، وأنه تورط فى ذلك، ثم فكر عندها فى تعيينى نائبا لرئيس الجمهورية لهدم فكرة التوريث بعدما اكتشف هذه الورطة، لكن حدث ضغط كبير عليه لعدم تعيينى، لأن الحزب

لم يكن يريد نائبا لرئيس الجمهورية فى ذلك الوقت، وعارضوا قرار الرئيس بشدة، والرئيس كان يلتزم الصمت لتفادى أن يدخل صراعا عائليا سواء مع ابنه أو مع السيدة زوجته».

* * *

لا زلنا فى حاجة إلى شهادة أخرى على علاقة مبارك بعمر سليمان، برغم أن الرجل تحدث إلا أنه لم يقل كل شئ، وهنا تأتى أهمية شهادة السفير أحمد أبو الغيط آخر وزير خارجية فى عصر مبارك، والرجل الذى لم يخرج من منصبه إلا بعد خروج مبارك نفسه من حكمه.

بعد الثورة بما يقرب من العامين أصدر أحمد أبو الغيط مذكراته السياسية والشخصية فى كتاب منحه اسم «شهادتى... السياسة الخارجية المصرية 22004 – 2011» وفيه تحدث بصراحة عن علاقة مبارك – سليمان، وهى الصراحة التى جاءت بعد أن رفعت كل الحجب عن الوزير الذى يهوى الكتابة والتأليف.

رصد أبو الغيط بداية تأثير عمر سليمان فى مساحة اتخاذ القرار المصرى فى العام 1992 (بعد عام واحد من توليه مسئولية جهاز المخابرات)، لكن هذا التأثير تزايد بعد فشل محاولة اغتيال مبارك فى أديس أبابا فى العام 1995.

يقول أبو الغيط: «كنت قد رصدت شخصيا تعاظم هذا الدور فى إبريل 2001 عند مصاحبة عمر سليمان للرئيس فى زيارة إلى واشنطن، وقيامه بالحضور مبكرا عن موعد وصول الرئيس، وقيامه بإجراء اتصالات مع كل الأجهزة الأمريكية بما فيها وزير الخارجية كولن باول، رغم وجود عمرو موسى وزير الخارجية وقتها ضمن الوفد».

يشير أبو الغيط إلى أنه كان للواء عمر سليمان وبشخصه نفوذ كبير لدى كل أجهزة الدولة التى لها اتصال من قريب أو بعيد بعمليات السياسة الخارجية، وهى أجهزة حكومية كثيرة، كما كان لدى المخابرات العامة وضباطها وأجهزتها الثقة والإقتناع بأنها يجب أن تسأل أو أن تدلى برأيها فى الكثير من القضايا التى ليس بالضرورة لها بها معرفة وثيقة.

بهذا المنهج الذى كانت تعمل به المخابرات استعان أبو الغيط بعمر سليمان كثيرا، يقول هو: «كثيرا ما لجأت للواء عمر سليمان مشيرا إلى صعوبات لنا هنا وهناك، وكانت ردود فعله دائما إيجابية وحاسمة فى معالجة نقاط الخلاف والعقبات التى كانت تهدد سلاسة العمليات».

أما عن المساحة بين مبارك وعمر سليمان فيقول أبو الغيط: «لقد عمل سليمان إلى جوار مبارك منذ تقلده منصب مدير المخابرات الحربية فى العام 1988، ثم أصبح على اتصال وثيق به بدءا من مايو عام 1991، عندما كلفه برئاسة المخابرات العامة، ثم تصاعد نفوذه بهدوء وحكمة وحرص فى الوقت الذى زاد نفوذ المخابرات التقليدى فى اتجاهات السودان وليبيا وإسرائيل وفلسطين والقرن الإفريقى».

يقول أبو الغيط: بعد تحملى مسئوليات وزير الخارجية عام 2004، تبينت أن تأثير الجهاز لا يرجع لأوضاع مؤسسية فقط، ولكنه يعود أساسا لشخصية عمر سليمان ودقة عمله وثقة الرئيس مبارك فى تقديراته الشخصية وحيويته وعمله الدءوب كل ساعات الليل والنهار.

لقد لفت نظر أحمد أبو الغيط الذى استدعى تعاونه مع جهاز المخابرات سفرا متكررا مع عمر سليمان، أن الرجل يرضى بأن يكون الرجل الثانى، رغم أنه يكبر أبو الغيط بثمانى سنوات.

يقول هو عن ذلك: «كان سليمان يرضى بوضعه تاليا، وهو الأمر الذى لاحظته حتى أثناء سفرياتنا مع الرئيس مبارك، وكثيرا ما تناولت الموضوع بالحديث مع سليمان، وعبرت له عن استغرابى أن الرئيس مبارك لم يقم بتصعيده أو إعطائه لقب أو درجة نائب رئيس وزراء، لكى يأتى فى أقدمية متقدمة عن الكثير من وزراء الحكومة الذين كانوا يسبقونه فى سلم أولويات البروتوكول وتشكيل الوفود المصرية المصاحبة للرئيس، وللحق كان الرجل يصمت ويعمل بدوافع وطنية غير شخصية رغم قودة نفوذه وتأثيره ولجوء الكثيرين إليه للنصيحة أو الشكوى».

من شهادة أحمد أبو الغيط يبدو لنا عمر سليمان رجلا قانعا بدوره، يمكن أن ترى فيه رجلا حافظا للجميل، فهو لا يستطيع أن يطلب شئيا من مبارك بعد أن منحه كل شئ، ثم أنه يقدر للرجل تصعيده واستعانته به وثقته فيه وهذا كان يكفيه.

والسؤال بعد كل ذلك: هل كان عمر سليمان يحب مبارك، أعتقد ذلك تماما، فهو يلتمس له الأعذار ويبرر له الأخطاء ويشفق عليه... ليس لأن مبارك يستحق فيما أعتقد، ولكن لأن سليمان لم يستطع أن يتخلص من وفاءه لرجل ظل إلى جواره ما يقرب من عشرين عاما فى خانة الصديق المقرب.

الفصل العاشر

10



الوجه الآخر: ما الذى تبقى من عمر سليمان؟

بعد شهور قليلة من سجن مبارك نشرت جريدة روزا اليوسف على حلقات ما ادعت أنه مذكرات الرئيس مبارك، وفى هذا المذكرات أثبتت رأى الرئيس السابق فى عمر سليمان.

قال مبارك عن سليمان: «أنه كان معارضا على طول الخط لسياساته، فهو كان يعارض أكثر مما يوافق، وما كان يوافق عليه بضغط منى كان يفشله فى النهاية دون أن يشعرنى بأنه السبب، وظل حبيب العادلى يقدم لى تقارير ضده طوال عمله مديرا لجهاز المخابرات، ومن بين ما قاله لى حبيب أن عمر سليمان يمكنه السيطرة على الحكم لو أراد فى أقل من خمس ساعات، إلا أننى كنت أعرف أن عمر لا يفكر فى ذلك على الإطلاق».

مذكرات مبارك جرى التشكيك فيها عبر تصريحات رسمية من مقربين منه، وعبر معلومات كثيرة وردت فيها لم تكن منطقية، ومنها ما قاله مبارك عن عمر سليمان من أنه كان معارضا له طول الوقت، فسليمان لم يكن معارضا للرئيس السابق، يمكن أن نقول أنه كان ناصحا ... كان مستشارا يرى أحيانا بعض ما لا يراه الرئيس، لكن كونه كان معارضا هذه فأمر فيه كثير من المبالغة.

كما حدث فى مذكرات مبارك، حدث فيما يتعلق بمذكرات عمر سليمان، وهى المذكرات التى أحاطها جدل هائل دون أن يتوصل أحد إلى حقيقتها، لتصبح المذكرات مثل صاحبها، آراء مختلفة ومتناقضة ... والضحية فى النهاية هى الحقيقة تلك التى لا يمكن لأحد أن يعرفها أبدا.

عبر وكالة أنباء الشرق الأوسط، وكالة الأنباء الرسمية للدولة المصرية والتى كان يستعين بها سليمان فى بث بياناته إلى الشعب المصرى، لجأت بناته إلى نفى أن تكون هناك أى مذكرات لوالدهن.

كان الخبر الذى بثته الوكالة فى 28 يوليو 2012 الساعة السادسة وسبعة وعشرين دقيقة مساء يقول: نفت أسرة الراحل عمر سليمان مدير المخابرات ونائب الرئيس السابق حسنى مبارك ما تردد حول صدور مذكرات للواء الراحل، وذكرت أسرة اللواء الذى توفى فى 18 يوليو الجارى، أنه فى الفترة التى يصعب فيها التفريق بين الحقائق والأكاذيب، حاول البعض استغلال مكانة الراحل عمر سليمان ونشر مذكرات له لا أساس لها من الصحة، مدعين أنها مسربة من مصدر موثوق به.

وأضافت الأسرة فى بيانها أنه نظرًا لحساسية الموقف وتأثيره على مسارات عديدة، كونها مذكرات لرجل غير عادى، قد يستخدمها البعض فى تضليل المواطنين البسطاء، فإن أسرة اللواء عمر سليمان تنفى كل ما نشر، وتؤكد أن نائب الرئيس السابق ليس له مذكرات لدى أى جهة، وأن أى كلمة تكتب فى هذا الشأن هى بمثابة جريمة يعاقب عليها القانون، وأنها ستلجأ للقضاء فى مواجهة كل من يحاول تشويه أو استغلال مكانة الفقيد، كما أكدت أنه لا توجد صفحة رسمية للفقيد ينقل عنها تصريحات رسمية.

لماذا لجأت أسرة عمر سليمان إلى هذا البيان؟

السبب الأول أن أخبارا عديدة بدأت تتسرب عن وجود مذكرات لعمر سليمان، ومنها خبر فى موقع محيط، كان عنوانه غريبا بعض الشئ، فأن يكشف سليمان محاولات إغتياله وعلاقاته برجال مبارك، فهذا أمر عادى وطبيعى وهين، ولكن أن يعرض الإخوان شراءها فكان هذا هو الغريب.

يقول خبر محيط: علمت شبكة الإعلام العربى «محيط» من مصادر مطلعة عن سعى جماعة الإخوان المسلمين إلى شراء مذكرات عمر سليمان نائب رئيس الجمهورية السابق، ورئيس جهاز المخابرات العامة السابق، الذى توفى فى الولايات المتحدة الأمريكية، وأشارت المصادر إلى أن مكتب إرشاد جماعة الإخوان المسلمين عقد اجتماعا داخل المركز العام للجماعة

بالمقطم لمناقشة الأمر، وتم الإتفاق على الدفع بعدد من دور النشر التابعة للجماعة بالداخل والخارج لتقديم عروض لأسرة اللواء الراحل لشراء حق نشر تلك المذكرات، حتى لا يتركوا الساحة لدور النشر الأخرى لشراء تلك المذكرات التى يعتقد الإخوان أنها تحتوى العديد من المعلومات السمينة عنهم.

ويضيف الخبر: وأكدت المصادر على صحة تلك المعلومات بتصريحات المتحدث باسم جماعة الإخوان المسلمين الدكتور محمود غزلان الذى قال عن مذكرات اللواء عمر سليمان أن سليمان بحكم منصبه لديه الكثير من الأسرار، وأتوقع أن مذكراته ستكون دسمة وملئية بالأسرار ونحن فى انتظاره.

واستند محيط إلى مصادر من داخل حملة عمر سليمان التى تم حلها بعد رفض قبول أوراق ترشحه لرئاسة الجمهورية، حيث قالت المصادر أن مذكرات سليمان تضم بين طياتها معلومات مهمة وخطيرة عن عدد من القضايا الساخنة والمثارة على الساحة فى مصر والعالم العربى، ويتحدث سليمان فيها عن محاولات إغتياله أكثر من مرة من جانب شلة جمال مبارك وفلول النظام السابق، كما يتحدث عن أسرار علاقته برجال النظام السابق.

وتكشف مذكرات عمر سليمان كما يرى محيط أسرار ما أطلق عليه هو بنفسه الصندوق الأسود ل 18 عاما فى خدمة مصر، وهى المدة التى قضاها رئيسا للمخابرات العامة، وبينها حقيقة علاقة وتفاهمات جماعة الإخوان المسلمين مع نظام مبارك ورموزه وأجهزته الأمنية، كما تكشف المذكرات عن موقف سليمان الرافض لتوريث جمال مبارك الحكم، ومواجهته لمبارك بأخطاء الحزب الوطنى وخطورة تزوير انتخابات برلمان 2010.

التلفيق يبدو من ظاهر الخبر، فالكلام عام ومرسل، ويعبر عن توقعات عما يمكن أن يضعه عمر سليمان فى مذكراته، لكن أعتقد أن ما أقلق أسرة عمر سليمان بالفعل، هو نشر بعض المقاطع المنسوبة إليه، والتى احتفت بها العديد من المواقع الإليكترونية.

لكن من الذى حصل على هذه المقاطع؟

المقاطع التى نشرت من مذكرات عمر سليمان كانت منسوبة إلى الصحفى صموئيل العشاى، وقد تعامل معها البعض بجدية لأن العشاى كان أحد العاملين وبجدية شديدة فى

حملة ترشيح عمر سليمان، وإذا أردنا الدقة، فقد كان واحدا ممن تولوا الضغط على الرجل لترشيح نفسه للرئاسة، من خلال مجموعات الفيس بوك وتنظيم الوقفات، وقد قابله سليمان وشكره على المجهود الذى قام به.

لكن المفاجأة أن عمر سليمان وعندما بدأ العمل فى حملته الإنتخابية بشكل إحترافى، كان أن استغنى تماما عن العشاى والمجموعة التى عملت معه، ربما لأنه لم يكن يعرفهم جيدا، وكان الرجل يريد أن يعتمد على من يعرفهم ويثق فيهم وبهم ثقة مطلقة.

العشاى الذى نشر مقاطع من مذكرات عمر سليمان قال أنه تمكن من اختراق الفولاذ الحديدى حول الصندوق الأسود والمذكرات التى كتبها عمر سليمان، وأنه استطاع رغم السرية التامة من الوصول إلى الصندوق الأسود، حيث عثر على مصدر وثيق الصلة بعمر سليمان استودعه مذكراته، وأن هذا المصدر الموثوق فيه سمح له ببعض الفقرات فقط.

من بين ما جاء فى تسريبات المصدر الموثوق فيه والمقرب من عمر سليمان والمجهول حتى الآن على الأقل أن سليمان قال: « أعترف أننى أخطأت عندما منعت الأقباط من الوصول إلى المناصب القيادية، وبخاصة موقعى نائب الرئيس ورئيس الوزراء، فأنا أطبق عرف وضع من قبلى يمنع وصولهم إلى المناصب الحساسة».

ولو صح أن عمر سليمان قال هذ الكلام، فالرجل يعترف أنه كان صاحب كلمة فى اختيار رئيس الوزراء، أو أنه من حجب تعيين نائبا للرئيس، رغم أن الواقع يشير إلى أن هذا القرار كان خاصا بمبارك وحده، ولم ينازعه فيه أحد، ورغم أن هذا الإعتراف يضرب مصداقية التسريبات من أساسها، لكننا سنظل معها قليلا.

يقول سليمان أيضا: «إن أصحاب المصالح حكماء فى عيون أنفسهم، مصممون على أنهم قادرين بأساليب حبيب العادلى على منع أى إحتمالات لنجاح الثورة، ورفض جميعهم الإهتمام بالتقرير حول الأوضاع التى تمر بها البلاد، والتى تراكمت عبر سنوات من الرشوة والفساد وتدنى الخدمات فى جميع مؤسسات الدولة، وأن المشهد العام يقود إلى ثورة حتمية ستسقط الجميع من على الكراسى، فالأوضاع الإقتصادية والسياسية وأساليب الإستحواذ وطرق معالجة ملفات كثيرة ستؤدى إلى ثورة شاملة».

هنا يتحدث المصدر الذى سرب المذكرات، يقول أن تقريرا موسعا أعده عمر سليمان وفريق من المعاونين له حول إمكانية حدوث ثورة ضخمة، وأرسل التقرير إلى مؤسسة الرئاسة، ووصل ليد زكريا عزمى قبل الثورة بفترة لكنه رفض عرضه على الرئيس مبارك، ووصلت نسخة منه إلى صفوت الشريف، ونسخة إلى سوزان مبارك، وكان التقرير يستعرض المشكلات وينتهى بالحلول، ولأن جميع من وصلهم هذا التقرير قرأوا ما فيه وكان بمثابة الصدمة لهم، إلا أنهم لم يلتفتوا له، رغم أنه كان بمثابة الإنذار الأخير».

ويضيف المصدر: «إن محاولات استهداف عمر سليمان كانت جميعها من داخل النظام، فقد كان ظهوره يجعل كراسى من فى الرئاسة تهتز بالجميع، وكان سليمان يعلم أنه مستهدف، وتوقع أنه لن يكون موجودا فى الفترة القادمة، وتوقع أن عددا من الصحفيين الحالمين بالشهرة سيقومون بتأليف أحداث من نسج خيالهم الشخصى لتشويهه».

ويستكمل المصدر: «علاقات عمر سليمان بالخارج كانت المصدر الأول للخطر على النظام السابق، لكونه اللاعب الأساسى وحلقة الوصل بين الأفكار الفلسطينية وأهدافها وبين اليهود وأطماعهم والإخوان وأجندتهم، وكان سليمان يتمتع بشخصية قوية ومؤثرة فى جميع الأطراف، وساعدته شخصيته القوية فى السيطرة على المواقف المختلفة على الرغم من قلة المعلومات المتوفرة لحل المشكلة وأهمها قصة تعمير سيناء».

وطبقا للتسريبات القليلة من المذكرات، فإن عمر سليمان أكد أنه لم يكن مستهدفا من الخارج بل استهدافه يأتى من الداخل فى المقام الأول.

ويضيف المصدر أن عمر سليمان فى مذكراته دعا إلى تغيير اسم الأمن الوطنى إلى جهاز الأمن المصرى، حتى لا تتكرر تجربة حماس فى مصر، وأنه قال أن الإخوان يستطيعون الوصول إلى السلطة ولكنهم لا يستطيعون الاستمرار بها، وأن عمرهم على الساحة المصرية قصير مهما حاولوا إثبات عكس ذلك، وأن الحكومة القادمة ستكون إخوانية لمحاولة السيطرة والمغالبة طمعا فى النجاح، لكن النجاح له مقومات أخرى.

ومن بين التسريبات اعتراف عمر سليمان بالأخطاء التى وقع فيها، ومن ذلك ما قاله:

«أخطأنا أننا لم نستغل ملف الجندى الإسرائيلى جلعاد شاليط الاستغلال الأمثل، حيث كان يمكننا استبداله بجميع المساجين والمعتقلين داخل السجون الإسرائيلية».

اتصلت بصموئيل العشاى وطلبت منه أن ننشر بقية التسريبات من مذكرات عمر سليمان، ولو أراد المصدر أن نخفى اسمه فإننا سنفعل ذلك احتراما لرغبته، لكنه راوغ قليلا، مما جعلنى أتشكك أن تكون هذه تسريبات من مذكرات الرجل الذى عاش غامضا ومات غامضا.

وعندما كشف العشاى عن اسم مصدره تأكدت أنه لا مذكرات على الإطلاق، نسب العشاى تسريباته إلى المهندس عادل فخرى دانيال، وفى حلقة ثانية من المذكرات أشار إلى أنه ينقل ما ينقله عن دانيال الذى كان مقربا من عمر سليمان.

لقد عرفت عادل فخرى دانيال قبل الثورة بشهور، أعلن عن تأسيسه لحزب اسمه الإستقامة، ورحب به صفوت الشريف، وفجأة أعلن أنه سيرشح نفسه كأول مواطن مسيحى لرئاسة الجمهورية، وكان يحاول تصوير نفسه على أنه قريب من مراكز صنع القرار فى مصر، لكنه لم يكن كذلك على الإطلاق.

بهذا تأكد لى أن التسريبات المنسوبة لعمر سليمان لم تكن إلا وهما أو توهما أو بعضا من الفبركة، خاصة أن ما جاء فيها لا يعبر عن أى أسرار، بل يمكن نسبتها إلى سليمان الذى كان قد صعد إلى الرفيق الأعلى، ولا يستطيع أن يكذب ما جاء فى هذه المذكرات.

لقد لمست الورطة التى وجدت بنات عمر سليمان أنفسهن فيها، وكنت أن كتبت عن ذلك:

فجأة وجدت بنات عمر سليمان الثلاثة أنفسهن فى ورطة كبيرة بعد رحيل أبيهن، دع عنك أنهن فقدن كثيرا من السلطة والنفوذ التى كان يوفرها لهن الأب الذى كان الرجل الثانى فى الدولة قولا وفعلا، فالسلطة والنفوذ زالت عنه بعد أن خلعته الثورة مع مبارك، فبدلا من أن يختم الرجل حياته كمدير للمخابرات المصرية، ختمها وهو نائب للرئيس فى ظل ثورة أطاحت بالجميع، أصر مبارك ألا يخرج منها وحده، بل أخذ معه كثيرا من رموز حكمه.

لكن الورطة الحقيقية التى تقابل بنات عمر سليمان هى أنهن وجدن أنفسهن وجها لوجه أمام عدد من الإتهامات التى تلاحق أبيهن، وأمام عدد من الإدعاءات بوجود مذكرات له، بدأ البعض فى نشرها بالفعل.

كان من المفترض أن تدخل العائلة فى حالة من الصمت إن لم يكن حزنا على كبيرها الذى رحل فجأة، فعلى الأقل حتى لا تتورط فى أية تصريحات يمكن أن تؤخذ عليها أو تسبب لها أو لأى من الأطراف الموجودة على الساحة السياسية حرجا من أى نوع.

لكن حدث ما جعل شق جدار الصمت واجبا بل فريضة، نشر بعضهم ما قيل أنه تسريبات من مذكرات عمر سليمان، وهى التسريبات التى تحدثت عن الجماعات الإسلامية والأقباط والتقارير التى رفعتها المخابرات إلى الرئاسة تحذر فيها من ثورة قادمة.

ولأن ما فى المذكرات يمكن أن يثير جماعات بعينها، تحديدا التيارات الإسلامية التى وصلت إلى الحكم وأصبحت لها الكلمة العليا، فقد سارعت عائلة سليمان بنفى أن تكون هناك مذكرات تركها أبوهم، ولو كان حدث شئ من هذا فكان من الأولى أن يتركها لهم، ولا يدعها لأحد مهما كان مقربا منه.

ما تردد بعيدا عن عائلة عمر سليمان أن الرجل كان قد انتهى من تسجيل مذكراته صوتا، وكان يستعد لتفريغها وتحريرها تمهيدا لنشرها خارج مصر، وهناك كاتب صحفى كبير كان مقربا من عمر سليمان خلال شهوره الأخيرة أشار إلى أنه اتفق معه بالفعل على تسجيل مذكراته بالصوت والصورة وبثها عبر عدد من الفضائيات العربية، وأن الإتفاق كان قيد التنفيذ لولا أن غادر سليمان الحياة كلها.

قد تكون هناك مذكرات لدى بنات عمر سليمان بالطبع، لكن الوقت لم يحن بعد لنشرها، ثم أنهن أصبحن بلا حماية كافية كما كن فى السابق ولا يردن أن يعترض طريقهن أحد.

الكاتب الصحفى الذى أشرت إليه وقتها كان عادل حمودة، الذى انفرد بأول حوار صحفى مع عمر سليمان بعد أن أعلن ترشيح نفسه للرئاسة، بعد خروج عمر سليمان من سباق الرئاسة، اتفق معه عادل على تسجيل مذكراته لإحدى القنوات الفضائية، لكن اختلاف المواعيد بينهما حال دون ذلك.

الواقع إذن أن سليمان لم يترك وراءه مذكرات، بناته يؤكدن ذلك، المقربون منه يصرون على ذلك، حتى المحاولة الوحيدة لكتابة هذه المذكرات لم تتم على الإطلاق، والكلام عن أى تسريبات ليس إلا مجرد خيال.

هنا وقبل النهاية لابد أن أثبت أن حالة الصخب التى أحاطت بعمر سليمان حجبت عنا حقيقة الرجل، شغلتنا عن وجهه الآخر.

لقد وقفت قليلا أمام مقال كتبه المفكر والمثقف طارق حجى عن سليمان، وقد كتبه مشفوعا بأنه كان يعرفه جيدا، عنوان المقال كان «عمر سليمان كما عرفته».

يقول حجى: «خلال السنوات العشرين الأخيرة جمعتنى وربطتنى بالراحل عمر سليمان صداقة حميمة، بدأت بعد توليه رئاسة جهاز المخابرات العامة بأسابيع قليلة، إذ كانت عادته الحديث والمناقشة مع أعداد كبيرة من الشخصيات القيادية فى سائر المجالات، كنت يومها رئيسا لشركة بترول عالمية فى المنطقة».

كانت هذه الشركة لأكثر من ربع قرن من الزمان أكبر شركة فى العالم، وهى شركة شل.

يحكى طارق: «التقيت به لأول مرة بناء على طلبه ليستمع لوجهة نظرى فى سينار يوهات التعامل مع الغاز الطبيعى المصرى، فى اللقاء الأول ظهرت لى سمات الصعيدى الشهم، فقد احتفى بى احتفاءا مضاعفا لأننى كنت وقتها جاره، حيث كنت أسكن فى بيت ملاصق لبيته».

بعد هذا اللقاء تعددت اللقاءات بين حجى وسليمان، والتى كان يطلب فيها سليمان الحديث عن أمور مثل الدور السياسى لشركات البترول الأمريكية، وعن اختلاط البترول بالشئون الإستراتيجية بمنطقة الخليج العربى، وكان طارق يعلم أنه يفعل ذات الأمر مع عشرات آخرين يعملون فى شتى المجالات.

يقول طارق: «ذات يوم دعانى لإلقاء محاضرة بجهاز المخابرات عن سينار يوهات تصدير الغاز المصرى، يومها فوجئت بالنوعية الراقية تعليما وثقافة للجمهور الذى حضر المحاضرة من العاملين بالجهاز، يومها فوجئت أيضا بوجود سيدات يعملن فى الجهاز، وكن على درجة رفيعة من المعرفة بشتى جوانب موضوع المحاضرة».

فى العام 1994 قال سليمان لحجى: أعرف أن حياتك تدور حول القراءة، فكل ما تطالعه وتشعر أن قراءته تفيدنى فأرجو إرسال صورة منه لى.

يقول طارق: «منذ هذا اليوم وافيته بمئات الكتب والأبحاث والمقالات والدراسات المعمقة فى أمور سياسية واستراتيجية عديدة، وأشهد أن حواراتى معه كانت تثبت أنه كان يقرأ بتمعن كل ما كنت أرسله له، وخلال السنوات العديدة من التواصل والصداقة لمست فيه أعلى درجات الوطنية، فالرجل الذى شارك فى حروب مصر الكبرى 1956، 1967، 1973 كان يتنفس الرغبة فى خدمة وحماية مصر، وأشهد أنه كان رجلا صادقا ونبيلا بكل ما تعنيه الكلمتان، وأشهد ثالثا أنه كان شديد الإمتعاض والإعتراض على دور قرينة الرئيس حسنى مبارك ونجليه علاء وجمال فى الحياة السياسية والإقتصادية المصرية، وطالما تحدث معى عن كارثية الدور الذى كان يلعبه جمال مبارك فى مصر وعن خطورة حلف رجال المال والسلطة على السلام فى المجتمع المصرى».

ويقول طارق أيضا: «فى شهر نوفمبر 2010 قال لى أنه تحدث مع الرئيس السابق حسنى مبارك عن كارثة استحواذ الحزب الوطنى على معظم مقاعد مجلس الشعب فى آخر انتخابات قبل ثورة 25 يناير، يومها قال لمبارك أن هذه الإنتخابات التى رعاها كل من جمال مبارك وأحمد عز قد تكون بداية النهاية.

ويختم طارق حجى شهادته على عمر سليمان بقوله: «أشهد أن كل ما قيل عن ضلوعه فى تعذيب خصوم النظام هو كذب وافتراء نسجه خيال خصومه المريض».

وقد استوقفتنى بعض الجمل التى ساقها المقربون منه ومن عرفوها، منها مثلا ما قاله أحد أزواج بناته من أنه كان حريصا على أداء الصلاة بشكل منتظم حتى وهو على الطائرة.

قد لا يعنى هذا شئيا على الإطلاق فصلاة الرجل أمر خاص بينه وبين ربه، لكنه يعنى من بين ما يعنى أننا أمام رجل كانت حياته ثرية وصاخبة، لا نعرف عنها إلا القليل، ورغم أنه تحدث فى أيامه الأخيرة كثيرا، إلا أننا لا نستطيع أن نرسم صورة كاملة له، ربما لو كان تفرغ بعض الوقت لكتابة مذكراته لعرفنا عنه الكثير، لكنه مضى إلى رحاب ربه دون أن يفعلها ... وليس كل ما نتمناه فى هذه الحياة ندركه.

فهرس المحتويات

الموضوع	صفحة

العقرب السام

لماذا رفعت ابنة عمر سليمان الكفن عن وجه أبيها والتقطت له صورة قبل دفنه ؟

هل قتله الإخوان... ولماذا صمت المجلس العسكرى على إهانته حيا وميتا ؟

لماذا وثق فيه مبارك... وهل رفع جمال مبارك مسدسه فى وجهه بقصر الإتحادية ؟

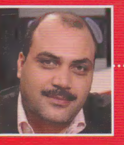
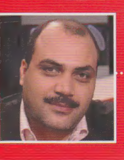
لماذا تكرهه الجماعات الإسلامية.... وهل كان يمارس التعذيب بيده فى سجون المخابرات ؟

هل خانه المشير طنطاوى... ولماذا قال أن الإخوان سيشكلون حرسا ثوريا لمواجهة الجيش والشرطة بعد وصولهم إلى الحكم؟

هنا فقط يمكن أن تجد عمر سليمان جنرال المخابرات الغامض كما لم تقرأ عنه من قبل.

إجابات على تساؤلات حائرة.

ورسم دقيق لصورة رجل قرر أن ينقذ نظام مبارك، فإذا به يغرقه ويعلن بيان تنحيه.

الباز

كنوز للنشر والتوزيع

الغلاف: عيد رحيل